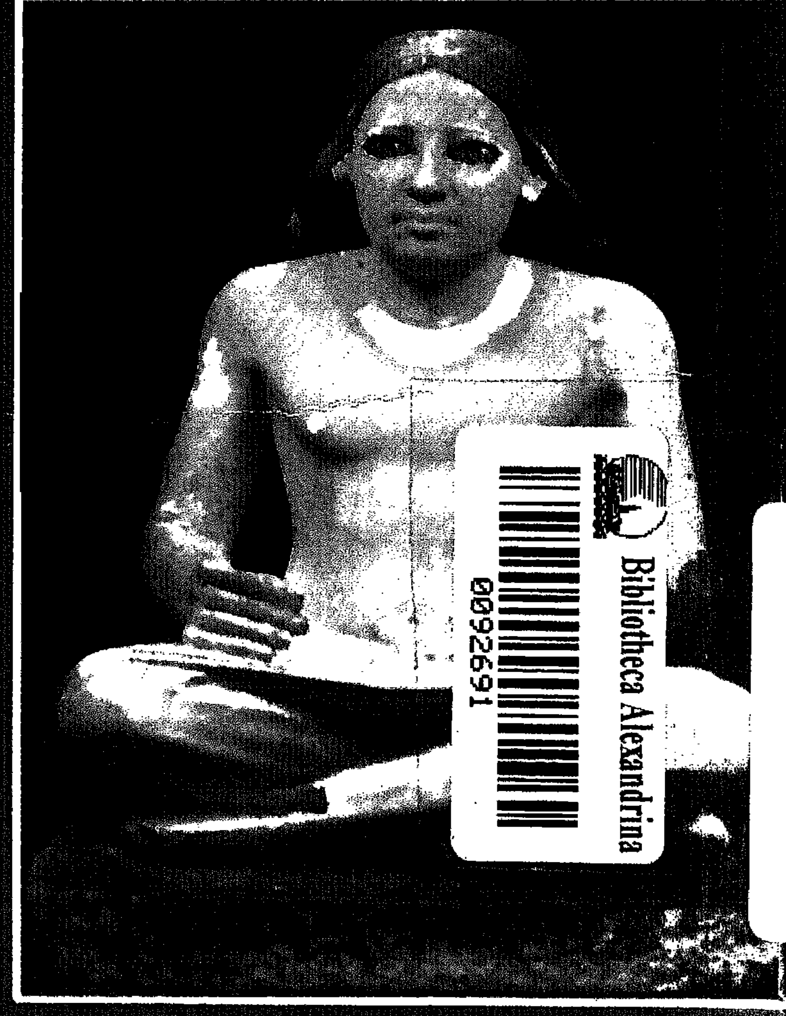
مختار السويفى

مصر القديمة

دراسات فى التاريخ والآثار

تقديم :
دكتور محمد جمال الدين مختار





الدار المصرية اللبنانية


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


مصر القديمة
دراسات فى التاريخ والآثار

الناشــر : **الــدار المصريــة اللبنانيــة**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ١١٤١٣ / ٩٦
الترقيم الدولى : 4- 308 - 270 - 977
جمع وطبـع : **عربية للطباعة والنشر**
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ـ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : رمضان ١٤١٧ هـ ـ يناير ١٩٩٧ م .

مختار السويفى

مصر القديمة

دراسات فى التاريخ والآثار

تقديم:
دكتور محمد جمال الدين مختار

الناشر
الدار المصرية اللبنانية



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

صدق الله العظيم



إهـــداء ..

إلى حبيبة الروح ..

زهرة الشباب النقية الطاهرة ..

صاحبة البسمة الوضيئة ..

والطباع النبيلة الطيبة ..

ابنتي هالة ..

رحمها الله وأكرم مثـواهـا ..



● تقديم :

بقلم الأستاذ الدكتور : محمد جمال الدين مختار

يسعدنى ويسرنى أن أكتب هذا التقديم لكتاب « مصر القديمة . . دراسات فى التاريخ والآثار » للاستاذ مختار السويفى . . وهو كتاب شيق دسم ، يحدثنا عن مناح متعددة من موضوعات الحضارة المصرية القديمة ، ويتميز بما فيه من رؤية حضارية شاملة ، وحسٍ تاريخى مرهف ، ووعى صادق بتراث مصر وآثارها الخالدة ، وكذا باسلوبه الثقافى المبسط والسليم .

والاستاذ مختار السويفى - كما أعرفه - كاتب فذ مبدع ، متعدد المواهب ، واسع الاطلاع ، جم النشاط ، قادر على الخوض فى مجالات متنوعة وميادين متعددة ، كالاقتصاد والعلوم البحرية ، والأدب والفن ، والتاريخ والآثار المصرية ، كما تجلت قدرته فى ميدان الأدب الساخر فكتب عدداً من الروايات ومجموعات القصص القصيرة من أشهرها كتاب « الضحك بسبب » وكتاب « الضحك بالراحة » حيث تناول المؤلف بعضًا من سلوكيات الشعب المصرى ، وعاداته وتقاليده ، وما يجرى فى حياته اليومية ، بأسلوب جذاب ، ساخر وممتع .

أما كتبه ومقالاته - المؤلفة والمترجمة - فى مجال علم الإجيبتولوجى [المصريات] والتى تناول فيها مختلف فروع الحضارة المصرية القديمة ، من تاريخ وآثار وحضارة وأدب وفن وديانة ، فقد ساهمت - بما لا يدع مجالاً للشك - فى إثراء الوعى القومى بتاريخ مصر الرائع ، وحضارتها التليدة ، وتراثها الفريد ، وفى الكشف عن جوانب قد تكون غامضة أو مجهولة عن تلك الفترة الطويلة الرائعة والمبدعة من حياة أجدادنا الخالدين .

ومن أفضل ما ترجمه الاستاذ مختار السويفى فى هذا السبيل ، كتاب « المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية » وهو بحث شامل - باللغة الانجليزية - حصل به المرحوم الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار الأسبق على درجة الدكتوراه من

جامعة بودابست بالمجر ، وكان لى شرف مراجعة الترجمة مما زاد من معلوماتى عن العلوم العسكرية والاستراتيجية والتكتيك وفنون الحرب التى أتقنها المصريون القدماء .

ومن كتبه المترجمة أيضا كتاب « نفرتيتى . . الجميلة التى حكمت مصر » من تأليف عالمة الآثار الانجليزية « جوليا سامسون » وقد قمت أيضا بمراجعة الترجمة . وقد تناول هذا الكتاب شخصية من أشهر شخصيات مصر القديمة ، أحاط بحياتها وسيرتها وعلاقتها بزوجها « اخناتون » وبدورها فى ثورته الدينية والفنية سياج من الغموض والإبهام .

كما قام الاستاذ مختار السويفى بترجمة كتب أخرى فى علم المصريات ، وهى كتب رائدة شديدة العمق فى دراسة الحضارة المصرية القديمة ، منها كتاب « فن الرسم عند قدماء المصريين » من تأليف « وليم بيك » وراجعه الدكتور أحمد قدرى ، وكتاب «الحضارة المصرية . . من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة » من تأليف العالم الكبير « سيريل ألدريد » الذى طبع ثلاث طبعات متتالية والذى قام بمراجعته أيضا الدكتور أحمد قدرى ، وكتاب « مجوهرات الفراعنة » لنفس المؤلف ونفس المراجع ، وقد صدر هذا الكتاب فى طبعة فاخرة أكثر اتقانا من طبعته الانجليزية الأصلية . . وقد أكدت هذه الكتب أن الفن المصرى القديم بفروعه وألوانه المتعددة ، كان من أعظم العطاءات الحضارية فى العالم القديم .

ومن الكتب الممتازة التى أبدعها الاستاذ مختار السويفى كتاب « ومصر والنيل فى أربعة كتب عالمية » وقد صدر هذا الكتاب أيضا فى ثلاث طبعات متتالية ، وهو كتاب قيم عبارة عن عرض حر لأربعة من الكتب العالمية تتحدث عن الحضارة المصرية العظيمة ، وعن نهر النيل العظيم باعث تلك الحضارة .

كما ألف أيضا كتابًا بعنوان « مراكب خوفو . . حقائق لا أكاذيب » تناول فيه بالشرح والتحليل والتحقيق والنقد قصة « مركب خوفو » التى عرفت خطأ باسم «مركب الشمس » . كما تضمن هذا الكتاب بحثًا مستفيضا عن تاريخ البحرية المصرية منذ أقدم العصور حتى نهاية العصور الفرعونية .

أما كتابه الحالى « مصر القديمة . . دراسات فى التاريخ والآثار » فقد أثبت فيه أن عظمة أجدادنا القدماء لا تتجلى فقط فى عراقة حضارتهم وقدرتهم وعظمتها واستمراريتها وما خلفته من تراث فنى معمارى وأدبى ، وإنما تتجلى فى أنهم بدأوا

الحضارة الانسانية بدءًا ، ووصلوا إلى أصولها معتمدين على ذكائهم ونشاطهم وجهودهم فى سبيل استغلال موارد بيئتهم ، مما مكنهم من القيام بأعمال حضارية مجيدة ، أثارت اعجاب العالم منذ أقدم العصور وحتى الآن .

وفى هذا الكتاب عرض لنا المؤلف خمسة عشر موضوعًا حضاريًا ، اختار لها عناوين جذابة ، منها : الإجيبتولوجى لم يزل طفلا . . والاجيبتومانيا أو ظاهرة الافتتان بالمصريات . . والذين علموا الناس الكتابة والحساب . . والأدب الجاد والأدب الساخر فى مصر القديمة . . وأغلى كنوز الدنيا فى المتحف المصرى بالقاهرة . . وسيد البنائين رمسيس الثانى ومعابده فى بلاد النوبة . . وحكايات وأسرار عن لصوص الآثار . . الخ .

وقد عرض المؤلف هذه الموضوعات كلها باسلوب متمكن وسلس غاية السلاسة ، مستغلا ثقافته الواسعة وخبرته الطويلة وتجاربه العديدة الموفقة فى ميدان الكتابة تأليفا أو ترجمة أو نقدًا .

والواقع أننا فى شديد الحاجة فى مصر إلى مثل هذه الكتب الجيدة التى تكشف لنا عن بعض جوانب حضارة مصر الخالدة . . فهى كتب تسعد المثقفين ، ومحبى التاريخ القديم ، وعاشقى الحضارة المصرية ، حيث يجدون فيها بعض ما يغذى العقل ، ويرهف الحس ، ويرضى النفس ، ويثير الوجدان ، ويثرى الفكر . ويحفزهم إلى مزيد من الاعتزاز بقوميتهم وبوطنهم الحبيب .

والله ولى التوفيق .

أ . د محمد جمال الدين مختار
رئيس هيئة الآثار الأسبق
ومقرر المجلس القومى للثقافة والفنون والآداب والإعلام
بالمجالس القومية المتخصصة

القاهرة فى : ٣ أكتوبر ١٩٩٦



مقدمــة

لو تخيلنا أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة ، وليكن « رمسيس الثانى » مثلا ، وهو يقوم بزيارة هرم خوفو [وهو من ملوك الأسرة الرابعة] . . فماذا كانت يا ترى مشاعره وهو ينظر إلى ذلك الصرح الشامخ الذى بناه ملك مثله حكم مصر قبله بنحو أربعة عشر قرنا ؟ .

من المؤكد أن « رمسيس » بكل عظمته وهاله وهيلمانه كان يشعر فى تلك اللحظات بفخر عظيم بأعمال هؤلاء الملوك العظام الذين سبقوه فى الجلوس على عرش مصر . . ويشعر أيضا بعظمة أولئك المصريين القدماء الذين بنوا هذا الهرم والذين كانوا يعيشون فى بلاده منذ نحو ١٤٠٠ سنة سابقة على مولده .

هذا الاحساس الوطنى بعظمة مصر وعظمة المصريين ، كان سائدًا بين قدماء المصريين شعباً وحكاماً طوال حقبات التاريخ المصرى القديم ، حيث تدل الشواهد التاريخية والأثرية على أن هؤلاء المصريين القدماء كانوا من أحرص الناس فخراً بتاريخهم المجيد ، ولم يتركوا فرصة ولا وسيلة مناسبة إلا وسجلوا عليها معالم وأحداث هذا التاريخ ، فكتبوها على جدران المعابد والمقابر ، وعلى أسطح المسلات والنصب التذكارية ، وعلى صفحات البردى ، وعلموها لتلاميذ المدارس فى مختلف مراحل التعليم الابتدائى والعالى .

● ويعتمد « علم التاريخ القديم » THE ANCIENT HISTORY على بحوث ونتائج « علم الآثار » THE ARCHAEOLOGY . ولذلك فثمة تلازم وثيق بين هذين العلمين المترابطين ، بحيث لا يمكن للباحث فى التاريخ القديم أن يصل إلى معلومة ما إلا بعد النظر والفحص للآثار المادية المنسوبة لهذا التاريخ ، كما يتمكن دارس الآثار

ـ بالفحص العلمى المناسب لهذه الآثار ـ أن يجعل من نتائج هذا الفحص حقائق تاريخية موثقة .

ومن الحقائق البديهية أن قدماء المصريين قد شيدوا مقابرهم ومعابدهم ليخلدوا ذكراهم وليفخروا بأعمالهم التى مارسوها فى دنياهم ، ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا ينشدون أن تكون آثارهم ـ وخصوصاً بالنسبة للآثار الضخمة ـ خير شاهد على تاريخ بلادهم وما وصلت إليه حضارتهم من قمم سامقة راقية تخلد مع خلود الزمن .

● ولذلك فقد كان منهجى فى هذا الكتاب هو الحرص على تزويد القارىء الكريم بهذه المجموعة من الدراسات التى تتناول « تاريخ مصر القديم » منبثقا من الآثار الشاهدة عليه . بالاضافة إلى مجموعة أخرى من الدراسات عن « الآثار المصرية القديمة » الثابتة والمنقولة التى تركها لنا أجدادنا القدماء لنستشف منها أدلة قاطعة على حضارتهم العظيمة وتاريخهم الرائع المجيد .

ولا أخفى على القارىء الكريم أن بعض هذه الدراسات قد سبق لى نشرها كمقالات وبحوث فى بعض الدوريات المتخصصة والمجلات الثقافية المصرية والعربية، أخص منها مجلة « الهلال » الشهرية التى تصدرها مؤسسة دار الهلال ، ومجلة « القاهرة » الشهرية التى تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ومجلة « شل » النصف سنوية التى كانت تصدرها مجموعة شركات شل العالمية بمصر .

وقد حرصت عند إعادة نشر هذه الدراسات فى هذا الكتاب ، على أن أعيد صياغتها وأضيف إليها مزيداً من المعلومات ، وأن أزودها بمجموعة كبيرة من الصور الفوتوجرافية لتوضيح المعلومات المكتوبة وتقريبها إلى القارىء الكريم بطريقة رأيتها مناسبة ، وذلك حرصاً منى على أمل توفير المتعتين : متعة القراءة ومتعة المشاهدة .

● ومن المؤلم أن أذكر هنا ما يدهشنى ويوغر صدرى من تقليص كم ومستوى دروس التاريخ المصرى القديم فى المناهج التعليمية لطلاّب المدارس فى مصر . وفى الوقت نفسه توسع وازدياد المعلومات عن التاريخ المصرى القديم التى يتعلمها تلاميذ

المدارس الابتدائية والمرحلة التعليمية الأولى فى مختلف دول العالم الحديث وعلى الأخص فى أوربا وأمريكا .

ومن مفارقات هذه الحقيقة المؤلمة أن أصبح المصريون المحدثون ـ والشباب منهم بصفة خاصة ـ على غير علم كافٍ بالتاريخ المصرى العريق بمراحله المتعاقبة المختلفة من فرعونية ويونانية رومانية وقبطية وإسلامية ، بالاضافة إلى ما قد يحصلون عليه من معلومات قليلة عن « تاريخ مصر الحديث » ، تم تشويهها وتزييفها بعمد وتعمد ، وأقل القليل منها ما يسعى إلى تسجيل حقائق هذا التاريخ كما حدثت فعلا فى سجل الزمن .

وأذكر بقلم يقطر ألماً واقعة حدثت وشوهدت على شاشة التليفزيون المصرى ، حيث يعرض بين حين وآخر بعض مؤلفاتى ومترجماتى من كتب تتناول موضوعاتها التاريخ المصرى القديم والحضارة المصرية القديمة . وقد دأب التليفزيون على تقديم هذه الكتب إلى مشاهديه على شكل أسئلة بسيطة يوجهها المذيع أو المذيعة لبعض الأفراد فى الشوارع العامة وفى الأندية الرياضية وفى الجامعات ، وتكون جائزة البرنامج نسخة مجانية من الكتاب تعطى لصاحب الاجابة الصحيحة .

وكان موضوع أحد هذه البرامج كتابى المترجم عن « الحضارة المصرية . . من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة » وهو من تأليف عالم الآثار المصرية والمؤرخ الانجليزى الشهير « سيريل ألدريد » ومراجعة الاستاذ الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار المصرية الأسبق .

كانت المذيعة واقفة فى الطريق المؤدى إلى جامعة القاهرة ، وتظهر فى المنظر القبة الشهيرة التى يتميز بها مبنى تلك الجامعة . . وتقدمت المذيعة من بعض الطلبة ، وكانوا أربعة من الشباب ، وسألتهم : متى توحدت مصر وظهرت الدولة المصرية فى التاريخ ؟ . . وكم آلمنى مشهد الحيرة والارتباك فى وجوه هؤلاء الشباب عندما سمعوا هذا السؤال . . وقال أحدهم وهو يضحك : ياه . . ده من زمان أوى . . يمكن من

أيام المماليك !! . . وقال آخر وهو متردد : يمكن من أيام الملك مينا من حوالى « ألف » سنة ! وأعطت المذيعة « الجائزة » لصاحب هذه الإجابة المختلة غير الصحيحة ، ربما لأنه تذكر أن هناك ملكاً مصرياً قديماً كان اسمه « مينا » ! .

● ومن الحقائق المشهودة أن المكتبات الأجنبية فى مختلف دول وقارات العالم تعرض آلافا من عناوين الكتب المبسطة والمراجع المتخصصة المتعمقة التى تتناول دراسات تحليلية لمعالم التاريخ المصرى القديم والآثار المصرية . . وقد انتشرت ظاهرة الكتب المبسطة التى تقدم هذا التاريخ وتلك الآثار للقارىء العام ولكل الراغبين فى تنمية ثقافاتهم ومعارفهم عن الحضارة المصرية القديمة ، وعددهم يتجاوز عشرات الملايين فى جميع أنحاء العالم .

ومن الملاحظ أن الكتاب الواحد من الغالبية العظمى من تلك الكتب يصدر فى عدة لغات أهمها الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية واليابانية . ويتضمن كل كتاب منها عشرات - وربما مئات فى بعض الأحيان - من الصور الفوتوجرافية العادية والملونة المطبوعة على أفخر أنواع الورق وبأعلى مستويات الطباعة . ومن المؤكد أن جميع تلك الكتب تلقى رواجاً وانتشاراً واسعاً يغرى دور النشر الأجنبية باصدار المزيد والجديد ، وإعادة الطبع مرات ومرات .

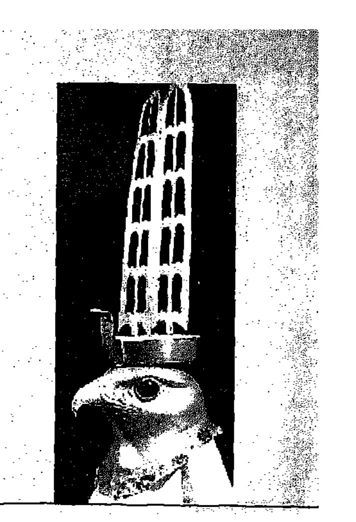
وقد شجعنى هذا المنهج الحديث على إصدار هذا الكتاب الذى يتضمن مجموعة من الدراسات فى التاريخ والآثار ، كتبت بأسلوب مبسط يرضى القارىء العام كما يرضى القارىء المتخصص .

وكل التوفيق فضل من الله عظيم .

مختار السويفى

كورنيش النيل : القاهرة

فى ٢٥ أكتوبر ١٩٩٦



الإجيبتولوجى .. لم يزل طفلاً

لا يرجع الاهتمام بتاريخ مصر القديمة إلى القرن التاسع عشر كما يعتقد الكثيرون .

ففى القرن الخامس قبل الميلاد ، قام هيرودوت بزيارة مصر ، وشاهد آثارها البديعة، وكتب عن الآثار المصرية وعن المصريين أنفسهم أبدع التقارير .

وتبع هيرودوت فى ذلك مجموعة أخرى من المؤرخين والجغرافيين ، أشهرهم سترابو وديودورس .

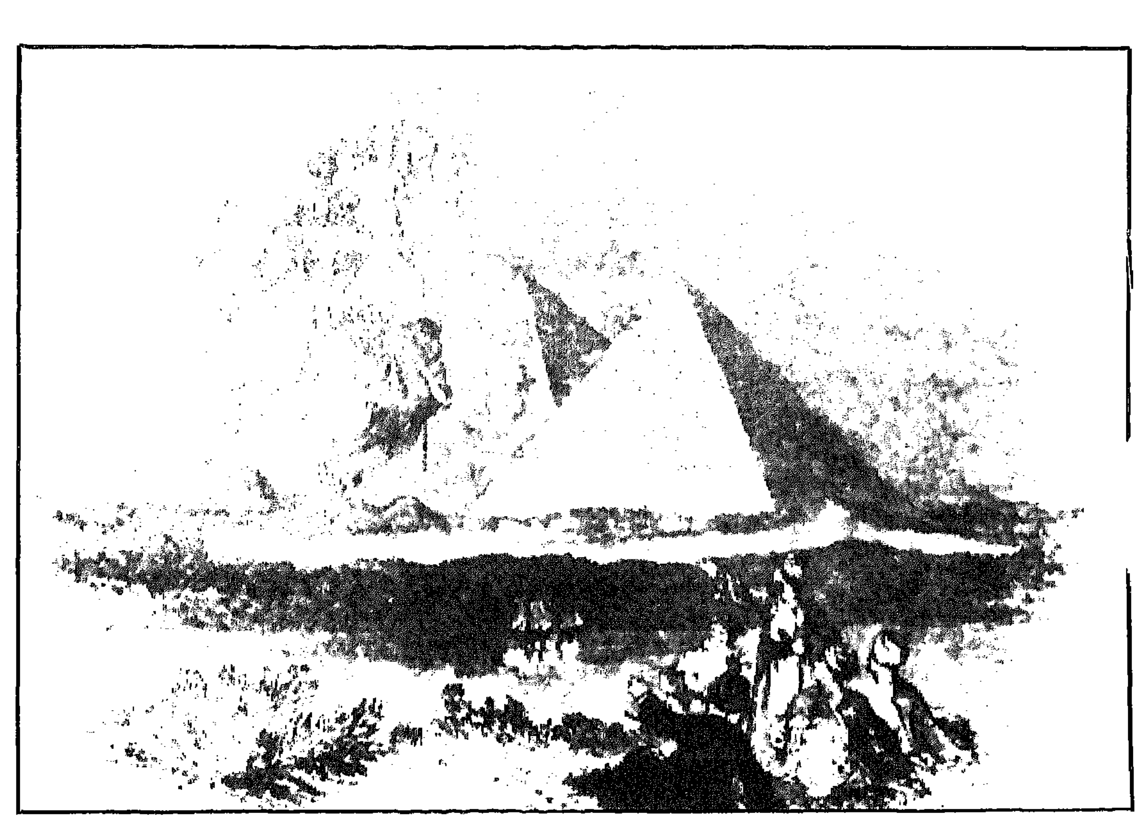
وكانت الأهرام ومقابر الفراعنة بطيبة ، وتمثالا ممنون ، من أقوى عوامل الجذب السياحى بالنسبة لمعظم شعوب البحر المتوسط ، فى خلال تلك الفترة من التاريخ .

● الإجيبتولوجى . . وتخاريف المؤرخين :

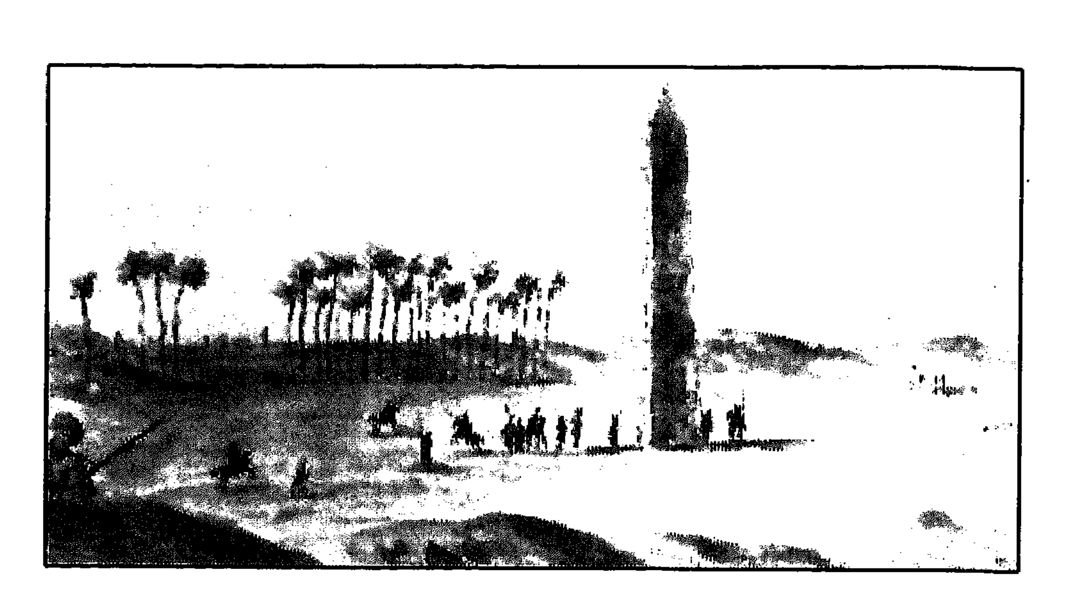
ثم اختفت مصر من ذهن أوربا . . فيما عدا فترة الحروب الصليبية .

وفى خلال عصور الظلام فى أوربا ، كانت الآثار المصرية محل اهتمام الكثيرين من مؤرخى العرب المسلمين . ولكنهم للأسف كانوا قد فقدوا المفتاح الذى يمكن أن يفتح أمامهم أسرار تلك الحضارة العظيمة المغلقة ، ولذلك فقد جاءت تفسيراتهم وشروحهم التاريخية مجردة تماماً من النظرة العلمية .

فقد كتب بعض هؤلاء المؤرخين يقول : إن الأهرام مثلا بناها ملك يسمى « سوريد بن سلهوق » ليجلس على قمتها إتقاء للطوفان . ومنهم من قال : إن مدينة الاسكندرية بناها « شداد بن عاد » الذى سد بذراعيه الواد وأقام إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد «!» . إلى آخر تلك الخرافات التى امتلأت بها للأسف معظم كتب مؤرخى العرب المسلمين .



نسج بعض المؤرخين العرب القدماء مجموعة كبيرة من الأساطير حول بناء الأهرام وما كانت تحتويه من كنوز . [هذا الرسم منقول من ترجمة إدوار لين لكتاب ألف ليلة وليلة] .



رسم يرجع تاريخه إلى عام ١٨٠٠ ، من عمل الرسام الألمانى لويجى ماير ، للمسلة الوحيدة التى بقيت فى منطقة المطرية [قبل أن تزحف عليها المبانى] . وهى إحدى المسلات التى بناها الملك « سنوسرت الأول » حوالى عام ١٩٤٠ ق م . [عصر الدولة الوسطى] .

وقد شاع تداول كتاب سرى عرف باسم « كتاب اللآلىء المدفونة » . وقد استخدم هذا الكتاب كدليل لإرشاد لصوص المقابر إلى أنسب الأماكن للحفر فى سبيل الوصول إلى الكنوز المدفونة .

وفى القرن السابع عشر الميلادى ظهر العالم « أثاناثيوس كيرشر » الذى كان له دخل كبير فى إحياء الدراسات القبطية ، وكانت له فى هذا المجال دراسات لمّاحة . وقد حاول هذا العالم أن يفك شفرة الكتابة الهيروجليفية ولكنه لم يوفق فى ذلك .

● الالتفات الأوربى إلى مصر :

ومنذ بداية القرن الثامن عشر ، كثرت رحلات الرحالة الأوربيين إلى الشرق بصفة عامة وإلى مصر على وجه الخصوص . وبالتالى فقد ظهر العديد من الكتب المزودة باللوحات الفنية المرسومة ، وتناولت الآثار المصرية القديمة فوصفتها بكثير من التفصيل لا يخلو من الاعجاب الشديد .

وثمة اعتباران أساسيان كانا ضمن أهم الأسباب التى انتهت بظهور الدراسات التى ساهمت فى تكوين علم « الإجيبتولوجى » .

الاعتبار الأول : هو الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ، حيث جمع علماء الحملة أهم المعلومات عن الآثار المصرية فى جميع المناطق الأثرية التى كانت معروفة أيامئذ . وقام علماء الحملة ورساموها بتسجيل جميع هذه الآثار المصرية القديمة ودراستها ، ثم نشروها فى الكتاب العظيم « وصف مصر » .

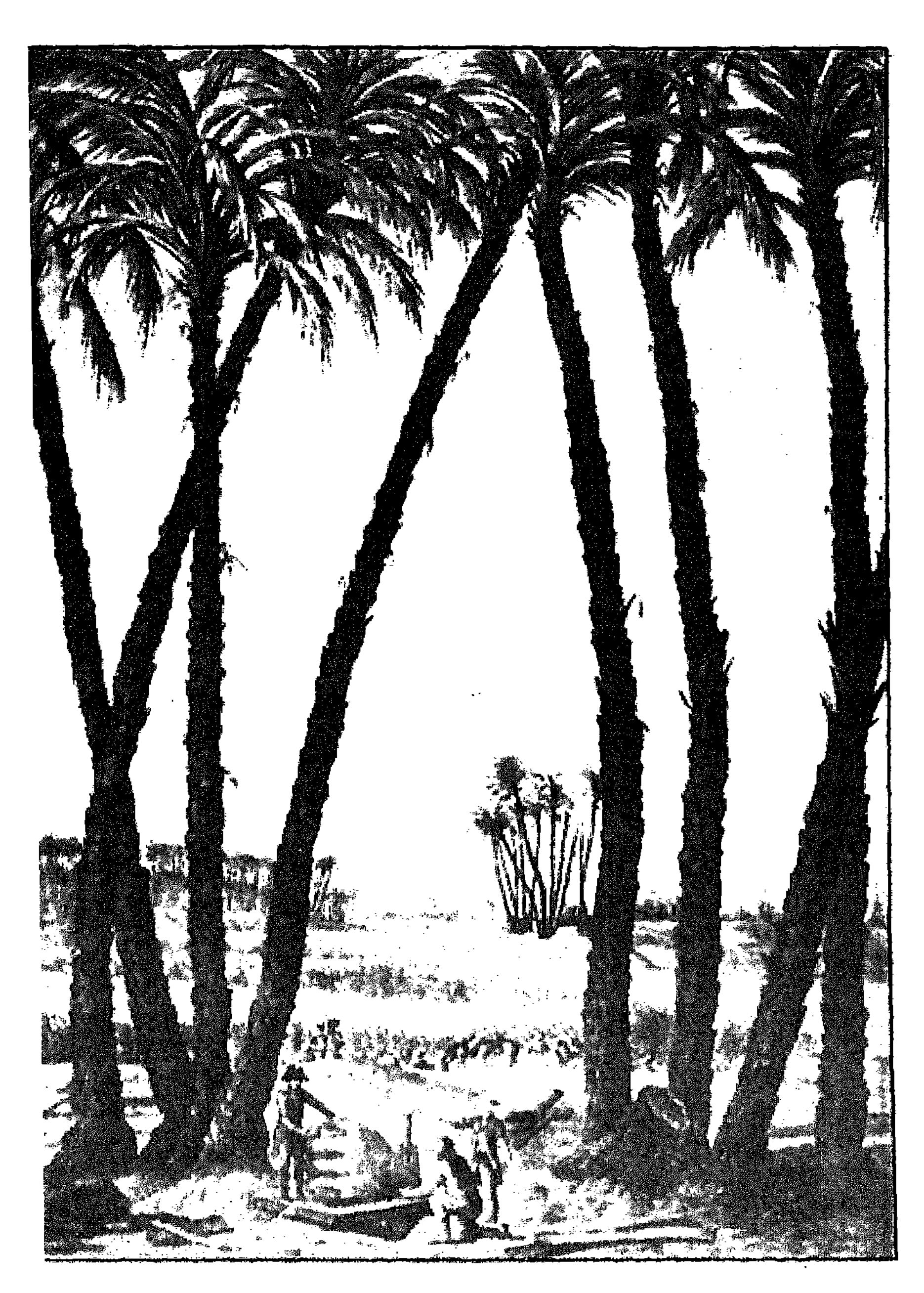
أما الاعتبار الثانى : فهو ظهور شامبليون العالم الفرنسى القدير الذى استطاع فك رموز الهيروجليفية [سنة ١٨٢٢ م] ، بحيث أصبح من المستطاع قراءتها وفهم معانيها ، وبالتالى فقد أصبح التاريخ المصرى القديم مقروءاً بنفس الكيفية التى كتبه بها المصريون القدماء .

● بعثات علمية . . وعصابات السلب والنهب :

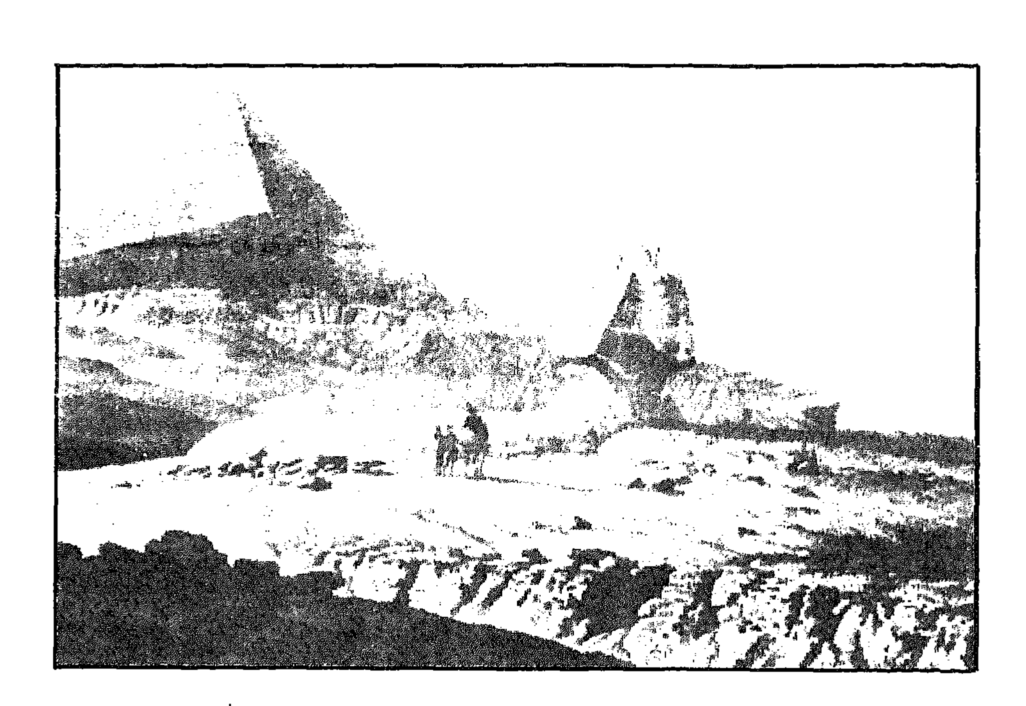
وقد تميز النصف الأول من القرن التاسع عشر بكثرة البعثات التى وفدت إلى مصر من أوربا للبحث عن الآثار والتحف الأثرية النادرة . وكانت أهم البعثات العلمية



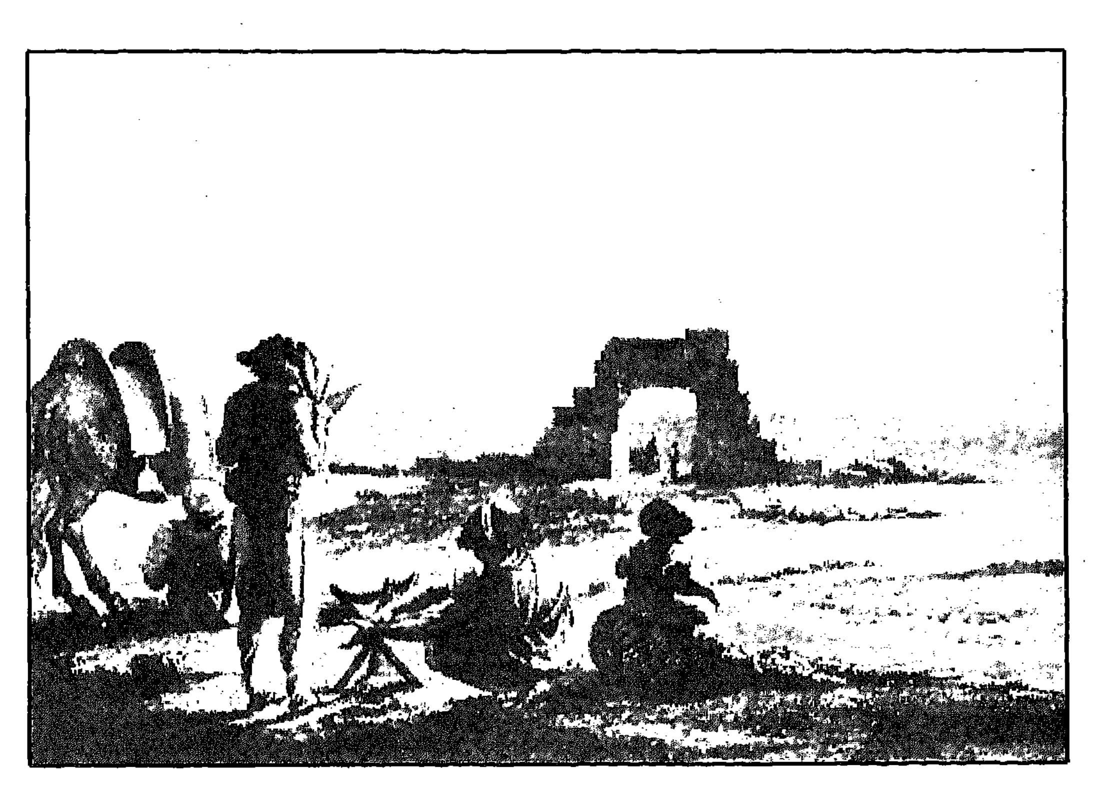
صورة من كتاب وصف مصر للمعهد العلمى الذى أقامه نابليون فى القاهرة أثناء الحملة الفرنسية



علماء الحملة الفرنسية يدرسون ويقيسون بعض الآثار المصرية القديمة
بالقرب من منطقة أهرام الجيزة



علماء الحملة الفرنسية أثناء دراسة وقياس تمثال أبى الهول



الفنان الفرنسى دينون أثناء قيامه برسم وتسجيل بعض الآثار المصرية فى الوجه القبلى





جان فرانسوا شامبليون وبجواره حجر رشيد

التى أوفدتها أوربا لدراسة التاريخ المصرى القديم بعثة شامبليون وروسيللينى [سنة ١٨٢٨ - ١٨٢٩ م] . وبعثة لبسيوس [١٨٤٢ - ١٨٤٥] ، التى انتشر أعضاؤها فى جميع أنحاء القطر المصرى ومعهم الرسامون الذين سجلوا مشاهداتهم تسجيلا علمياً وفنيا دقيقا ، ورسموا صوراً ولوحات دقيقة لأهم النصوص الهيروجليفية التى كانت مدونة على جدران المعابد والمقابر والتماثيل والمسلات ، كما سجلوا صوراً طبق الأصل للنصوص المحفورة بالنحت الغائر أو بالنحت البارز .

وبالإضافة إلى هذه البعثات العلمية ، كانت هناك بعثات [خاصة] أخرى أوفدت إلى مصر ، وكان لها فى الآثار المصرية القديمة أغراض أخرى غير علمية . حتى أصبح صعيد مصر موئلا ترعى فيه عصابات من المغامرين وجامعى التحف الأثرية الذين اتخذوا من تلك الآثار تجارة رائجة ملأت جيوبهم بالمال الحرام . .

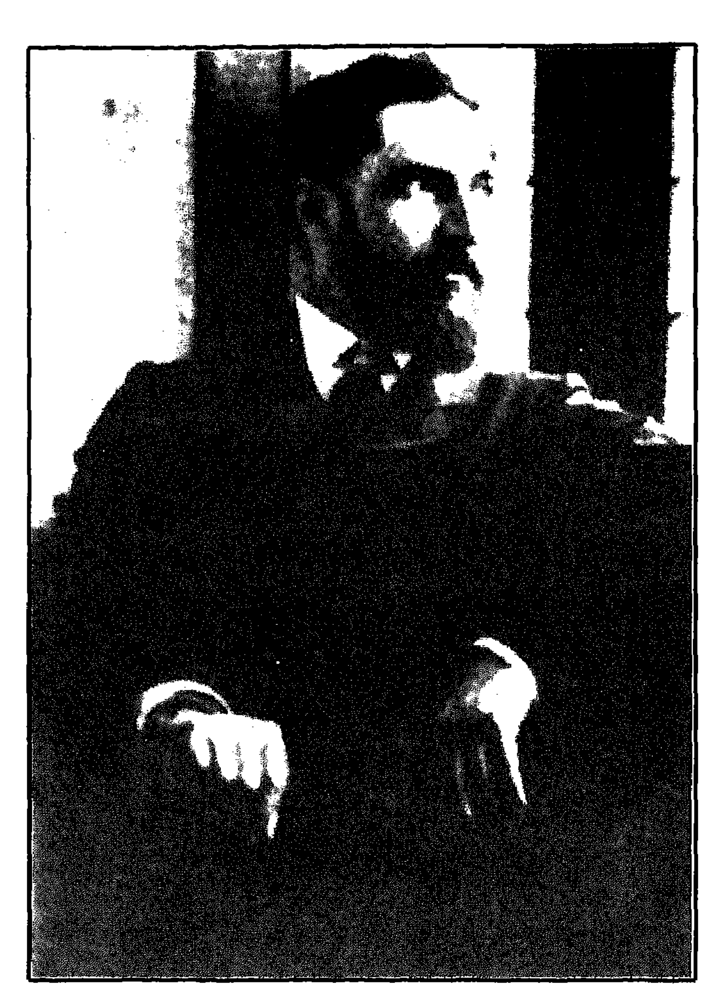
وفى تلك الفترة نهبت من مصر قطع أثرية كبيرة وصغيرة لاتقع تحت حصر . . ويمكن القول على سبيل القطع بأن هذه المجموعات الأثرية المصرية القديمة ، أصبحت النواة التى اعتمدت عليها جميع المتاحف الأوربية الشهيرة فى جميع أنحاء دول وممالك أوربا ، التى خصصت أقساماً خاصة للآثار المصرية . وقد اعتبرت هذه الأقسام أهم أقسام يقبل عليها مشاهدو تلك المتاحف .

● مولد الإجيبتولوجى :

ويمكن القول كذلك بأن « الإجيبتولوجى » قد ظهر فى تلك الفترة كعلم وليد مستقل . . ولكن قواعده ومبادئه الراسخة لم تكن قد تبلورت بعد ، كما أن وسائله وأدواته العلمية لم تكن قد عرفت لكى تستخدم فى خدمة دراساته وأبحاثه . وبالإضافة إلى ذلك فلم يكن « الإجيبتولوجى » قد حظى بعد بالعلماء والمتخصصين فيه . .

ومع ذلك فسرعان ماظهر علماء أفذاذ مثل مارييت ، ودى روجيه ، وبيرش ، وشاباس ، وبروجش ، وهم الذين وضعوا للإجيبتولوجى قواعده ومبادئه على أسس علمية سليمة .

وبفضل هؤلاء العلماء أنشئت فى مصر مصلحة حكومية متخصصة للعناية بشئون الآثار ، كما أنشىء متحف الآثار المصرية ، وذلك لحماية هذه الآثار من عبث



عالم الآثار الشهير « وليم فليندرز بترى »



بورتريه للمغامر الإيطالى « جيوفانى بلزونى » الذى استطاع الوصول إلى غرفة الدفن بهرم خفرع بالجيزة سنة ١٨١٨م . والصورة مأخوذة من كتاب ألفته زوجته عن استكشافاته فى مجال الآثار المصرية

المغامرين واللصوص ، ولمعاونة العلماء والدارسين على البحث والتمحيص والدراسة الآركيولوجية [الأثرية] والفنية والتاريخية . ولتنظيم عمليات الحفائر الأثرية التى أصبحت تجرى على أسس علمية وتحت إشراف مباشر من الحكومة المصرية .

وفى أوربا ، قام العديد من العلماء بدراسة الهيروجليفية انطلاقا من القواعد العامة لفك رموزها والتى توصل إليها شامبليون من قبل . وكان من نتيجة تلك الدراسات التصنيفية ازدياد المعرفة بقواعد وأسرار تلك اللغة .

● فك الرموز والطلاسم :

وفى سنة ١٨٥٢ تمكن العلماء من فك رُموز النص الهيروجليفى لقصة الأخوين وقاموا بترجمتها إلى عديد من اللغات الأوربية . كما تمكن علماء آخرون من فك طلاسم ورموز « الكتابة الهيراطيقية » - أى الكتابة الدينية - وهى طريقة الكتابة التى ظهرت فى مصر القديمة لتسهيل أعمال الكتابة والتدوين والتسجيل للنصوص المكتوبة ، بعيداً عن الصعوبات والتعقيدات المستخدمة فى الكتابة الهيروجليفية .

وفى نفس الفترة أيضا بذل العلماء جهوداً مكثفة لفك رموز الكتابة الديموطيقية ـ أى الكتابة الشعبية ـ وهى الكتابة التى شاع استعمالها بين عموم الشعب المصرى القديم لتدوين وتسجيل النصوص الخاصة بالحياة العامة اليومية .

ويمكن القول بصفة عامة انه منذ بدايات النصف الثانى للقرن التاسع عشر ، بدأ علم الإجيبتولوجى فى التوسع والازدهار بشكل ملحوظ ، وظهر العديد من البحوث والدراسات التى أجراها علماء من دول أوربية عديدة . وقد بذل العلماء الفرنسيون والانجليز والألمان جهودا كبيرة فى هذا السبيل ، ثم انضم إليهم بعد ذلك علماء إيطاليون وسويسريون وأمريكيون ومصريون وبلجيكيون وهولانديون ودنماركيون وسويديون وروس وبولنديون وتشيكوسلوفاك ، إلى جانب علماء فرادى من دول أخرى ممن تخصصوا فى الدراسات الإجيبتولوجية .

● المعاهد والجمعيات العلمية :

كذلك فقد ظهر العديد من الجمعيات العلمية المتخصصة فى المصريات ، والتى أسهمت بدورها فى ازدهار وتوسيع نطاق الدراسات الإجيبتولوجية . ونذكر منها

«البعثة الآركيولوجية الفرنسية » التى أنشئت سنة ١٨٨٠ ، والتى تحولت فى سنة ١٩٠٠ إلى « المعهد الفرنسى للدراسات الأثرية الشرقية » .

كما أنشأ البريطانيون لهذا الخصوص مؤسسات ومعاهد وجمعيات علمية لعل أهمها : « صندوق الاستكشافات المصرية » و« صندوق تمويل البحوث المصرية » و« المدرسة البريطانية للدراسات الأثرية بمصر » .

كما ظهرت فى بلجيكا جمعية خاصة باسم « مؤسسة الملكة إليزابيث للدراسات الإجيبتولوجية » . وأنشأت المانيا « معهد الدراسات الأثرية » .

● فترة النصف الثانى من القرن ١٩ والنصف الأول من القرن العشرين :

وقد تميزت تلك الفترة أيضا بالدراسات الميدانية التى قامت بها البعثات العلمية التى أوفدتها إلى مصر العديد من الجامعات والمتاحف الكبرى بأوربا وأمريكا . بالإضافة إلى البعثات العلمية التى كانت تنظمها الجامعة المصرية ومصلحة الآثار المصرية . وبالإضافة أيضا إلى العديد من البعثات الفردية الخاصة التى زاولت أيضا مهمة أعمال الحفائر والاكتشافات للبحث عن الآثار المصرية .

ونتيجة لهذا النشاط العلمى الواسع النطاق ، ظهرت عشرات بل مئات من الكتب المتخصصة فى الدراسات الإجيبتولوجية . بالإضافة إلى آلاف من البحوث الآركيولوجية التى أجريت لوصف وشرح وتحليل المعلومات التى تم تجميعها عن المناطق الأثرية المصرية والقطع الأثرية القديمة . كما دونت مئات التقارير العلمية عن الحفائر الأثرية التى أجريت فى معظم مناطق القطر المصرى ، ودونت كذلك الكتالوجات المتحفية عن جميع المقتنيات الأثرية المصرية التى تحتل الأقسام الهامة بمعروضات المتاحف فى معظم أنحاء العالم .

● بعثات الحفائر والاكتشافات الأثرية :

أما أعمال الحفائر فقد أسفرت عن كنوز من المعلومات عن مكنونات وأسرار التاريخ المصرى والحضارة المصرية القديمة . وكانت أهم الاكتشافات الأثرية التى تمت فى تلك الفترة : إعادة فتح عدد من أهرام سقارة ، واكتشاف خبيئة الدير البحرى ، حيث عثر على مومياوات معظم ملوك وفراعنة الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وخبيئة

الكرنك التى عثر بها أيضا على بعض من مومياوات الفراعنة ، والاكتشافات التى تمت للمقابر الفرعونية بوادى الملوك بقرب الأقصر ، وأهمها اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون سنة ١٩٢٢ حيث اعتبر أعظم الاكتشافات الأثرية فى القرن العشرين . ولايخفى أن هذه الاكتشافات وغيرها قد أسهمت فى إثراء الدراسات الإجيبتولوجية بعشرات ومئات وآلاف الكتب والبحوث والدراسات العلمية ، بحيث أصبح من المستحيل الآن عمل حصر شامل لجميع هذه المراجع العلمية لكثرتها وتعدد أشكالها وأغراضها .

ومع ذلك فيمكن القول بأن هذه الاكتشافات الأثرية لاتشغل إلا ركنا أوفرعاً صغيراً من علم الإجيبتولوجى .

● ترجمة وتحليل الوثائق المصرية :

وثمة فرع آخر لهذا العلم يتضمن النتائج التى توصل إليها عدد كبير من العلماء الذين شغلوا حياتهم بدراسة وترجمة ماكان يتم العثور عليه من البرديات المصرية أولاً بأول . وقد قامت الهيئات والمؤسسات العلمية المتخصصة فى كل من ألمانيا وانجلترا وفرنسا وأمريكا بنشر مئات الآلاف من الصفحات عن ماتم ترجمته من البرديات المصرية ، أو المدونات المكتوبة على مايتم اكتشافه من الآثار ، أو المدونات المكتوبة على جدران المقابر والمعابد المعروفة ممالم تترجم من قبل .

وقد انكب هؤلاء العلماء أيضا على ترجمة ماعثر عليه من برديات مكتوبة بالهيراطيقية والديموطيقية . كما قاموا بدراسة هاتين اللغتين دراسة تصنيفية ، واكتشفوا مفاتيح معانيهما وقواعدهما اللغوية . بل وظهرت « القواميس » الضخمة التى تتضمن معانى النصوص والكلمات لكل طريقة من طرق الكتابات الثلاث [الهيروجليفية والهيراطيقية والديموطيقية] .

وبالإضافة إلى هذا كله ، تخصص علماء عديدون فى دراسة التاريخ المصرى القديم ، والحضارة المصرية القديمة ، والديانات والعقائد التى شاعت بين قدماء المصريين فى مختلف عصور التاريخ القديم .

● الإجيبتولوجى الآن :

لقد اتسع نطاق هذا العلم بسبب تراكم الكتب والمراجع والبحوث والدرسات

المتخصصة فيه . . بحيث يسهل القول بصدق الآن انه قد أعيد اكتشاف مصرالقديمة مرة أخرى طبقا لما يتم العثور عليه من الوثائق المصرية أولاً بأول وطبقا لما يتم ترجمته من الوثائق والنصوص المعروفة والتى لم تكن قد ترجمت من قبل .

والآن أصبح من اليسير على أى عالم يتخصص فى الإجيبتولوجى أن يجد المراجع والقواميس المتخصصة فى هذا العلم . . قواميس عن الآثار . . وقاموس عن الملوك والفراعنة ، وقواميس عن الأسماء الجغرافية وأسماء المناطق الأثرية . وقواميس عن أسماء الشخصيات والأفراد العاديين [من غير الملوك] ممن كان لهم دور ما فى التاريخ المصرى القديم . . وقواميس طبوجرافية وببليوجرافية تعتبر من المراجع الهامة لمعرفة جميع المناطق الأثرية فى مصر وموجوداتها .

وهناك أيضا دراسة ببليوجرافية تصدر سنويا متضمنة تعريفا مختصراً لنحو ألف من الكتب والدراسات والبحوث العلمية التى صدرت على مدار كل سنة .

وهناك أيضا (٨) دوريات متخصصة بأكملها فى الدراسات الإجيبتولوجية ، وعدد كبير آخر من الدوريات المتخصصة فى موضوعات أثرية أعم ، ولكنها تتضمن غالباً بحوثا ودراسات إجيبتولوجية .

وهناك كذلك النشرات العلمية التى تصدرها المتاحف . والحوليات التى تصدرها الكليات والمعاهد العلمية المتخصصة فى الدراسات المصرية القديمة .

● مصرالقديمة تغزو عقول العالم :

وهكذا أصبحت مصر القديمة محل اهتمام عام بين جماهير غفيرة من العلماء والمتخصصين والمثقفين والقراء العموميين فى معظم أنحاء العالم ، إن لم يكن فى كل أنحاءالعالم . خصوصاً بعد أن انتشرظهور المئات من الكتب العامة الخفيفة البعيدة عن التعقيدات الأكاديمية ، وأصبحت تطبع منها ملايين النسخ . وتتناول هذه الكتب أدق المعلومات عن آثار ومعجزات مصر القديمة ، ومعالم الحضارة المصرية القديمة بصفة عامة .

كذلك فإن معظم الجامعات العالمية تتضمن أقساماً أومعاهد علمية للدراسات الإجيبتولوجية . بالإضافة إلى عقد مئات من المحاضرات العامة التى تقبل عليها

الجماهير من كل صوب للاستماع إلى أحدث المعلومات عن مصرالقديمة وقدماء المصريين .

ومع ذلك فيمكن القول بأن علم الإجيبتولوجى مازال فى بداياته ، ومازال أمامه مزيد من التوسع والسعى إلى الشمول . . ولا غرابة فى ذلك فالإجيبتولوجى يغطى مساحة زمنية تمتد إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة . ويغطى مساحة إقليمية واسعة الحدود، تتضمن مصر نفسها بوجهيها القبلى والبحرى ، وواحاتها وشبه جزيرة سيناء ومنطقة كبيرة من السودان، وبعض مناطق فلسطين وسوريا ولبنان .

وربما كانت المنشورات الخاصة بأحد مواسم الحفائر الأثرية بمصر التى قد تستغرق أحيانا بعض أسابيع أو شهوراً قليلة ، تستلزم لدراستها سنوات عدة ، وقد تتطلب هذه الدراسة معاونة علماء آخرين فى مختلف التخصصات .

● الإجيبتولوجى . . علم متشعب :

ومن هؤلاء العلماء والدارسين من تخصصوا فى الأعمال الفنية للحفائر وعمليات الاستكشاف ، ومنهم من تخصصوا فى عمل قوائم الجرد والمسح العام للمنطقة الأثرية والآثار التى يتم العثور عليها ، وكتابة الشروح التاريخية والفنية عن الآثار ، ومن تخصصوا فى رسم خطط التصميم الهندسى والمعمارى للمقابر والمعابد والآثار الأخرى ، ومن تخصصوا فى فن التصوير الفوتوجرافى وعمل الرسوم المستنسخة طبق الأصل للنصوص المنقوشة أو المحفورة بالحفر الغائر أوالبارز .

ويشترك فى هذه الدراسات أيضا علماء الفيلولوجى [علم يتضمن دراسة فقه اللغات التاريخية القديمة] الذين ساهموا فى دراسة وتحليل اللغة المصرية القديمة المكتوبة بالهيروجليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية أو القبطية القديمة .

ويشترك فيها كذلك العلماء المتخصصون فى دراسة الفنون البدائية والفنون القديمة ، والعلماء المتخصصون فى دراسات الديانات والعقائد القديمة . بالإضافة إلى الاستعانة بالعلماء المتخصصين فى علوم أخرى تستلزمها الدراسات الأثرية ، مثل علوم الجيولوجى وتاريخ ما قبل التاريخ ، والتاريخ الطبيعى ، والأحياء الحيوانية والنباتية ،

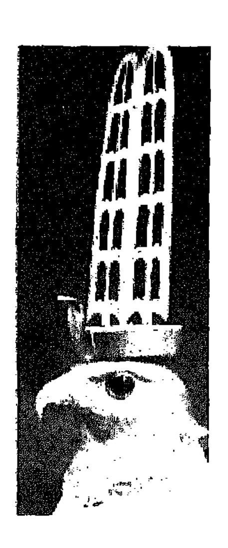
والكيمياء، وعلوم الانثروبولوجى ، والدراسات اليونانية القديمة ، وعلم الإثنولوجى وعلم دراسة الثقافات الانسانية المقارن .

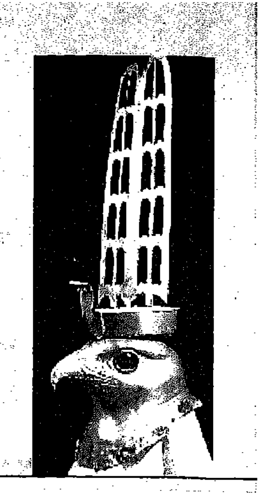
● الإجيبتولوجى والمستقبل :

وهكذا يمكن القول بأن علم الإجيبتولوجى قد ظهر ونما بفضل العديد من الأساتذة الكبار والعلماء الأفذاذ الذين اجتهدوا بلا كلل ولاملل حتى جعلوا لهذا العلم الوليد كيانا متميزا مستقلا كما يظهر بصورته اليوم . .

وقد يثور تساؤل بعض العلماء والمثقفين : وماذا بعد ؟ . . وهل هناك احتمال للعثور على المزيد من الآثار المصرية ومعرفة مكنونات وأسرار أخرى للحضارة المصرية القديمة . . ؟!

وإلى هؤلاء نقول : أن علم الإجيبتولوجى مازال فى طفولته المبكرة . . وثمة حقيقة واضحة لايمكن إغفالها ولا انكارها . . وهى أن قرونا عديدة قد انقضت من التاريخ المصرى القديم قبل أن يظهر هذا العلم الجديد ، وعلى هذا العلم أن يسبر غورها . . ومازال هناك الكثير من المجهول الذى سيصبح معلوماً فى يوم ما . .





الإجيبتومانيا .
أو ظاهرة الافتتان بالمصريات

كلمة « مانيا» عبارة عن كاسعة تلحق بآخر كلمة ما ، فتفيد معنى الجنون أو الهوس أو الولوع الشديد بشيء ما ، كما تفيد معنى المس ، وهوأيضا ضرب من ضروب الجنون يتميز بالانفعال الشديد فى الا نعطاف نحو شيء ما ، أو الافتتان المطلق بهذا الشيء .

وبهذا يمكن تفسير ظاهرة « الإجيبتومانيا » بأنها نوع من الولوع أو الافتتان الشديد بمعرفة المعلومات التى تتصل بمصر وتاريخها وحضارتها القديمة . وهى ظاهرة عامة تفشت بين عشرات الملايين من الناس على مدى آلاف السنين . وانتشرت فى مشارق الأرض ومغاربها ، بين معظم الشعوب التى تنتمى إلى حضارات أخرى غير الحضارة المصرية .

وفى ضوء هذا التفسير ، فلم يكن غريباً ذلك الخبر الذى نشر فى إحدى الصحف المصرية ، ومفاده وصول فوج من « ١٢٠ » أمريكياً يمثلون إحدى الطوائف الكبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية . ويعتقد المنتمون إلى هذه الطائفة أنهم ينحدرون من «أصل فرعونى » . ويقومون بممارسة الطقوس الفرعونية القديمة ، ويدينون بنفس المعتقدات الفرعونية . وأن « المستر مايكل فايدر » و« المسز بروك داهزا » رئيس ونائب رئيس هذه الطائفة التقيا بالمسئولين عن السياحة واتحاد الغرف السياحية المصرية ، لتنظيم برامج مستمرة لهذه الطائفة التى تعتقد أنها فرعونية الأصل ، من أجل نشر وتدعيم الثقافة الفرعونية فى أمريكا .

● قدماء المصريين الأمريكيون :

وبالرغم من صياغة هذا الخبر بتلك الطريقة السطحية ، إلا أن الخبر فى حد ذاته

يجرنا إلى بعض الحقائق التى قد تكون غائبة عن أذهان الكثيرين . ففى الولايات الولايات المتحدة الأمريكية يعيش أكثر من ثلاثة ملايين فرد - من الجنسين - يعتنقون ديانة « آتون » ويقيمون نفس الصلوات التى كان يقيمها اخناتون أول الموحدين وواضع نصوص تلك الصلوات .

وهناك أيضا عدد مماثل من الأمريكيين يعتنقون ديانة « إيزيس » . بل ويعتقدون أن هذه الديانة التى تقوم أساساً على فكرة التثليث [إيزيس وأ وزيريس وحورس] شديدة القرب من عقيدة التثليث فى الديانة المسيحية . كما أن هناك نحو مليونين يعتنقون ديانة « رع » .

أما عدد الأمريكيين الذين يعتقدون أنهم ذوو أصول فرعونية ، فيبلغ نحو عشرة ملايين فرد منتشرين فى طول الولايات الامريكية وعرضها ، وتربطهم جمعيات ونواد عديدة تترابط فيما بينها فى شكل اتحادات تصدر عنها مجموعة من الجرائد والمجلات التى ترعى شئون هذه الطوائف كلها .

وبالنسبة لأفراد هذه الطائفة الأخيرة ، فيعتقد بعضهم أنهم قد عاشوا بأنفسهم حياة سابقة بين قدماء المصريين . وكثيرون منهم يعتقدون أنهم قادرون على تحديد العصر الذى كانوا يعيشون فيه من بين العصور المختلفة فى التاريخ المصرى القديم . كأن يكونوا قد عاشوا فى عصر بناة الأهرام مثلا . بل ويعتقد بعضهم أنهم قد اشتركوا فى بناء هرم معين من بين عشرات الأهرام التى بنيت فى مصر . أوعاشوا أثناء حرب تحرير مصر من الهكسوس ، وأنهم قد اشتركوا فى جيش التحرير تحت قيادة « أحمس » كضباط محاربين أو جنود مقاتلين . ويذرف بعضهم دموعاً حقيقية حين يتذكرون كيف استشهدوا فى الحروب دفاعاً عن مصر وعظمتها السالفة . وبطبيعة الحال فإن جميع الأفراد المنتمين إلى مثل تلك الطوائف يواظبون على دراسة التاريخ المصرى والحضارة المصرية القديمة، ويستفيضون فى تلك الدراسة ، مع الحرص على مزجها برؤيتهم الشخصية الخاصة ، كل حسبما يهوى أو يتخيل أو يرتضى .

كما أن جمعياتهم ونواديهم تحفل بالأساتذة المتخصصين الذين يرشدونهم أو

يساعدونهم فى الاندماج فى العقيدة ، ومعاونتهم بطرق مختلفة على التأمل الفكرى حتى يتذكروا على وجه التحديد العصر التاريخى المصرى الذى كانوا يعيشون فيه ، أو تذكر أسمائهم السابقة وانتماءاتهم العائلية ، والمهن أو الحرف التى كانوا يشغلونها حين كانوا يعيشون فى حياتهم السابقة على أرض مصر القديمة .

● قدماء المصريين كانوا يعشقون تاريخهم القديم !

والمصريون - خصوصاً القدماء - كانوا من أكثر شعوب العالم اعتداداً بتاريخهم . وكانوا ينظرون إلى ماضيهم باستمرار نظرات ملؤها الاحترام والتقديس .

ويمكن القول بأن ظاهرة الإجيبتومانيا كانت منتشرة أيضا أيام قدماء المصريين ! وكانت تأخذ صورة التغنى دائما بالماضى باعتباره أفضل من الحاضر الذى كانوا يعيشون فيه . فالمصرى القديم الذى كان يعيش فى بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة مثلا [سنة ١٥٥٠ ق م] كان ينظر إلى المصريين الذين كانوا يعيشون فى عصر بناة الأهرام فى الأسرة الرابعة [سنة ٢٦٨٠ ق م] باعتبارهم من المصريين القدماء . وذلك على أساس أن الفاصل الزمنى بينه وبينهم كان يتجاوز ألف ومائة عام . وبطبيعة الحال فإن مصريى الأسرة الثامنة عشرة كانوا يقفون مبهورين فاغرى الأفواه أمام عظمة الأهرام وتمثال أبى الهول .

وقد تمكنت ظاهرة الإجيبتومانيا من أحد أبناء الفرعون العظيم رمسيس الثانى ، وهو الأمير « خع إم واس » الذى بذل حياته كلها فى سبيل تحقيق هدفه الأسمى فى إحياء تراث المصريين الأقدمين . فقام بنهضة ترميمية كبرى ، شملت المعابد والمنشآت المعمارية التى بناها الفراعنة الأقدمون ، وترأس دعوة ثقافية لإحياء العديد من العادات والتقاليد والحكم والنصوص الأدبية القديمة .

غير أن ظاهرة الإجيبتومانيا ظهرت أوضح ماتكون فى عصر الأسرة السادسة والعشرين [سنة ٦٦٣ ق م] حيث تبلورت فلسفة الحكم فى دعوة الشعب المصرى إلى إحياء تراث أجداده بطريقة عملية ، شملت الفنون من رسم وتصوير ونحت وعمارة ، كما شملت الآداب والعلوم التى ظلت تتوارث بين المصريين على مدى آلاف السنين . وذلك لدرجة

أن علماء الإجيبتولوجى يقولون أن عصر هذه الأسرة - وهو المعروف تاريخياً باسم العصر الصاوى - كان بمثابة الصحوة التى سبقت موت الحضارة المصرية القديمة قبل اندثارها . وكان ذلك العصر يحاول ما أمكنه تقليد كل مفاخر الحضارة المصرية والتاريخ العظيم الذى سطره الشعب المصرى القديم على أرض بلاده .

● انتشار الإجيبتومانيا بين الإغريق والرومان :

وفى الفترة التى وقعت فيها مصر تحت حكم البطالمة والرومان ، وهى فترة طويلة امتدت نحو ألف عام [من سنة ٣٣٢ ق م إلى سنة ٦٤٠م] ، تفشت ظاهرة الإجيبتومانيا بين كل شعوب العالم القديم الذين حكمتهم الامبراطورية الإغريقية والامبراطورية الرومانية من بعدها . ولكن الظاهرة اتخذت أطواراً متباينة وأشكالاً عدة .

ناهينا عما فعلته الإجيبتومانيا بالاسكندر الأكبر حين جاء مصر غازياً سنة ٣٣٢ق . م، وأخبار تلك الرحلة الشاقة التى قام بها مخترقاً الصحراء الغربية حتى وصل إلى واحة سيوة ليستشير الإله « آمون » عن ماضيه وعن مستقبله . وخرج الاسكندر الأكبر بعد تلك الاستشارة وهو يعتقد أنه ابن الإله المصرى آمون ، وأن مدينة الاسكندرية التى شرع فى بنائها على الشاطىء المصرى ستصبح عاصمة لامبراطوريته الواسعة التى وعده بها آمون .

أما أثرالإجيبتومانيا بين البطالمة ، فقد طبع عصرهم كله ، منذ بدايته على يد بطلميوس الأول « سوتر» حتى نهايته بانتحار كليوباترا السابعة سنة ٣١ ق م . فقد تشبه جميع ملوك وملكات البطالمة بالفراعنة ، فلبسوا أردية مماثلة لملابسهم ، ووضعوا على رؤوسهم تاجى الوجه البحرى والوجه القبلى تماماً مثلما كان يفعل الفراعنة . وأقاموا المعابد الضخمة على نمط المعابد المصرية القديمة ، كما أنشأوا مكتبة الاسكندرية التاريخية العظيمة ، حيث جمعوا فيها أمهات الكتب من التراث المصرى العريق فى كافة العلوم الطبيعية وعلوم ماوراء الطبيعة .

ومن أغرب ظواهر الإجيبتومانيا فى العصر البطلمى ، ما أشيع أيامئذ عن تماثيل

أمنحتب الثالث الضخمين اللذين أقامهما بمعبده الجنائزى بغرب طيبة . فقد نسبهما البطالمة إلى « ممنون » وأطلقوا عليهما اسم « تمثالى ممنون » وهو الاسم الخطأ الذى مازال شائع الاستعمال حتى وقتنا الحاضر .

ويزعم الإغريق أن « ممنون » هذا كان ملكاً فارسياً أو حبشياً ، اشترك فى حروب طرواده إلى جانب أهلها ، ولكن « آخيل » صرعه أثناء القتال . ومن الغريب أن البطالمة قد نقبوا عن آثار ممنون فى مصر . وتخيلوا خطأ أنه كان صاحب أحد قصور أبيدوس [العرابة المدفونة بمحافظة سوهاج] ونسبوا إليه هذين التمثالين اللذين أقامهما أمنحتب الثالث بغرب الأقصر قبل عصر البطالمة بنحو مايزيد عن ألف ومائتين وخمسين سنة .

وفى عصرالبطالمة أيضا شاعت أسطورة مؤداها أن هذين التمثالين يرسلان أصواتا موسيقية شجية عند طلعة الشمس كل صباح . وقيل أن هذه الموسيقى كانت تعزفها روح ممنون تحية إلى أمه الثكلى .

ونتيجة لشيوع هذه الأسطورة فى جنوب أوربا ، نشأ نوع من « الحج » لزيارة هذين التمثالين زيارة دينية مقدسة . فتوافد - خلال العصراليونانى الرومانى - مئات الآلاف من الحجاج اليونان والرومان القدماء . وخلدوا تلك الزيارات فى مئات من القصائد الشعرية والكتابات الوصفية النثرية .

بل وقيل أيضا أن الامبراطور هادريان قد حج إلى هذين التمثالين سنة ١٣٠م واستمع إلى صوت الموسيقى الصادرة من أعماقهما قبل شروق الشمس . وأن الامبراطور قد تأثر من ذلك تأثراً عظيما ، وطلب من إحدى الشاعرات الرومانيات وتدعى «بالبيلا» أن تنظم قصيدة خاصة لتسجيل تلك الزيارة .

كذلك فقد كانت الأوصاف التى شاعت فى روما عن الأهرام والمعابد والتماثيل الضخمة والمسلات من الأسباب التى أدت إلى انتشار الإجيبتومانيا بين الرومان شعبا وحكاماً وأباطرة ، فكانوا يحضرون إلى مصر زرافات ووحدانا ليتمتعوا بمشاهدة الآثار المصرية ، وليملأوا عقولهم بها اشتاقوا إليه من المعلومات عن الحضارة المصرية . وكانوا كلهم على يقين بأن تلك الحضارة بكل جوانبها الثقافية والعلمية ، كانت السبب



تمثالا ممنون . . كانا فى الأصل تمثالين للملك امنحوتب الثالث أقيما بمدخل معبده بالبر الغربى للأقصر ، وهو المعبد الذى اندثر تماماً ولم يعد باقياً منه سوى هذين التمثالين .

المباشر فى النهضة العلمية التى حدثت فى أثينا وشملت العلوم كلها من أدب وحكمة وأخلاق ، وعلوم تتناول البحث فى أصل الكون والميتافيزيقا ، والعلوم الرياضية والهندسية وعلوم القوانين المدنية والجنائية .

وكانوا على يقين أيضا من أن الآلهة المصرية القديمة قد طبعت الآلهة اليونانية والآلهة الرومانية بالتالى بصفاتها وخصائصها الذاتية . بل وعبدت صراحة بعض الآلهة المصرية فى كل من أثينا وروما من بعدها . وعلى سبيل المثال فقد انتشرت عبادة إيزيس حتى بين أفراد الشعب العاديين ، الأمر الذى خشى معه شيوخ روما وحكامها من طغيان عبادة الآلهة المَصرية القديمة على عبادات الآلهة الرومانية نفسها ، فأصدروا فى كثير من الأحيان قوانين تحرم عبادة الآلهة المصرية فى روما ، أو إقامة الطقوس والشعائر الدينية حسب الطرق المصرية .

● إيزيس . . والسحر . . والعلاج بمسحوق المومياوات :

وفى القرون العشر الميلادية الأولى ، كانت أوربا – خصوصاً شمالها – تعيش فى عتمة حضارية بلغت حد الظلام الدامس فى أغلب الأحيان . وبينما كانت الديانة المسيحية تتسلل وئيدة الخطى بين شعوب شمال وشمال غرب أوربا ، كانت الديانات الوثنية تسيطر على عقائد تلك الشعوب سيطرة تامة . وكانت عبادة إيزيس على رأس تلك الديانات . حيث أقيمت لها المعابد فى المناطق التى كانت تعيش فيها القبائل الجرمانية ، والقبائل والجماعات البشرية الأخرى التى كانت تعيش فى كل من السويد والنرويج والدنمارك وسواحل البلطيق .

ويقول بعض علماء الإثنولوجيا الذين تخصصوا فى عقد المقارنات بين الثقافات الإنسانية القديمة ، إن أسطورة إيزيس وحورس قد انتقلت إلى بعض الأساطيرالتى قيلت حول « بوذا » فى منطقة جندهارا بشمال الهند . ثم انتقلت هذه الأساطير بدورها إلى بطاح الصين حيث اتخذت إيزيس هناك صورة ملكة السماء « كوان يين » التى ساد مُلكها أيضا على البحار ، وهى نفس الصفة التى اتخذتها إيزيس فى مصر ومنطقة شرق

البحر المتوسط حيث اعتبرت فى بعض الاحيان إلهة للبحار .

ومن الصين انتقلت أسطورة إيزيس إلى اليابان ، حيث اتخذت صورة الالهة «كوانون» .

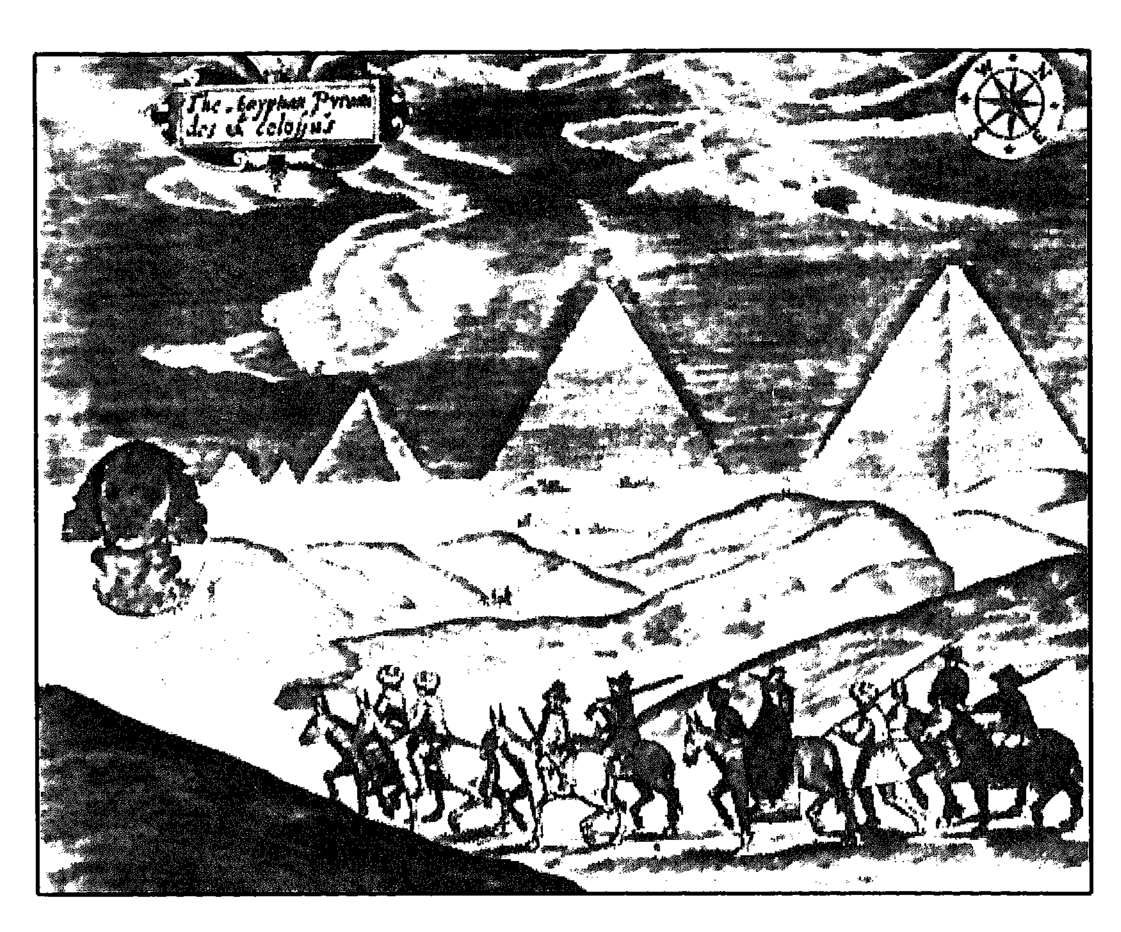
ونظراً لوجود العديد من المسلات المصرية التى نقلها أباطرة الرومان القدماء ونصبوها فى ميادين روما ، فقد شاعت فى طول أوربا وعرضها خرافات عن الدلالات السحرية الكامنة فى الرموز والحروف الهيروجليفية المكتوبة حفراً على أسطح تلك المسلات .بل لقد وصل الأمر إلى انتشار « علم سرى » كان يتداوله علماء الكيمياء والسحرة وأعضاء الجماعات الدينية السرية ، ومفاده أن لكل حرف أورمز هيروجليفى دلالة سحرية خاصة تؤدى مفعولها باتباع التركيبات أوالترتيبات التى يمارسها القادرون من هؤلاء السحرة .

وفى أثناء عصرالنهضة وفى أعقابه ، شاعت بين كثير من الشعوب الأوربية خرافة طبية مؤداها أن قليلا من مسحوق مومياء مصرية كفيل لعلاج العديد من الأمراض . وكان الأطباء ومدعو القدرة على تحقيق شفاء المرضى يقومون بتركيبات الأدوية المناسبة باستخدام مساحيق المومياوات المصرية فى شكل سفوف أوشراب أوأدهنة ومراهم حسب تشخيص المرض ، وحسب طبيعة وأثر الجزء المسحوق من المومياء .

وكان من آثار شيوع هذا العلاج الخرافى ، أن وفد إلى مصر كثير من أفاقى أوربا الذين نبشوا القبور المصرية التى ترجع إلى العصور الفرعونية ، ونقلوها إلى أوربا لبيعها إلى الأطباء وأدعياء العلاج لاستخدامها فى تحقيق الشفاء لمرضاهم .

● الاجيبتومانيا فى أوربا . . مرة أخرى :

وفى خلال القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر ، وفد إلى مصر كثير من الفنانين والرحالة الأوربيين الذين رسموا مئات اللوحات عن مظاهرالحياة الشرقية التى كانت سائدة فى مصر خلال تلك الفترة ، وعن الآثار المصرية الضخمة ، خصوصاً الأهرام وأبوالهول وغير ذلك من المسلات والمعابد الفرعونية الضخمة التى تطل



رسم قديم يرجع تاريخه إلى عام ١٦١٠ م يصور مجموعة من السياح الأوربيين ومعهم بعض المرشدين المصريين اثناء زيارة أهرام الجيزة وأبى الهول

أجزاء منهامن بين الرمال التى دفنتها فى الأزمان الغابرة . وبالتالى فقد عادت الإجيبتومانيا إلى الانتشار مرة أخرى وعلى نطاق واسع بين طبقات المثقفين فى أوربا . وبدأت فى الانتشار أيضا مبادىء اهتمام جدى بالبحث فى تاريخ مصر القديمة وقدماء المصريين بصفة عامة .

وفى السنوات الثلاث الأخيرة من القرن الثامن عشر ، وفد نابليون بونابرت على رأس حملته إلى مصر . وكثيرمن المؤرخين يعتبرون هذا الحدث بداية لتاريخ مصرالحديثة . وكثير منهم يعتبرونه أيضا بداية لانطلاقة جديدة لظاهرة الإجيبتومانيا وانتشارها على مستوى العالم فى خلال القرن التاسع عشر وحتى الآن .

وتنحصر أسباب انتشار الإجيبتومانيا على هذا النحو فى مصدرين :

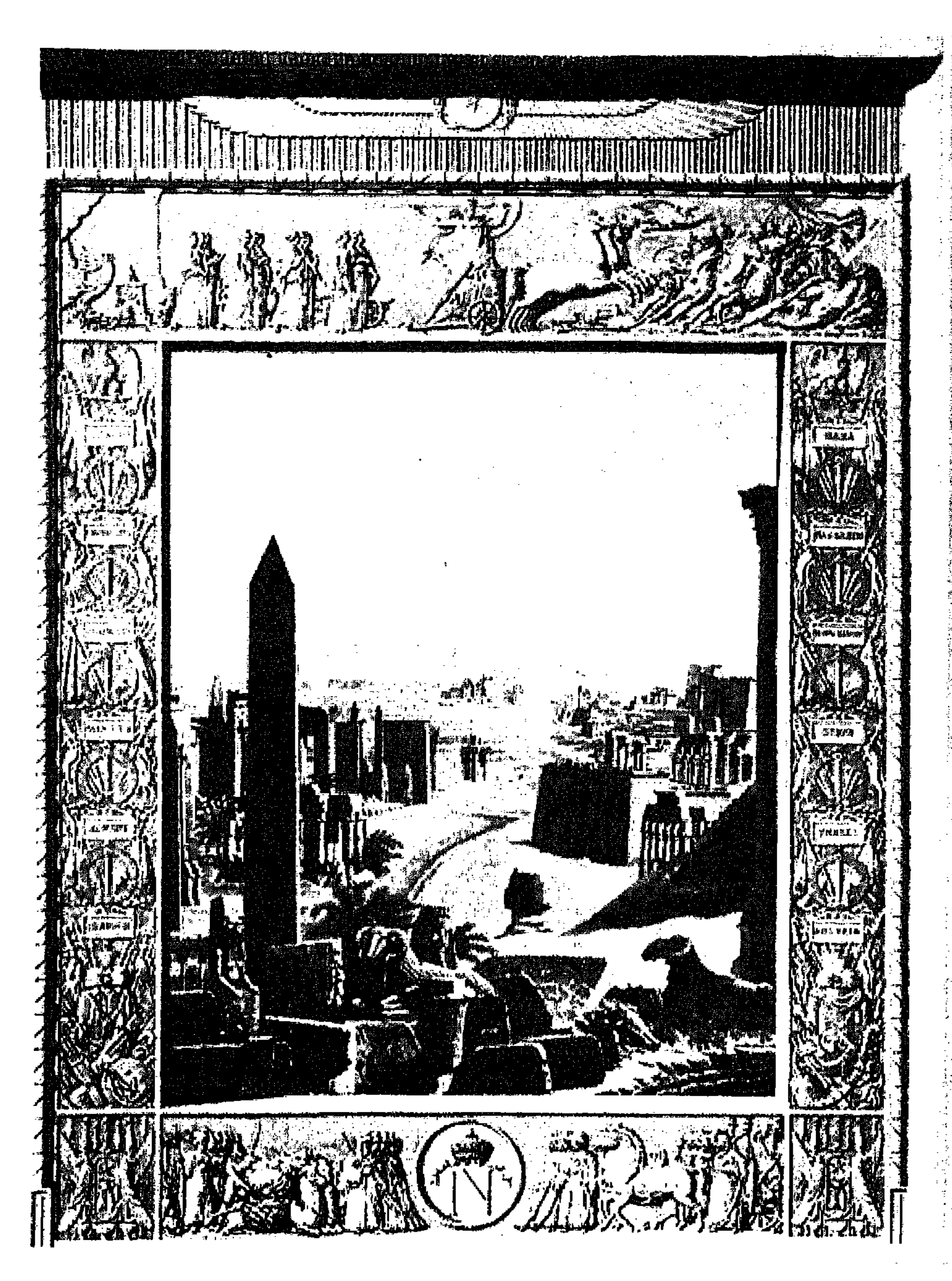
المصدر الأول كتاب « وصف مصر» الذى يتكون من ٢٦ جزءاً . وهو الكتاب الذى انشئت له مطبعة خاصة فى فرنسا ، والذى كان سببا لتوجيه اللوم لنابليون بونابرت لأنه لم يأمر بتأليف كتاب مثله عن فرنسا نفسها .

أما المصدر الثانى فهو عثور أحد ضباط الحملة الفرنسية على حجر رشيد بالقرب من قلعة قايتباى برشيد . وكان هذا الحجر العظيم المفتاح الذى فتح أبواب الأسرار المصرية القديمة التى دونها قدماء المصريين على المسلات وجدران المعابد والمقابر ، وانتشرت بالتالى آلاف المعلومات الجديدة عن التاريخ المصرى القديم .

● صدام مروع بين الكنيسة الكاثوليكية وعلم المصريات :

غير أن الولع بالمعلومات المصرية كان سائداً بين بعض العلماء فى فرنسا قبل قيام الثورة الفرنسية . ولكن بطبيعة الحال ، فقد كان صوت المصريات خافتاً فى تلك الفترة، بينما كان الصوت المدوّى فى عالم المعرفة الأوربية فى تلك الفترة هو صوت القساوسة وعلماء الدين المتمسكين بأهداب تعاليم الكنيسة الكاثوليكية .

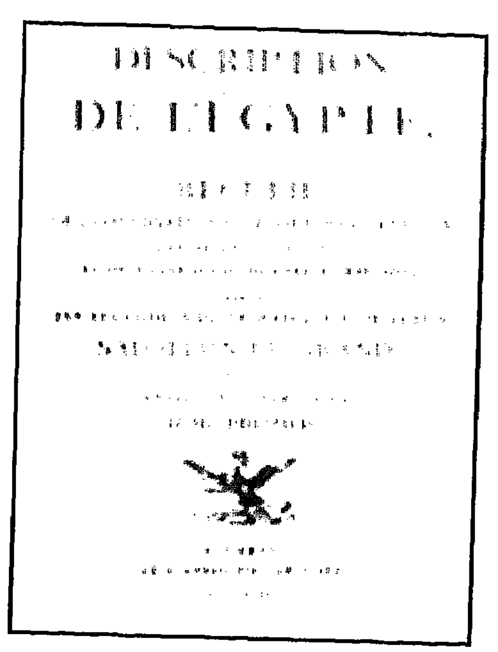
وفى عام ١٧٩٣ م - أى قبل الحملة الفرنسية علي مصر بنحو خمس سنوات - حدث صدام مروع بين الكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها البابا ليون الثانى عشر بنفسه ، وبين علم المصريات الذى كان فى إرهاصاته الأولى فى تلك الفترة . فى ذلك العام ، قام عالم



الغلاف الخارجي لكتاب وصف مصر . ويتضمن صورة مركبة لبعض المناظر التي رسمها فنانو الحملة الفرنسية للآثار المصرية . ويتوسط الضلع الأسفل من الإطار التاج الامبراطوري الذي اتخذه نابليون شعاراً له بعد أن أصبح امبراطوراً على فرنسا



الفنان دينـون



DESCRIPTION

DE L'ÉGYPTE,

. الغلاف الداخلى الذى يحمل عنوان المجلدات المكتوبة من كتاب وصف مصر ، وعددها ٢١ مجلداً بالاضافة إلى المجلدات التى تتضمن اللوحات التى رسمها فنّانو الحملة الفرنسية للآثار القديمة ومظاهر الحياة المصرية فى أواخر القرن الثامن عشر . وقد اشترك فى تحرير هذا لكتاب ١٤٦ عالماً وفنانا من الفرنسيين ، على رأسهم الفنان « دومينيك فيفان دينون » الذى اشترك فى رسم مجلدين كاملين من هذا الكتاب . وقد أنعم عليه نابليون بلقب بارون اعترافا بفضله وجهوده أثناء الحملة



الفنان الرسام الانجليزى « دافيد روبرتس » . . ولد عام ١٧٩٦ ومات عام ١٨٦٤ م . كانت رسومه للآثار المصرية خلال عامى ١٨٣٨ / ١٨٣٩ من أهم العوامل التى أثارت الانتباه إلى هذه الآثار فى أوربا . وأدت إلى زيادة أعداد الزوار الأوربيين الذين وفدوا إلى مصر لمشاهدتها على الطبيعة . كما كـانت هـذه لرسوم ـ ومـازلت ـ سجـلاً لحالة معظم المعابد المصرية فى خلال فترة الثلاثينيات من القرن التاسع عشر

فرنسى اسمه « ديبوى » بتأليف كتاب أحدث ضجة مدوية فى الأوساط الثقافية والدينية فى فرنسا . . كان ديبوى قد درس علم الفلك والبروج السماوية . . ونتيجة للحسابات التى أجراها هذا العالم على حركة البروج عبر التاريخ ، توصل إلى معلومات مؤكدة طبقا لهذه الحسابات .

وأول هذه المعلومات أن المصريين القدماء هم أول من اخترع رسم البروج السماوية بأشكال محددة . وثانيها أن عمر البروج المصرية يبلغ نحو ١٣ ألف أو ١٥ ألف سنة قبل الميلاد .

ونتيجة لتلك المقدمة خرج ديبوى بنظرية تقول : « إن شعباً من الشعوب لا يستطيع أن يخترع هذه البروج فى مستهل حضارته . ولذلك فلا بد أن الحضارة المصرية ترجع إلى أبعد من ١٥ ألف سنة بآلاف أخرى من السنين » .

ومن الناحية النظرية ، يمكن مناقشة النتائج التى توصل إليهاهذا العالم مناقشة علمية ، أى أن تقرع الحجة بالحجة ويقرع البرهان بالبرهان . ولكن الذى حدث فعلاً أن هذه النتائج قد اصطدمت بعنف بالمبادىء الدينية الثابتة التى تأخذ بها الكنيسة لسبب بسيط ، وهو أن هذه المبادىء تنص عليها التوراة بشكل واضح وقاطع وصريح . .

فطبقا لحسابات التوراة ، فإن أقصى مدة قدرت منذ خلق الانسان على الأرض حتى رسالة عيسى عليه السلام هى «٥٥٨٩»سنة فقط . . فكيف يأتى أحد العلماء ويجترىء على هذا الحساب مدعياً أن هناك مصريين قدماء عاشوا منذ أكثرمن ١٥ ألف سنة قبل مولد المسيح . . ؟ ! وشهرت الكنيسة سلاح التكفير أمام كل من يجرؤ على الإقدام فى بحث هذه القضية . ومع ذلك فقد كثر عدد العلماء - وغير العلماء من المثقفين بصفة عامة - الذين أصروا على بحث القضية والإدلاء بآرائهم فيها . فكثر الجدل وحمى وطيس النقاش إلى أن وصل الأمر إلى نشوب معركة عالية الصوت بين المتشيّعين للتوراة ومبادىء الكنيسة ، وبين المتحمسين للنتائج التى تدل عليها الآثار المصرية فيما يخص عمر الانسان على الأرض .

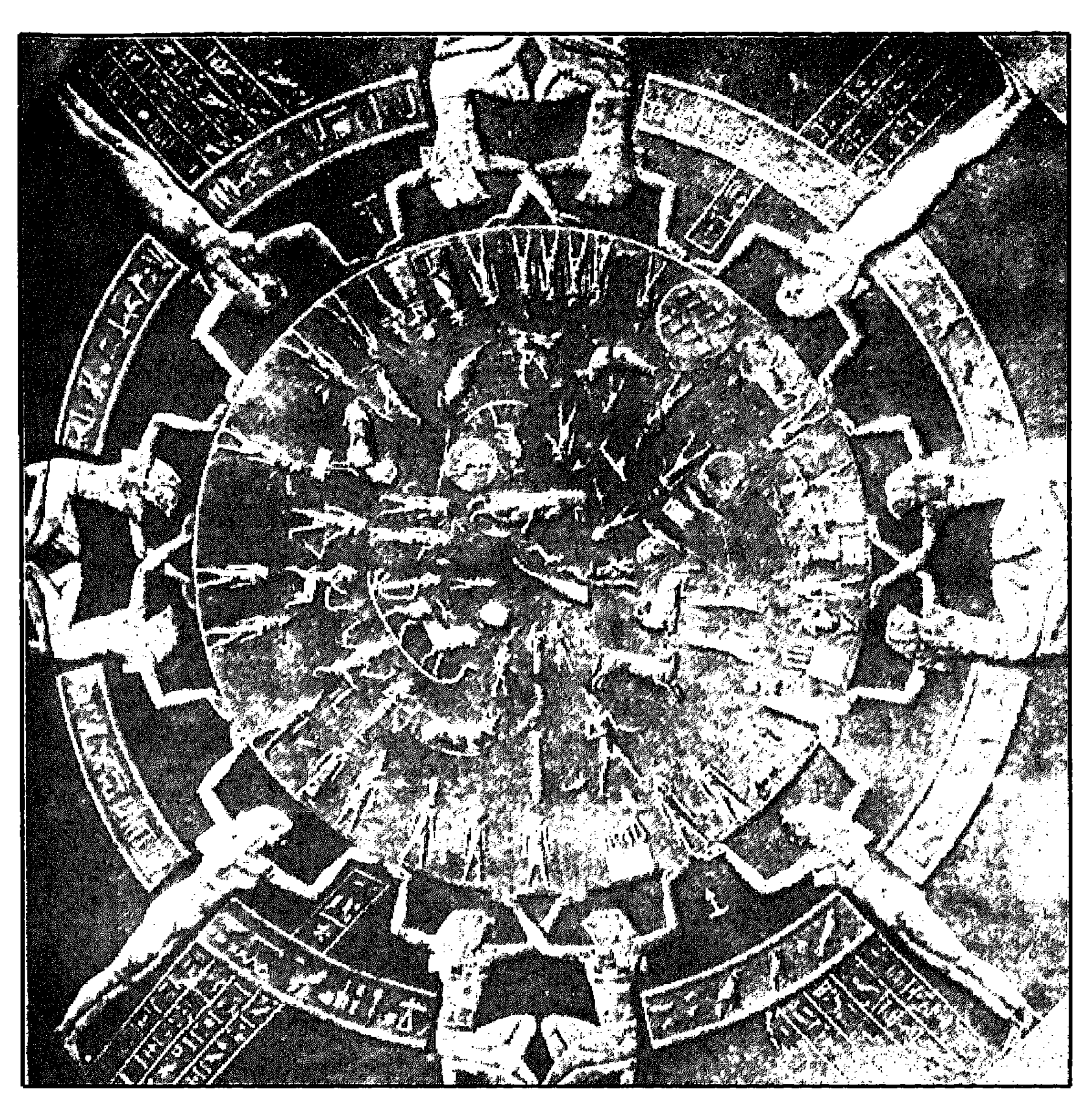
وقد اتسع نطاق هذه المعركة ، فلم ينحصر بين علماء فرنسا ورجال الدين ، بل تعدى هذا النطاق فاشترك فيه علماء ألمان وانجليز . أما المدى الزمنى الذى استغرقته هذه المعركة فقد امتد نحو ٨٧ سنة ، أى من سنة ١٧٩٣ م حتى سنة ١٨٨٠ م ، حيث استسلمت الكنيسة فى النهاية للنتائج التى تدل عليها الآثار المصرية ، وذلك حين إنحاز علماء كبار إلى جانب الآثار المصرية ، وأشهرهم لبسيوس فى ألمانيا ، ولى بيج رينوف فى انجلترا ، ولينورمان فى فرنسا .

وكان حل المشكلة قد تمثل فى تسوية دبلوماسية ذكرها عالم الإيجيبتولوجى الفرنسى «إيمانويل دى روجيه » حيث قال : «إن مبادئنا لاتسمح لنا بأن نتهم المسيحية بأن أركانها تتزعزع من جراء تقدم أى علم من العلوم . ونحن على يقين تام من أن سلسلة التواريخ المصرية مهما يكن القدم الذى تنقلنا إليه ، ستأخذ مكانها فى العلم الحديث ، بجانب العلم الذى يبحث فى كيفية تكوين طبقات الأرض والعلم الذى يبحث فى القوانين الخاصة بسير الكواكب ، من غير أن يكون ذلك مسيئاً إلى الإيمان المسيحى » .

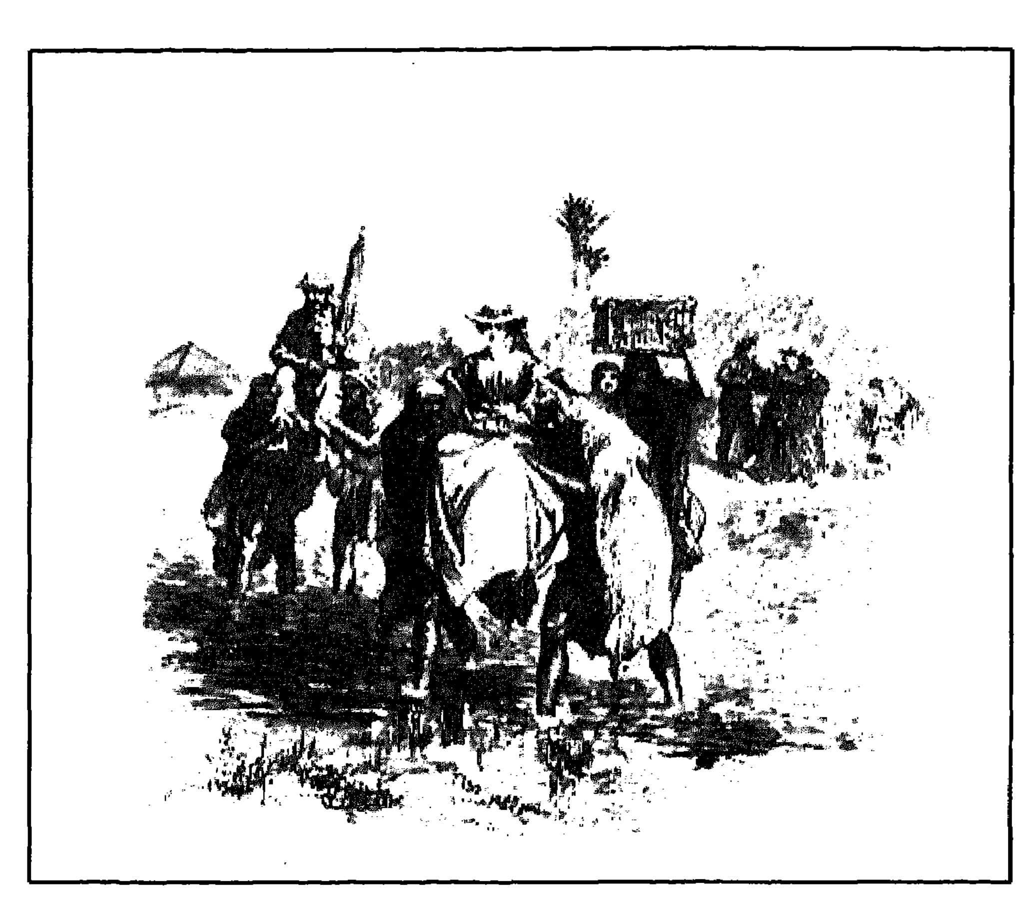
وفى خلال هذه الأعوام السبعة والثمانين التى استغرقتهاالمعركة ، حدثت بعض الخطوات الحاسمة التى رجحت كفة المصريات على موقف الكنيسة . فقد اكتشف شامبليون أسرار الكتابة الهيروجليفية . وبذلك أصبح ماكان يقال على وجه التخمين ، يقيناً لا جدال فيه .

أما أهم الأحداث التى وقعت أثناء استعار المعركة بين المتشيعين للكنيسة والمتحمسين للمصريات ، فهو وصول برج معبد دندره إلى ميناء مارسيليا فى يناير ١٨٢٢ . وما أن عرف هذا الخبر فى فرنسا حتى ذاع فى أوربا كلها . بل قيل إنه لم تبق فى أوربا جريدة واحدة لم تنشر خبر وصول البرج وتفاصيل كثيرة عن المصريين القدماء الذين كانوا يعيشون قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين .

وعندما وصل برج معبد دندره إلى باريس ، سار فى موكب هائل كموكب الغازى المنتصر ، ودقت حوله الطبول وعزفت الموسيقى . . ويبدو أن الناس كانوا مستعدين للوقوف إلى جانب المصريات فى مواجهة الكنيسة ، فالتفوا حول مدلول هذا البرج



فلك البروج الذى كان يزين سقف معبد دندرة . ويظهر فيه الإثنا عشر نقشا كرمز لشهور السنة ، كما قسمت الدائرة الخارجية إلى ٣٦ قسما يرمز كل قسم منها إلى ١٠ أيام حيث كان قدماء المصريين يقسمون الشهر إلى أقسام ثلاثة متساوية بدلاً من تقسيمه إلى أسابيع يتكون كل منها من سبعة أيام



لوحة يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر تصور بعض السياح الأوربيين
أثناء رحلتهم لزيارة منطقة أهرام الجيزة

ومضمونه ، ولم يبق لهم شاغل سوى التحدث فى تاريخ المصريين القدماء والحضارة المصرية القديمة . ونسجوا حول ذلك كله قصصاً وحكايات لا حد لها . ويقول فى ذلك العالم الفرنسى « كاميل روجييه » : «إن هذا البرج صار معبود المتحدثين فى الصالونات وفى أماكن الرياضة وفى كل مكان آخر . . فما كنت تسمع إلا سيدة تقول لصاحبتها : هل رأيت البرج ياعزيزتى . . ؟ وتسمع رجلاً يقول لصاحبه : هاه . . مارأيك فى البرج الآن . . ؟ ! » .

وهكذا انتشرت الإجيبتومانيا بين الفرنسيين فى خلال القرن التاسع عشر .

● الإجيبتومانيا والامبراطورة أوجينى :

وبينما كانت نهضة مصر الحديثة التى قادها محمد على فى بداية القرن التاسع عشر تسبب الذهول فى أوربا ، كان تاريخ مصر القديمة ينتشر كالنار فى الهشيم غازياً عقول المثقفين فى طول أوربا وعرضها . . وقد استهوت دراسة هذا التاريخ القديم عديداً من العلماء الأوربيين الذين تفرغوا لها ووهبوا حياتهم فى البحث والكشف عن خباياها .

وكلما اتسع نطاق المعرفة بالمصريات ، كلما ازدادت أعداد من وقعوا فى حبائل الإجيبتومانيا التى أصبحت ضمن حياتهم اليومية ، بل وجزءاً لا يتجزأ من هذه الحياة . وقد نقلت إلى أوربا فى تلك الفترة أعداد لاحصر لها من التحف والآثار المصرية التى أصبحت مقتنيات خاصة لكثير من الأباطرة والملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون مختلف مناطق أوربا .

ومما يذكر أن الامبراطورة أوجينى – وكانت ممن مستهم الإجيبتومانيا – قد طلبت من الخديو اسماعيل إهداءها مجموعة من التماثيل والتحف والآثار الفرعونية .

وكادت الامبراطورة أن تطير فرحاً عندما أبلغوها بأن مجموعة الآثار التى طلبتها أصبحت جاهزة للشحن إلى فرنسا . إلا أن عالماً فرنسياً من علماء الإجيبتولوجى – وكان مفتتناً أيضا بالمصريات ولكن بطريقة أصدق من افتتان الامبراطورة – تمكن من وقف تصدير المجموعة استناداً إلى قانون أقنع الحكومة المصرية باصداره بشأن منع إهداء أو تصدير الآثار المصرية ، توطئة لإنشاء المتحف الوطنى بالقاهرة لتعرض فيه الآثار



لوحة نادرة للامبراطورة أوجينى . . كانت الامبراطورة مولعة بالآثار المصرية . . وطلبت من الخديو اسماعيل أن يهديها مجموعة من الآثار النادرة ، فلبى الخديو طلبها ولكن ماربيت منعه من ذلك

الفرعونية لجميع الناس من مصريين وأجانب وسياح يفدون إلى مصر أفواجاً أفواجاً من أوربا وأمريكا .

هذا العالم هو « أوجست مارييت باشا » صاحب الفضل الأكبر فى إنشاء وتكوين المتحف المصرى .

وعندما رسّخت انجلترا قواعد احتلالها لمصر بعد عام ١٨٨٢ ، توافد إلى مصر مئات الآلاف من السياح الانجليز والفرنسيين على وجه الخصوص ، والسياح الأوربيين والأمريكان على وجه العموم ، لمشاهدة الاهرام والآثار المصرية الأخرى ، ولمشاهدة مايتم اكتشافه أولاً بأول من الأهرام والمعابد والمقابر القديمة .

● **الإجيبتومانيا الآن :**

وفى أحد أيام ربيع سنة ١٩٢٢ ، اهتزت أسلاك البرق ، ودارت مطابع الجرائد والمجلات ، وأذاعت كل المحطات اللاسلكية فى العالم كله نبأ العثور على مقبرة الفرعون الشاب « توت عنخ آمون » . وقد اعتبر اكتشاف تلك المقبرة أعظم كنز عثر عليه الانسان ، وأعظم اكتشاف أثرى فى القرن العشرين .

وفى الدروس الأولى للمعارف العامة التى يتلقاها الأطفال الأوربيون والأمريكيون طبقا للنظم والمناهج التعليمية السائدة فى عالم اليوم ، يتعلم الأطفال أولى مراحل فهم التاريخ ، مبتدئين بتاريخ مصر القديمة بانية الأهرام ، وتاريخ قدماء المصريين الذين كانوا أول من بنوا بالحجر ، وأول من اخترعوا الكتابة والتحنيط . . وأول . . وأول . . إلى آخر تلك الأوليات التى حققتها الحضارة المصرية القديمة .

ومن المؤكد أن هذه الدروس الأولى التى يتلقاها هؤلاء الأطفال فى هذه السن المبكرة، تنقش على صفحات أذهانهم صوراً ومعلومات مثيرة عن ذلك الشعب المصرى الذى كان يعيش منذ آلاف السنين ، وتمكن من صنع كل تلك الحضارة المبهرة . . ومن ذا الذى يعيش فى عالم اليوم دون أن يكون قد رأى صور الأهرام وأبى الهول وأبى سمبل وأقنعة توت عنخ آمون إلى آخر تلك التحف الأثرية المعروفة والمشهورة على مستوى



صورة تذكارية يرجع تاريخها إلى أواخر القرن التاسع عشر للرئيس الأمريكى « أوليسيسس جرانت » مع بطانة من المسئولين وعلية القوم الأمريكيين أثناء زيارتهم للهرم الأكبر

العالم أجمع . . ؟ ! ومن المؤكد أيضا أن ظاهرة الإجيبتومانيا أصبحت فكرة كامنة فى أذهان ملايين من الناس يعيشون فى مختلف أرجاء العالم ، ويرغبون - بدرجات متفاوتة - فى الارتواء من منهل المتعة الثقافية التى تنفرد بها الحضارة المصرية القديمة ، ويتمنون أن يحضروا إلى مصر ليحصلوا على المعرفة من منابعها الأصلية وليشاهدوا تلك الآثار التليدة التى تجذبهم جذباً .

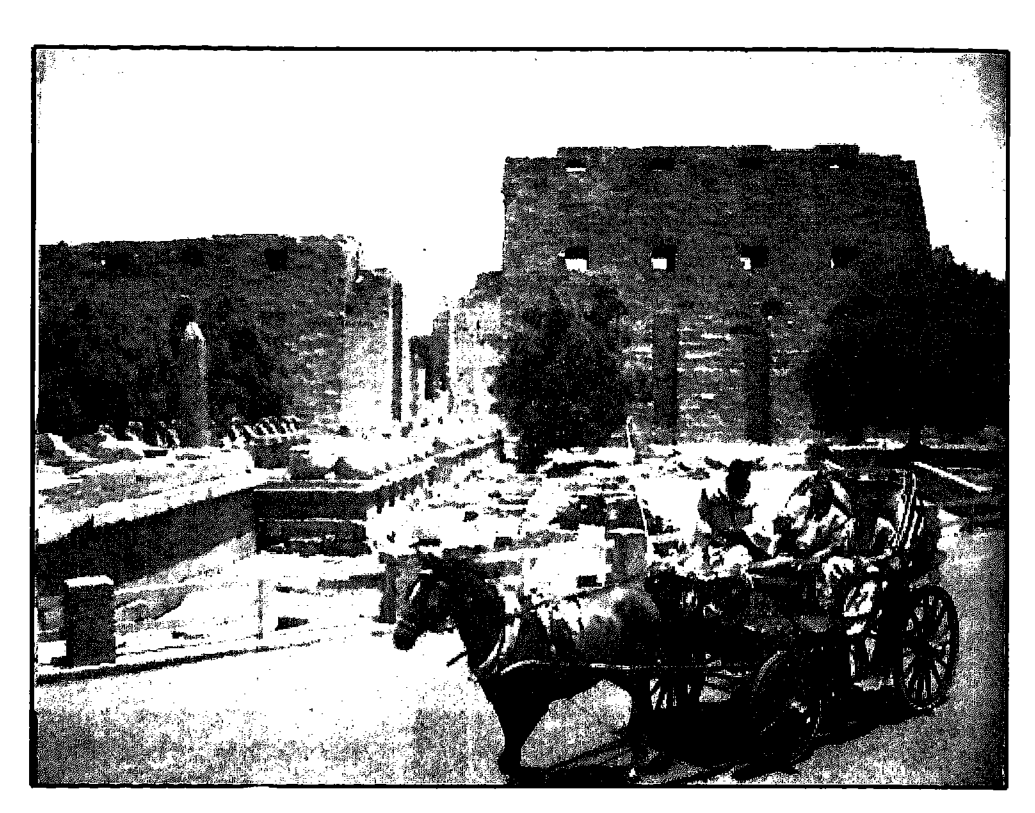
ومن المؤكد كذلك أن ظاهرة الإجيبتومانيا تحل فى أذهان ونفوس الناس بدرجات متفاوتة بطريقة تصاعدية . فهى قد تبدأ بالاكتفاء بالتمتع بمشاهدة الصور والأفلام التى تعرض الآثار المصرية ، ثم تتصاعد إلى قراءة الكتب الخفيفة التى تتحدث عن الحضارة المصرية وتاريخ مصر القديمة ، ثم إلى الكتب المتخصصة والمتعمقة ، ومن هذه وتلك تصدر ملايين النسخ كل سنة . .

ثم تبدأ بعد ذلك مراحل الاندماج الكامل فى ظاهرة الإجيبتومانيا ، حيث تنمو فى النفس رغبة شديدة فى زيارة مصر لمشاهدة الآثار عن قرب . وبالنسبة لهذه الرغبة فان بعض الناس يستطيعون تحقيقها فى أقرب فرصة تسنح لهم ، ولايستطيع البعض تحقيقها إلا بعد أن يقضى سنوات العمر استعداداً لها .

وعندما تتمكن ظاهرة الإجيبتومانيا من النفس تماماً ، فانها تتخذ مسارات وسلوكيات مختلفة . . فهناك نحو سبعة عشر مليون فى أمريكا وحدها يعتقدون فى ديانة رع أو ديانة إيزيس أو ديانة آتون . . أو يعتقدون أنهم من سلالة قدماء المصريين ، أو كانوا يعيشون حياة سابقة على أرض مصر الفرعونية .

وليس من الغريب أن نشاهد الآن صلوات جماعية تجرى طبقا للطقوس القديمة فى ساحات المعابد المصرية ، يقيمها جماعات من السياح فى معبد إيزيس بجزيرة فيله جنوب أسوان ، أوفى قدس الأقداس بمعبد دندره ، أو فى الخلاء قرب أطلال آخت آتون [تل العمارنة بمحافظة المنيا] أو فى غير ذلك من المعابد فى مختلف المناطق الأثرية .

وليس غريباً أيضا أن يموت رجل أمريكى بعد دخوله هرم خفرع بالجيزة ، وتقول زوجته بصدق أنه تنبأ بهذه الميتة وتمناها طوال حياته ، رغم انها لم تكن تتصور أن ذلك سيحدث فعلاً بهذه الدقة .

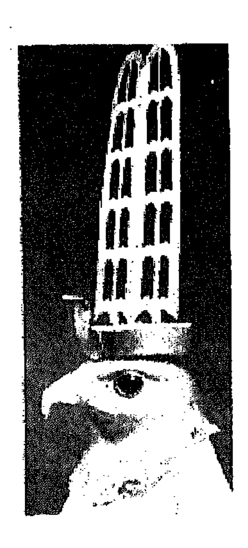


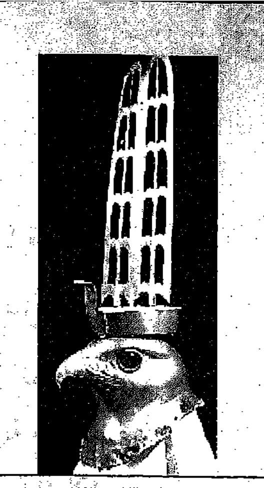
فى الطريق إلى زيارة معابد الكرنك

وليس من الغريب كذلك انتشار مجموعات من الكاسيتات تتضمن ترجمة بلغات أجنبية لصلوات مصرية قديمة ، وحكماً واخلاقيات قالها المصريون القدماء تصاحبها موسيقى تصويرية هادئة . وتباع الملايين من هذه الكاسيتات سنويا ، بعد أن شاع أنها علاج أكيد المفعول لراحة الأعصاب وتحقيق السلام الذاتى للنفس ، وذلك إذا استمع إليها الانسان وهو مستغرق فى التأمل فى شكل هرمى يضعه أمام عينيه .

هذه هى أبعاد ظاهرة الإجيبتومانيا كما تبدو الآن فى نهايات القرن العشرين . . ملايين من الناس يرغبون فى المجىء إلى مصر . . فماذا ياترى نستطيع أن نفعل لكى نجذبهم ونشجعهم على المجىء ونساعدهم على تحقيق رغباتهم ومعاملتهم بلطف وأدب ودون استغلال تنفر منه النفوس . . ؟ !

اعتقد اننا لو وضعنا خططا سياحية «جادة » و « متكاملة »وطهرنا أجواءنا السياحية من المنغصات المعروفة ، فيجب أن نقوم فوراً باعداد الخزائن التى ستمتلىء ذهباً وفضة . . !





قدماء قدماء المصريين

فى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد بدأ تاريخ مصر المكتوب ، فقد توحدت الدولة تحت قيادة ملك واحد يضع فوق رأسه تاجاً مزدوجاً يتألف من تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى . وقبل ذلك كان الصعيد مستقلاً فى مملكة ، وكانت الدلتا مستقلة فى مملكة أخرى .

ولكن هل يعنى ذلك أن مصر قبل الوحدة كانت بلا تاريخ . . أو هل ظهرت الدولة المصرية هكذا فجأة واعتبرت أول دولة فى تاريخ العالم وأول حكومة مركزية أنشئت للناس . . ؟ !

الاجابة على هذا السؤال لم تكن سهلة ولا ميسورة حتى أواخر القرن الماضى ، حين قام بعض علماء الآثار الأجانب باكتشافات أثرية سلطت الضوء على مراحل البدايات الأولى لتاريخ مصر القديمة ، متمثلة فى تلك الآثار المبهرة التى خلفها المصريون فى عصور ماقبل الأسرات وعصور ماقبل التاريخ .

وهكذا نشط العديد من العلماء فى إجراء البحوث والحفائر والدراسات التى أدت إلى ترسيخ قواعد ومبادىء علم المصريات « الإجيبتولوجى » . والتى أفردوا فيها بحوثاً مستقلة تغطى مساحة زمنية واسعةتشمل عصور ماقبل التاريخ المصرى المكتوب . وقسموا هذه العصور على النحو التالى :

١ - العصر الحجرى القديم : ويبدأ من مائة ألف سنة حتى سنة ١٠ آلاف قبل الميلاد .

٢ - العصر الحجرى المتوسط : ويبدأ من سنة ١٠٠٠٠ حتى سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد .

٣ – العصر الحجرى الحديث : ويبدأ من سنة ٨٠٠٠ حتى سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد .

٤ – عصر ماقبل الأسرات : ويبدأ من سنة ٤٥٠٠ حتى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد .

ومازال تقسيم تلك العصور على هذا النحو يثير الكثير من الجدل بين أئمة المؤرخين وعلماء الآثار . ويعتبر البحث فى هذا المجال من أكثر البحوث صعوبة من الناحية العلمية ، حيث تتداخل مبادىء وقواعد عدة علوم فى الموضوع الواحد . إذ لابد من إبراز الجوانب الجغرافية والجيولوجية والبيئية والأنثروبولوجية والإثنولوجية والتاريخية والأثرية ، وكافة الجهود العلمية الأخرى التى قد يقتضيها البحث فى سبيل الوصول إلى نتيجة حاسمة فى بعض الأحيان ، وتقريبية فى أحيان كثيرة . كما قد يقتضى الأمر استخدام التحليلات الكيميائية والطيفية والاشعاعية ، واستخدام أحدث أجهزة التحليل التى تعتمد على الكربون ١٤ المشع والبوتاسيوم آرجون .

وبالاضافة إلى هذا كله ، فلابد أن يتسلح الباحث فى هذه المجالات بخلفية ثقافية واسعة تشمل المعرفة التامة والمتعمقة بتاريخ حضارات العالم القديم بصفة عامة ، وبتاريخ الحضارة المصرية على وجه الخصوص ، والإلمام التام بنوعية وطبيعة الحضارات الانسانية المحلية التى سادت فى كافة أنحاء المساحة الجغرافية التى تشغلها مصر منذ أقدم عصور ماقبل التاريخ ، سواء فى صحاريها ووديانها وتلالها وجبالها وواحاتها وأحراشها وسواحل بحارها ودلتاها وضفاف نيلها .

● مصرى عمره مليون سنة !

وقد يكون من الصعب – بل ومن المستحيل – أن نقدم حصراً بإحصاء كل البعثات العلمية التى أوفدتها الجامعات والمعاهد والأكاديميات والمتاحف العالمية ، والبعثات التابعة للجامعات والهيئات المصرية التى استهدفت البحث عن بقايا وآثار قدماء قدماء المصريين الذين عاشوا فى عصور ماقبل التاريخ . ولكننا مع ذلك نشير إلى المفاجأة الغريبة التى عثرت عليها إحدى هذه البعثات فى قرية مصرية صغيرة تسمى «السلسلة» وتقع بالقرب من كوم امبو . . فقد عثرت هذه البعثة على جمجمة متحجرة

لإنسان مصرى تبين بالتحليل الطيفى والاشعاعى أن عمرها يزيد على « مليون » سنة! . .

كما أثبتت البحوث الجيولوجية أن منطقة كوم امبو كانت فى الماضى عبارة عن بحيرة واسعة من الماء العذب ، يصب فيها نهران ينبعان من جبال البحر الأحمر ، ويخترقان الصحراء الشرقية وينتهيان إلى ذلك المصب فى تلك البحيرة .

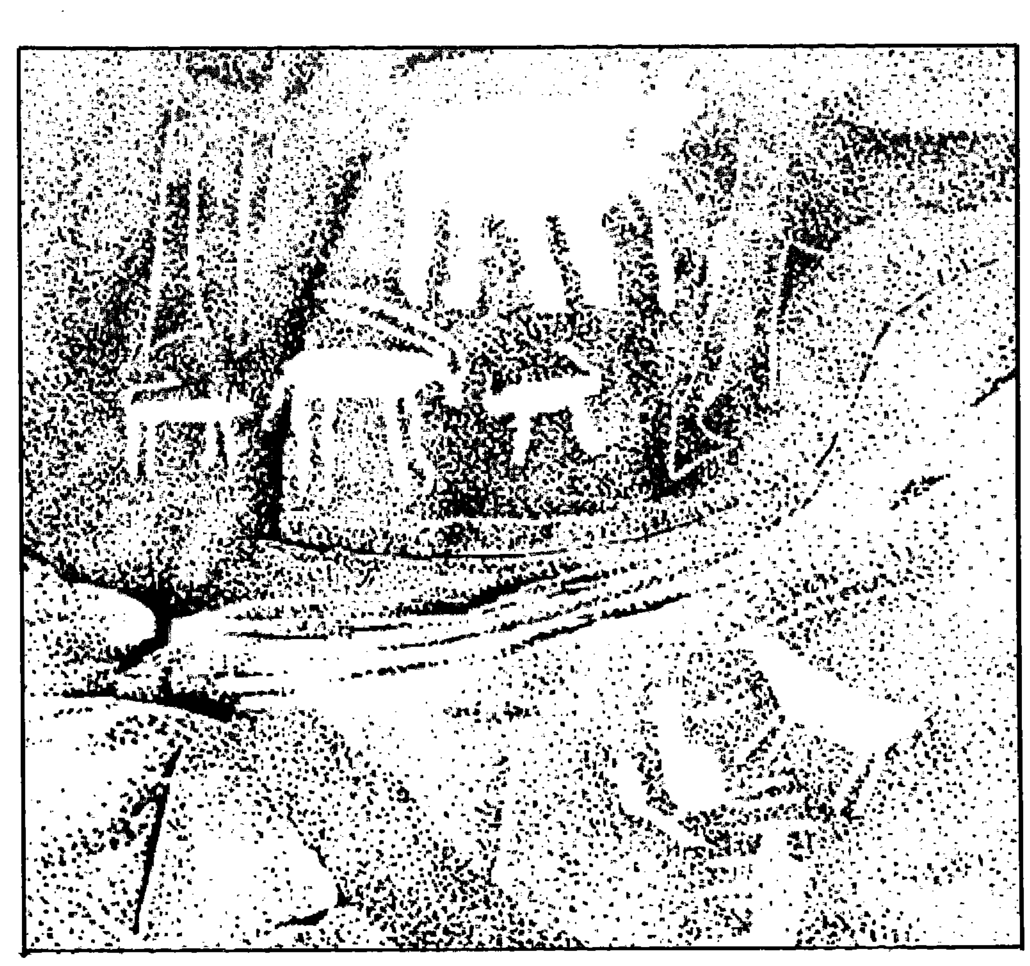
ومن الحقائق الجيولوجية والمناخية المعروفة أن مناطق الصحراء الشرقية والصحراء الغربية التى تحيط بوادى النيل المصرى ، وكذا مناطق النوبة فى الجنوب ، لم تكن بالشكل الذى هى عليه الآن . . فمنذ نحو ١٠ آلاف سنة كانت جميع هذه المناطق تتمتع بظروف مناخية مخالفة تماماً لظروف الجفاف التى تسودها الآن . .

كانت مناطق مطيرة وفيرة المياه والنباتات ذات الحبوب والثمار والجذور التى تصلح للغذاء ، وتعيش فيها أنواع كثيرة من الحيوانات والطيور . وكانت الجماعات الانسانية التى تعيش فيها « تجمع » الطعام بأقل مجهود .

وعندما تعرضت تلك المناطق لعوامل الجفاف ، اضطرت تلك الجماعات الانسانية إلى الانتقال من مرحلة « جمع » الطعام إلى مرحلة « انتاج » الطعام . . وبدأت بزارعة الأرض واستقرت فيها لا تبرحها سعياً وراء الغذاء من مصادره النباتية والحيوانية ، حيث أتاح لها الاستقرار أن تقوم باستئناس الحيوانات وتربيتها باعداد كبيرة تضمن إمدادها الدائم بكل احتياجاتها من لحوم وألبان وجلود .

● فضل النيل على مصر والمصريين :

ومنذ تلك الحقبة من الماضى السحيق ، ظهر الفضل الحقيقى لنهر النيل على مصر وعلى المصريين أنفسهم ، الذين وجدوا مساحات شاسعة من الأراضى الطميية الخصيبة التى تنحسر عنها مياه الفيضان فى كل عام . وبمرور الزمن تعلم هؤلاء المصريون الأوائل ممارسة العمليات الزراعية من بذر ورى وحصاد . ولحسن الحظ كانت هذه الأراضى المصرية من الخصوبة الكريمة بحيث لاتحتاج إلا أقل الأدوات الزراعية البدائية شأنا لتنتج بعد ذلك محصولاً و فيراً .



نقوش من عصور ما قبل التاريخ ، مرسومة بطريقة الحفر على الصخر الطبيعى ، تصور بعض الحيوانات التى كانت موجودة بمنطقة حوش بالصعيد



رسم بدائى يرجع تاريخه إلى العصر الحجرى القديم منقوش على الصخور الطبيعية قرب شاطىء النيل بمنطقة « وادى السبوعة » . وقد اختفى هذا الرسم الآن تحت مياه بحيرة السد العالى .



نقوش من عصور ما قبل التاريخ ، مرسومة بالحفر على إحدى الصخور الطبيعية على شاطىء النيل بالقرب من منطقة جرف حسين بالصعيد ، تصور عملية صيد الزارف

وكان النيل فى ذلك الزمن السحيق نهراً عاصياً متمرداً لم يسيطر عليه أحد بعد ، ولكن عبقرية هؤلاء المصريين الأوائل تجلت فى معرفة موعد الفيضان السنوى المعتاد . . وعرفوا بالتالى الوقت المناسب لاعداد الأرض للزراعة . . وعندما انتشرت زراعة الحبوب على نطاق واسع ،عرفوا السبيل إلى تخزين هذه الحبوب وتشوينها فى صوامع بدائية لاستخدام الفائض فى بقية أوقات السنة .

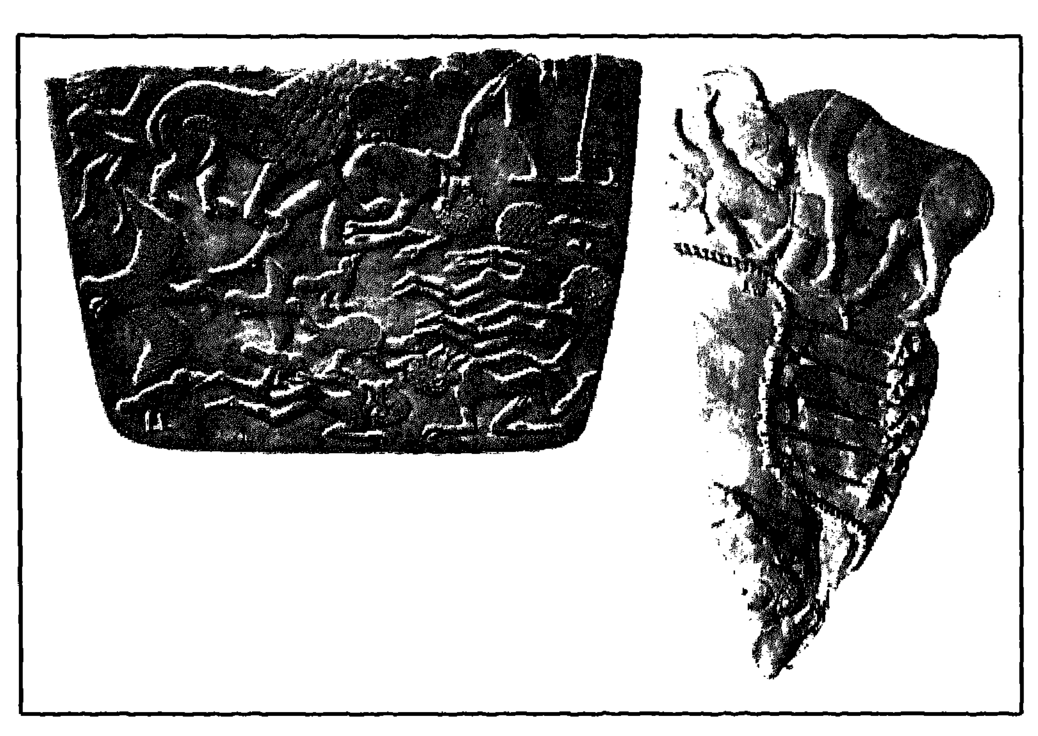
هكذا أحدثوا أول انقلاب فى موازين الطبيعة ، وحرروا الانسان من عذاب البحث المستديم عن الطعام باعتباره أهم ضرورة من ضرورات حياته واستمرار وجوده ، الأمر الذى أدى بالتالى إلى إتاحة الفرصة أمام الانسان ليجد الفراغ أو الوقت الخالى ليستثمره فى تنمية مواهبه ومهاراته فى ميادين أخرى أدت إلى تغيير كامل فى إيقاع الحياة ، سواء بالنسبة للانسان الفرد أو بالنسبة للجماعة ككل .

لقد أدت وفرة الطعام على ذلك النحو إلى التشجيع على زيادة أعداد كل من الانسان والحيوان . وبالتالى فقد أصبح من اللازم إعداد المزيد من مساحات الأرض الصالحة للزراعة . واضطر المصريون الأوائل إلى ابتكار الطرق والأدوات والوسائل الزراعية التى مازال أغلبها مستخدماً فى الريف المصرى حتى الآن .

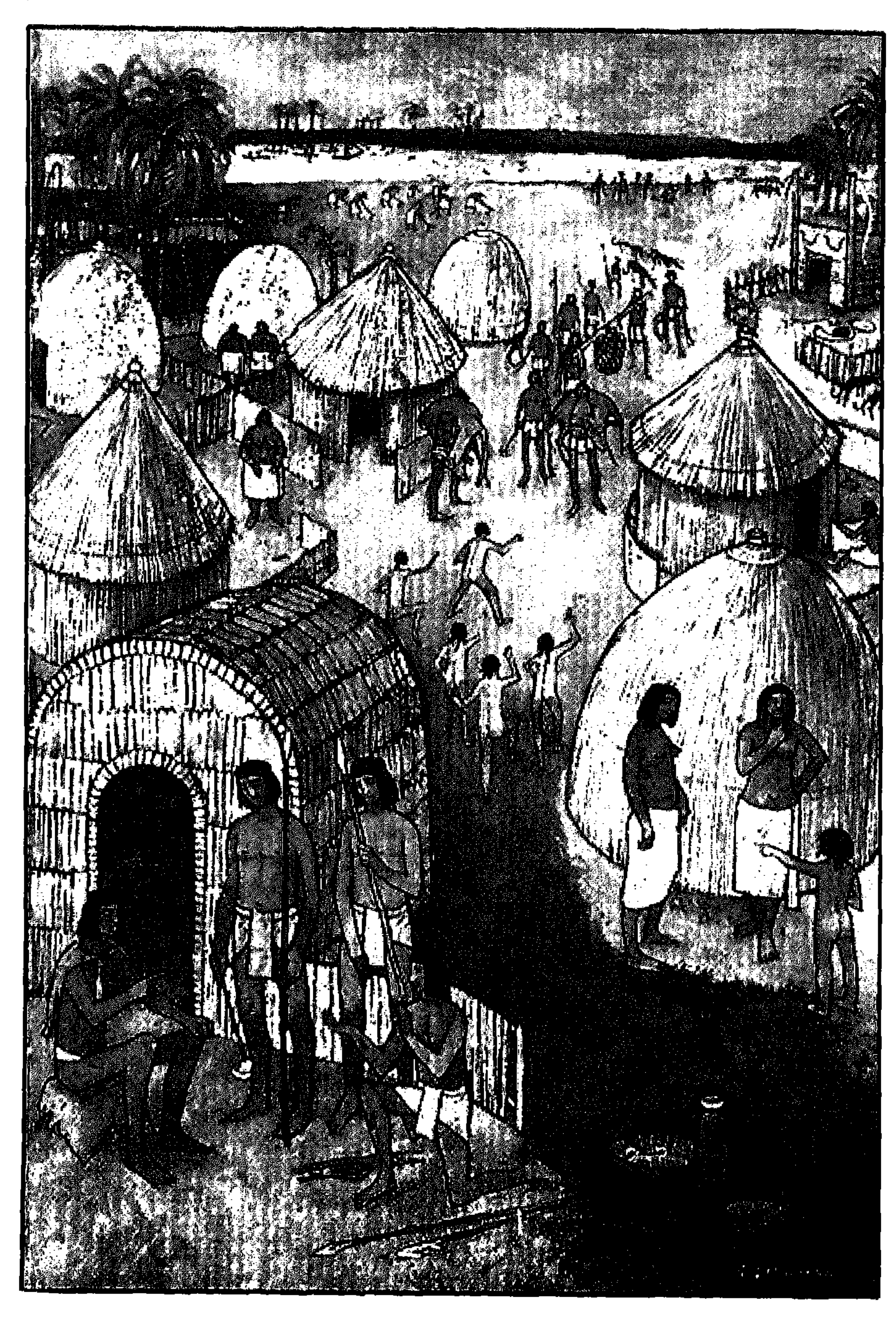
واكتشف هؤلاء المصريون أن العمليات الزراعية تحتاج إلى نوع من التعاون والجهود الجماعية لتصبح أكثر فعالية فى مواجهة خطر الفيضان ، وفى إعداد الأرض والبذر والحصاد ، واعتبروا أن هذا التضافر هو فى حقيقة الأمر لصالح الجماعة ككل . . ولهذا فقد كان من المنطقى أن تتوحد الأسر والعائلات الصغيرة فى شكل قرية . . وأن تتوحد هذه القرى المتنامية فى شكل مقاطعات ، ثم تتوحد هذه المقاطعات فى شكل مملكة تحكمها حكومة واحدة . . وهكذا نشأت فى الوجه القبلى مملكة تتكون من ٢٢ إقليما ، ونشأت فى الوجه البحرى مملكة أخرى تتكون من ٢٠ إقليما .

● زراعة وصناعة وفن :

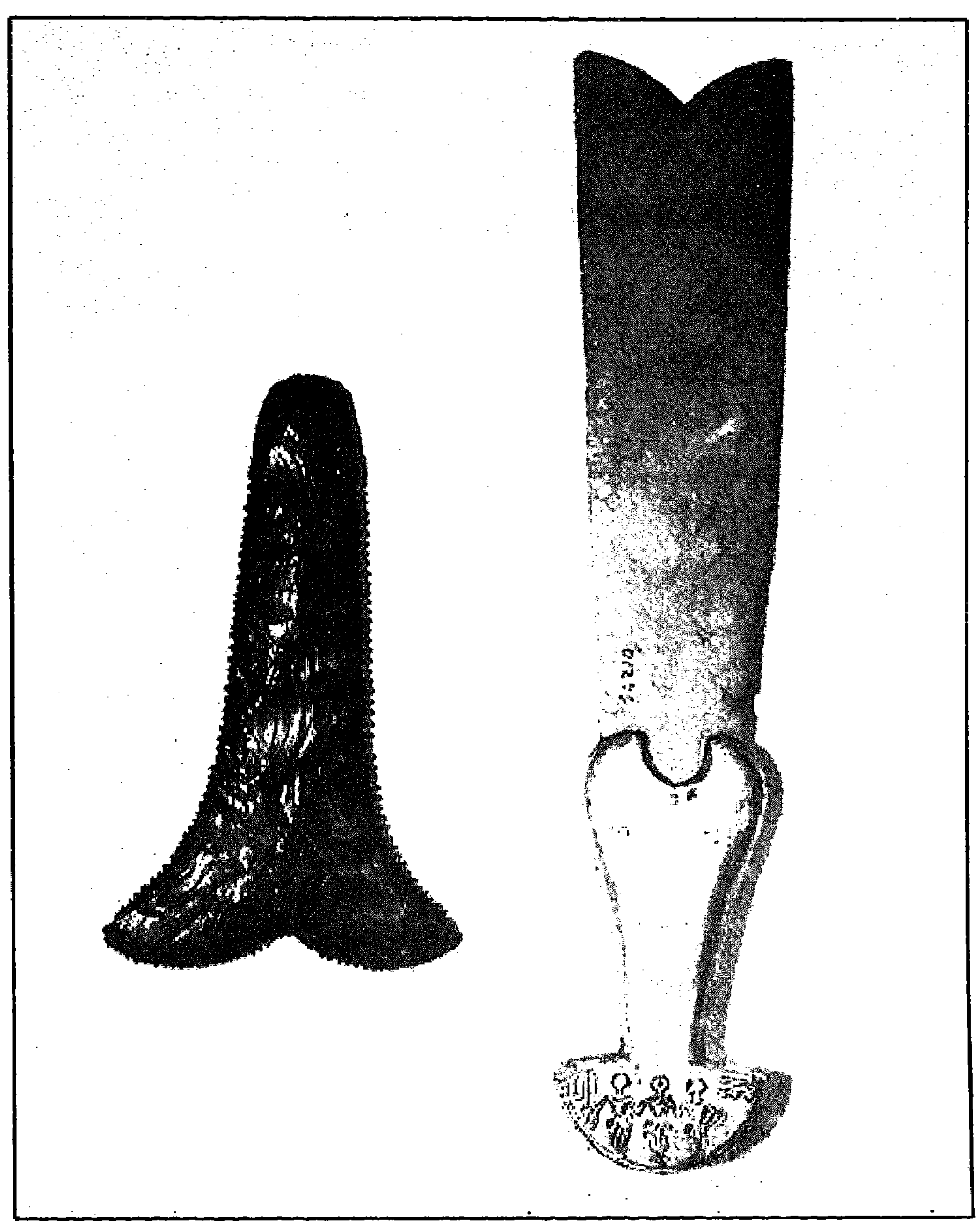
وفى ظل هذا الاستقرار تجلت عبقرية المصريين الأوائل فى كل من هذين الوجهين . . فبالرغم من استقلال كل منهما فى مملكة منفصلة ، إلا أن لغة الجميع كانت واحدة



من إرهاصات الفن المصرى فى عصور ما قبل التاريخ [illegible] الرابعة من النحت البارز على حجر الإردواز والتى تصور لنا معركة حربية ينتصر فيها [illegible] المصرى والنسور ترمز للجنود المصريين وهم يصرعون أعداءهم [illegible] من غير المصريين

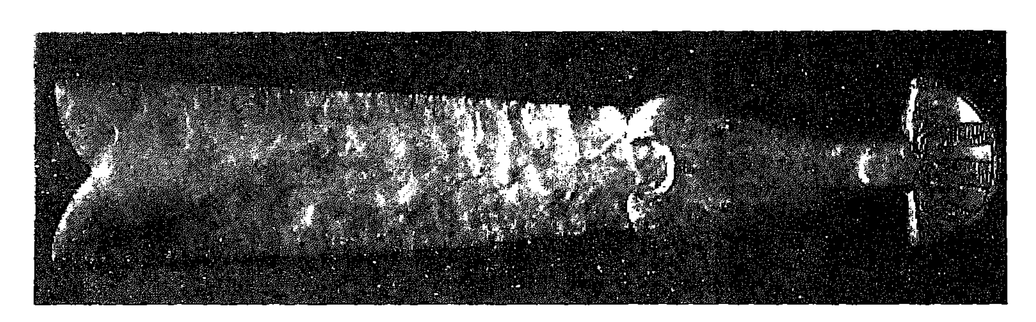


رسم تخيلي لإحدى القرى المصرية بالصعيد من عصور ما قبل التاريخ

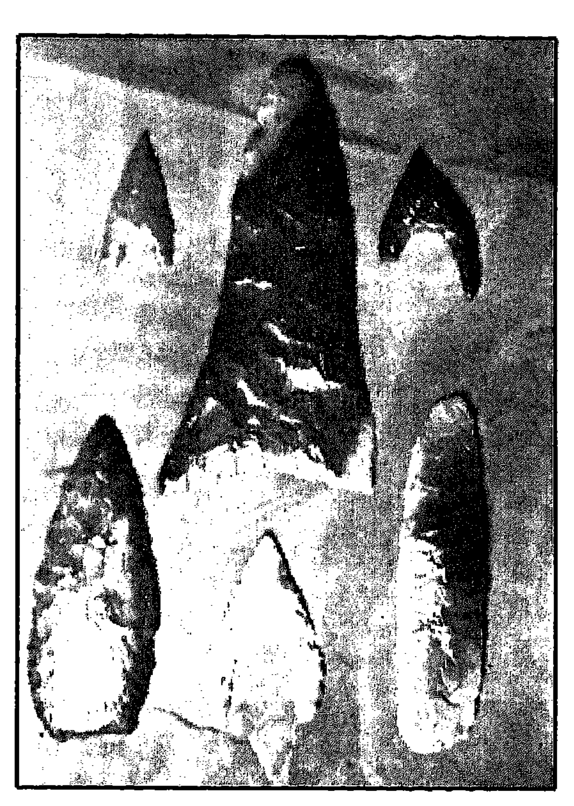


من آثار عصر ما قبل الأسرات فى اليمين سكين من حجر الصوان ذات يد مزخرفة بالنقوش ومكسوة بصفائح الذهب ، ويبلغ طولها ٣٦,٦ سم وعرضها ٦ سم . وفى اليسار رأس رمح من حجر الأوبسيديان يبلغ طوله ١٦,٣ سم وعرضه ٩,٥ سم .





من عصور ماقبل التاريخ : أسلحة وسكاكين نصولها من حجر الأوبسيديان وحجر الصوان ويد السكين مصنوعة من الذهب .



أدوات من عصور ما قبل التاريخ مصنوعة من حجر
الصوان الصلب على شكل سكاكين ورؤوس رماح

. . وظروف الحياة الاجتماعية أيضا كانت متماثلة أومتقاربة ، كما توحدت أيضا الأسس التى قامت عليها الزراعة والصناعة والفن . .

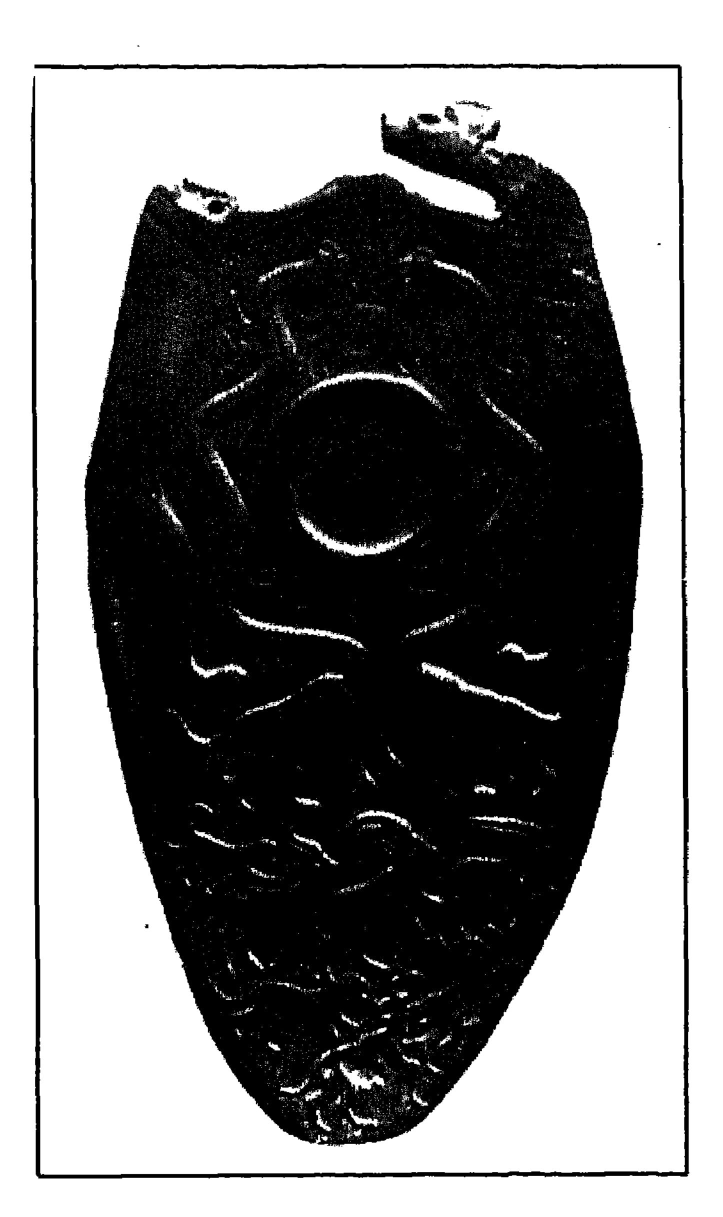
ومما لاشك فيه أن النشاط الصناعى الذى بدأه المصريون فى عصور ماقبل التاريخ كان يعتمد أصلاً على النشاط الزراعى ، كما كان مكرساً لخدمة المجتمع الزراعى فى أغلب متطلباته الحيوية . فقد ابتكر هؤلاء المصريون الأوائل أدوات صنعوها من حجر الصوان تدل على براعة فائقة فى تشكيل هذا الحجر الصلد لصنع العديد من أنواع الفؤوس والمناجل ذات الأسنان الحادة والمناشير التى تستخدم فى قطع الأخشاب والأحجار ، ورحايا الطحن التى كانت تستخدم فى جرش وطحن الحبوب .

وتفوقوا أيضا فى صناعة السلال ، حيث عثر على أنواع منها على شكل أطباق كبيرة واسعة أوعلى شكل قوراب . . وكذا فى صناعة نسج الحصير الذى استخدم بكثرة فى فرش البيوت وتبطين المقابر وحفرات تخزين الحبوب . . كما تفوقوا فى صناعة نسيج الكتان ، الأمر الذى يفهم منه أن زراعة الكتان وعمليات تجهيزه للنسج كانت معروفة لديهم فى ذلك الزمن المبكر ، والذى يفهم منه أيضا انهم قد ابتكروا « المغازل » و«الأنوال » التى ساعدتهم على صناعة الأقمشة التى تكفى احتياجات المجتمع للأردية والأزياء المختلفة ، كما استخدموا أيضا جلود الحيوانات وبرعوا فى عمليات دباغة وتنعيم هذه الجلود وخياطتها مع بعضها باستخدام « إبر » مصنوعة من العظام .

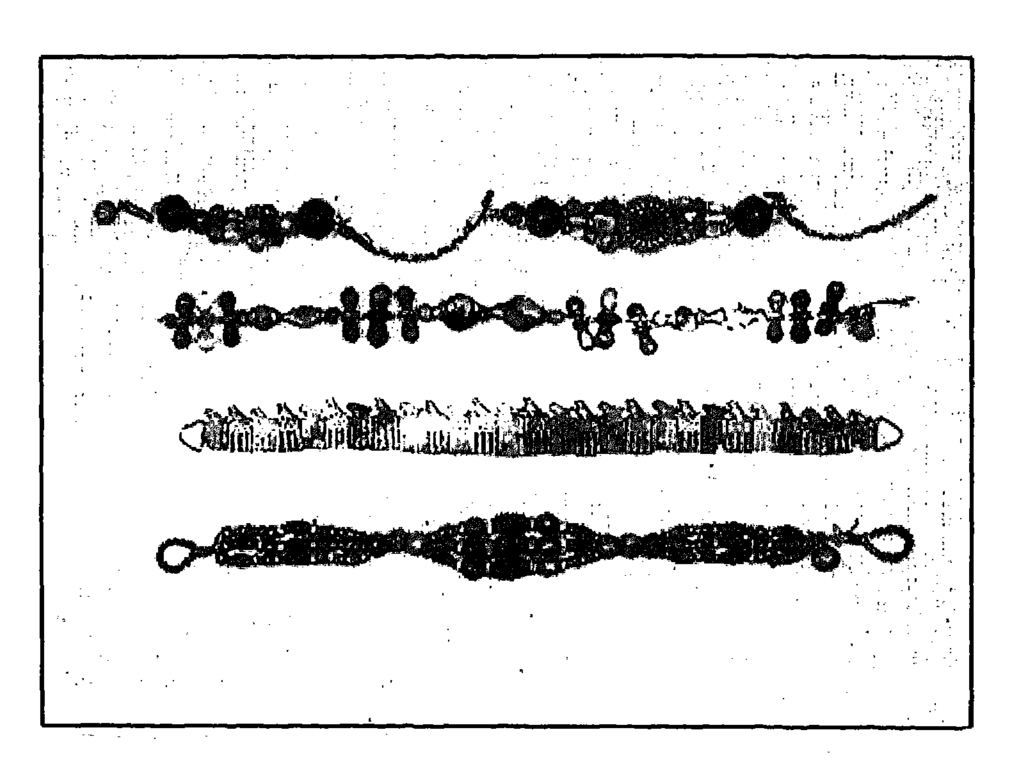
● الزينة والعطور وتكحيل العيون :

وتدل الشواهد الأثرية التى ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ على حدوث تطور وتحسن فى صناعة أدوات الزينة والترف والرفاهية ، ويظهر ذلك فيما عثرعليه من الخرز المصنوع من أحجار ملونة مثقوبة ،أوالمصنوع من الأصداف المجهزة، وكذلك العقود والأحزمة والمآزر المزينة ، والأساور المصنوعة من العاج أو من الأصداف . .

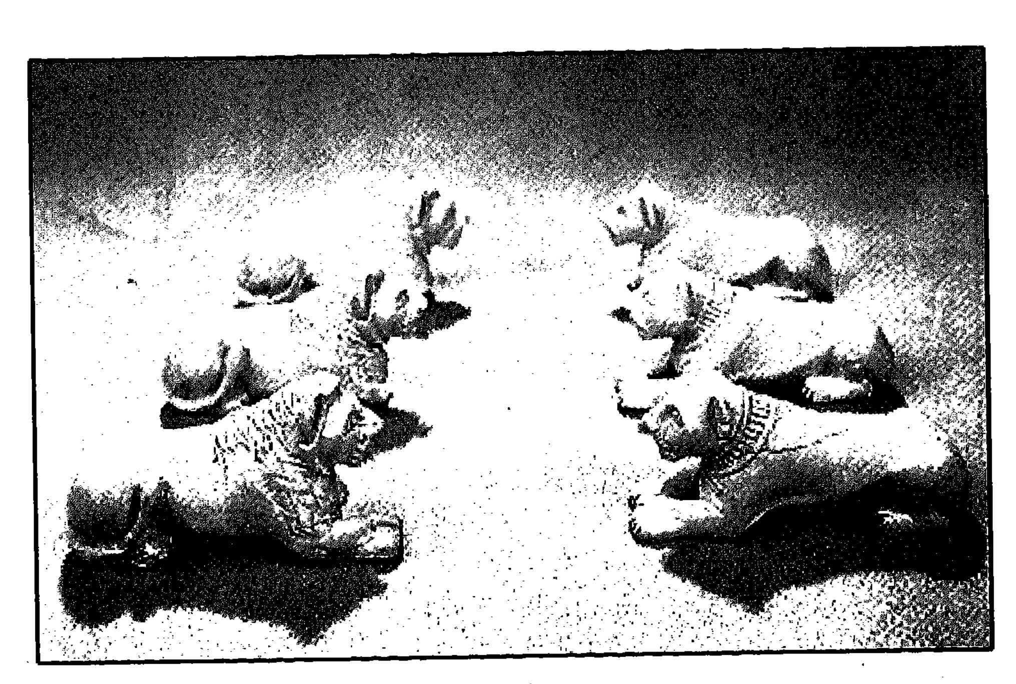
كما استخدموا مسحوق معدن « الملخيت الأخضر» [كربونات النحاس القاعدية] لتجميل العيون وتلوين محاجرها استكمالاً للزينة الجسدية . وقد عثر على الكثير من الصحون والأدوات التى كانت تستخدم فى طحن وسحق مواد التجميل الأخرى والتى كانت لاتخلو منها مقابر ذوى الشأن من القوم .



تحفة أثرية من عصور ما قبل التاريخ تبين لنا إرهاصات الفن المصرى فى تلك العصور وقدرة الفنان على هذا التشكيل البديع لهذه الباليتة التى كانت تستخدم لطحن المواد الملونة المستعملة فى التجميل والمكياج



مجموعة من الأساور المصنوعة من الذهب والفيروز واللازورد والجمشت ، عثر عليها عالم الآثار «بترى» فى منطقة أبيدوس [العرابة المدفونة / محافظة سوهاج] عام ١٩٠١م ويرجع تاريخها إلى عهد الملك « دجر » من ملوك الأسرة الأولى .



قطع لإحدى الألعاب منحوتة من العاج على شكل أسود ولبوءات ، يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الأولى . من اكتشافات « المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة » . عثر عليها عام ١٩١٣ باحدى المقابر بمنطقة أبو رواش

كذلك فقد عرف هؤلاء المصريون القدماء الأوائل فى عصور ماقبل التاريخ كيفية استخراج الزيوت من النباتات العطرية البرية واستخدامها فى تنظيف البشرة وتنعيمها . كما عرفوا أمشاط تسريح الشعر وصنعوها من العظام أو من العاج وزينوها وزحزفوها بأشكال من أنواع الطيور والحيوانات المختلفة .

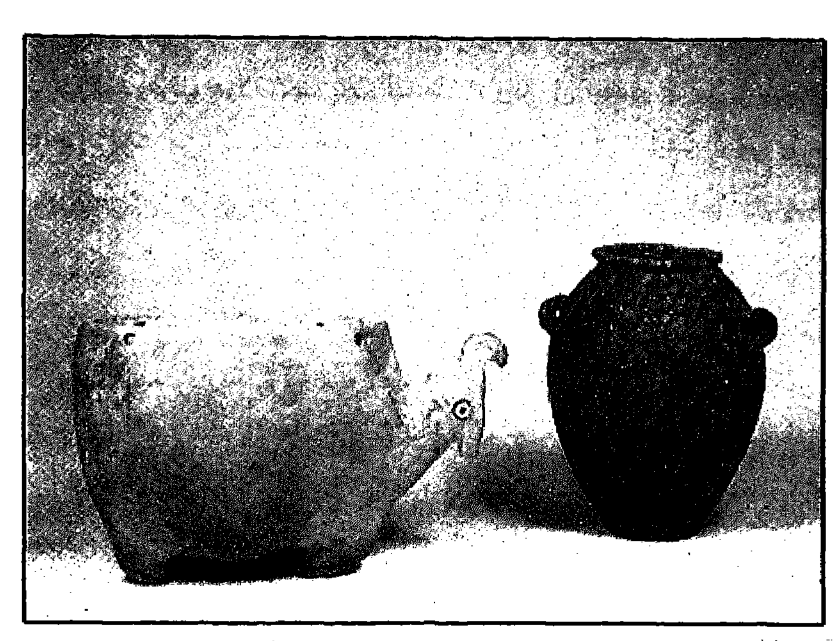
● الأوانى وصناعة بناء السفن :

وكان الطعام متوفراً بكثرة فى جميع المساحة التى تشغلها الأراضى المصرية . . كما تم استئناس الماعز والأغنام والثيران والأوز والخنازير والكلاب . وكثرت عمليات صيد وقنص الحيوانات والأسماك والطيور . وابتكروا أشكالاً لاحصر لها من الأوانى والأوعية التى تصلح لطهى الطعام وتناوله وحفظه ، بل وأوانى الزينة المستخدمة لحفظ العطور والزهور . . وقد صنعوا هذه الأوانى من الفخار والصلصال والخزف وبعض أنواع الأحجار والمرمر . . وكانوا يزخرفون أغلبها بزخارف على شكل خطوط أوأشكال هندسية بيضاء أو ملونة ، أو برسوم ذات أشكال بشرية . . أوعلى شكل مراكب نيلية أو سفن بحرية .

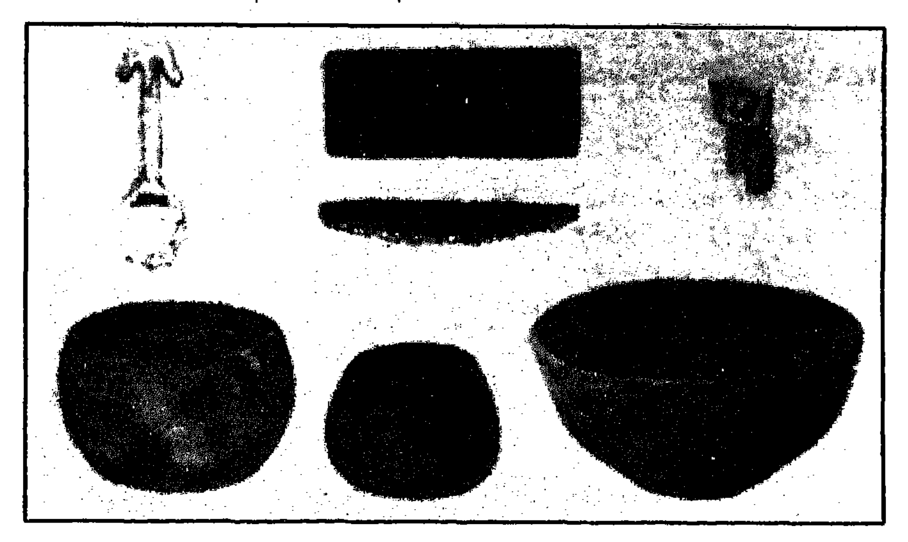
وتدل أشكال تلك المراكب والسفن على أنها كانت مصنوعة من سيقان البردى أومصنوعة من الأخشاب . . وكانت بعض هذه السفن من الضخامة بحيث كانت تسير باثنين وأربعين مجدافا . وتدل بعض الشواهد الأثرية على وجود علاقات كانت تربط المصريين فى عصور ماقبل التاريخ بمن كان يجاورهم من الأمم والشعوب الأخرى .

● فن النحت والإيمان بالحياة بعد الموت :

وفى ذلك العصر السحيق أيضا ، ظهرت البوادر الأولى لفن النحت المصرى العريق ، حيث عثر على عدد كبير من التماثيل الصغيرة المنحوتة من العاج معظمها على شكل نساء .وقد دفنت هذه التماثيل بالمقابر التى ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ ، وذلك لتحقيق أغراض سحرية تتعلق بخدمة الميت صاحب المقبرة فى حياته الأخرى . وبالاضافة إلى ماعثر عليه فى هذه المقابر من الأوانى وبعض الأدوات



من آثار عصر ما قبل الأسرات : آنية على شكل ظبى منحوتة من الحجر الجيرى الوردى الصلب ارتفاعها ٨,٥ سم وطولها ١٤ سم وعرضها ٥ سم . وفازة بيضاوية الشكل منحوتة من حجر الديوريت ارتفاعها ٩,٥ سم وقطرها ١٠ سم

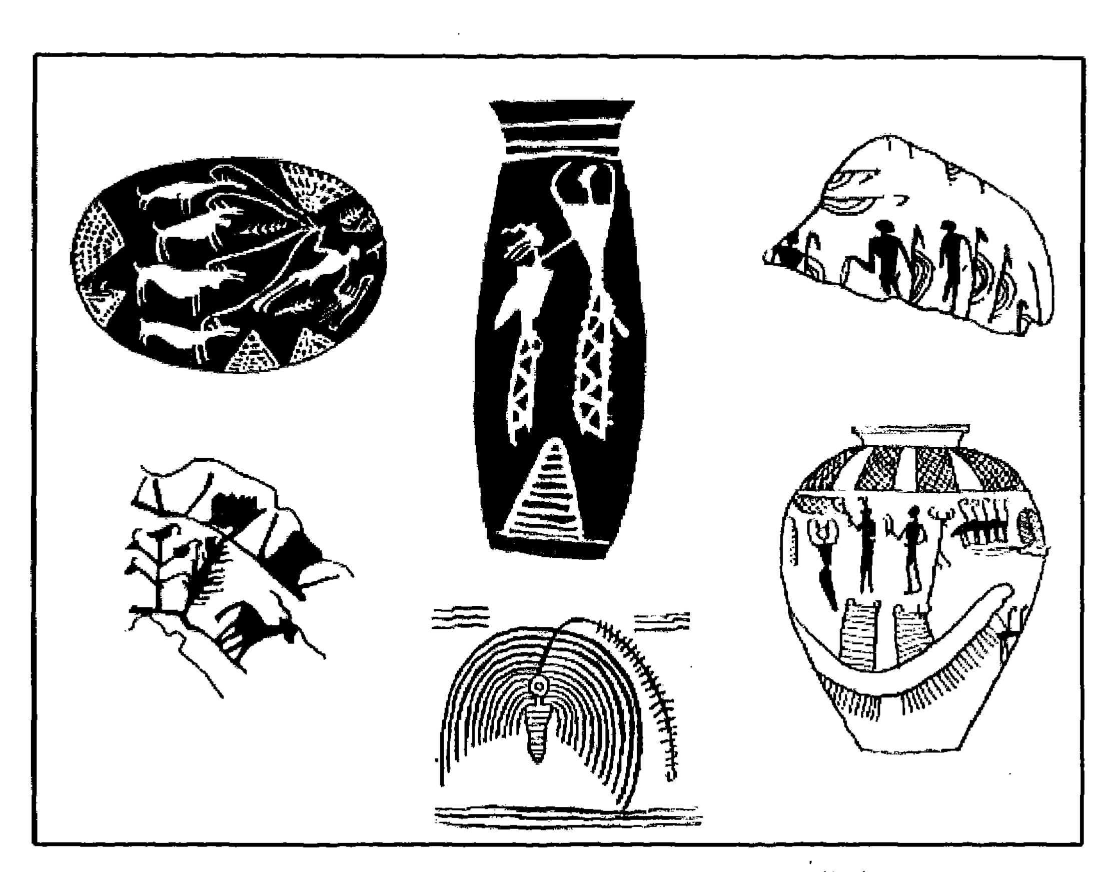


مجموعة من آثار عصور ما قبل التاريخ تشمل بعض الأوانى والسكاكين وأدوات طحن مواد التجميل الملونة وتمثالاً صغيراً لامراة وملعقة مصنوعة من العاج

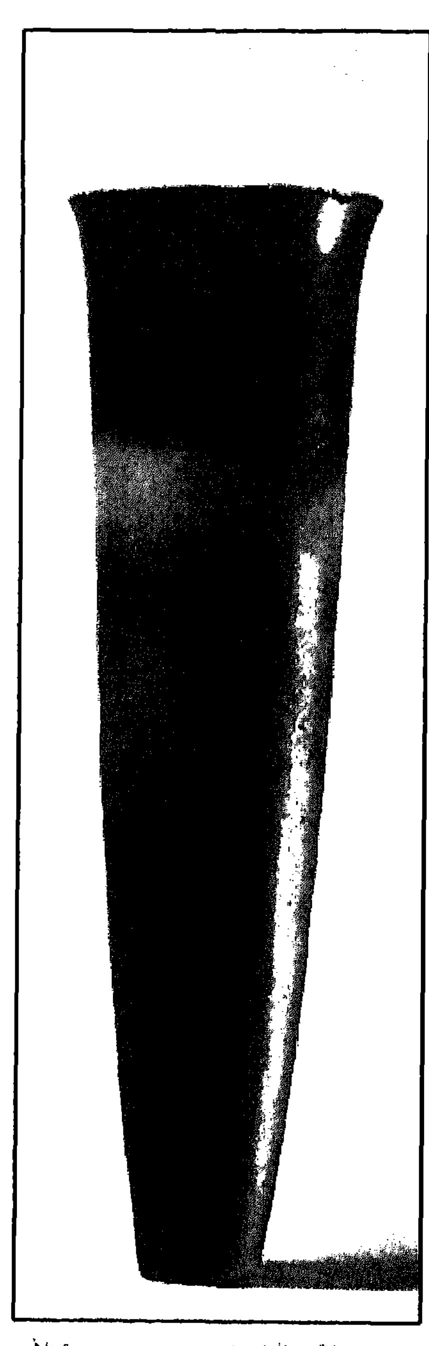




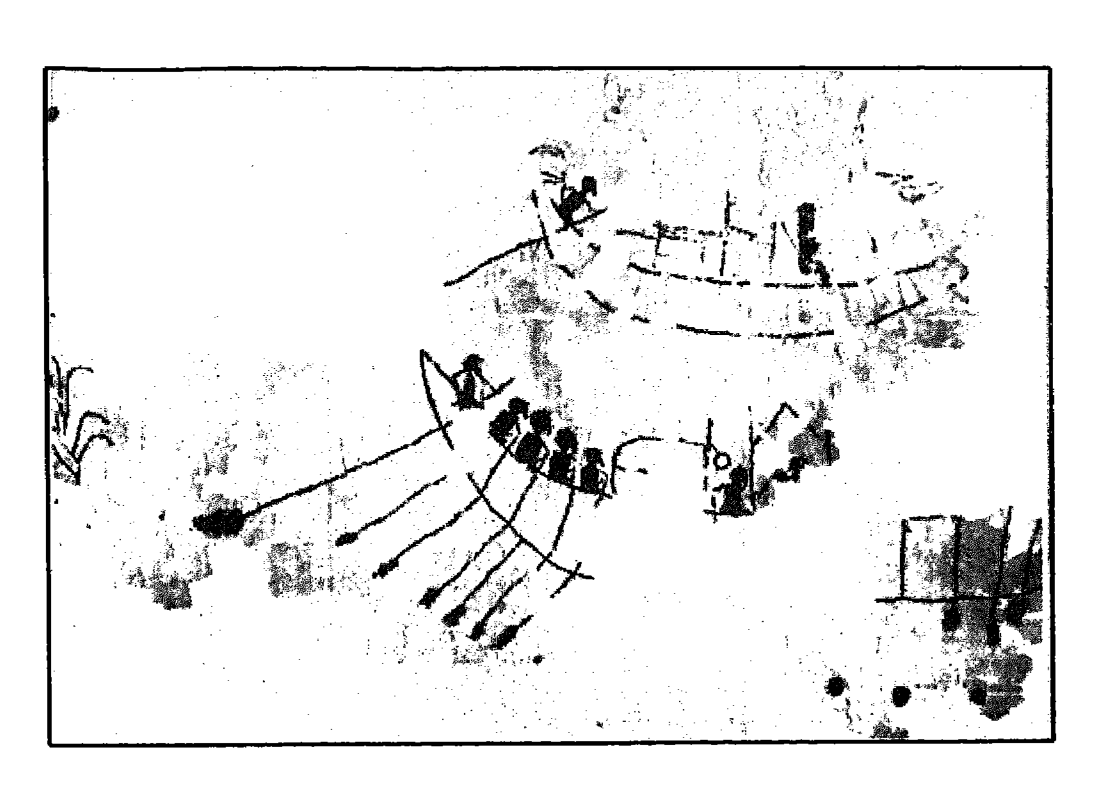
استطاع الصانع المصرى فى عصور ما قبل التاريخ أن يبتكر أشكالاً كروية واسطوانية للأوانى الفخارية والخزفية ، واستطاع تلونيها بالأحمر والاسود والأبيض ، وزخرفتها من الداخل والخارج بخطوط هندسية ذات طابع مصرى .



رسوم تفصيلية للوحدات الزخرفية التي كانت ترسم لتزيين الأواني في عصور ما قبل التاريخ



فازة متعددة الألوان . . من عصور ما قبل التاريخ . وتعتبر صناعة الأواني والفازات في تلك العصور بالوسائل البدائية ، من الفنون المبتكرة التي سبقت بها مصر حضارات العالم القديم الأخرى



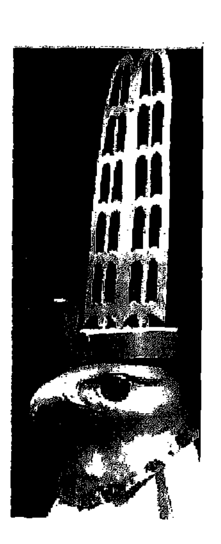
لوحة بدائية من عصور ما قبل التاريخ مرسومة على قطعة من قماش الكتان الرقيق المنسوج من خيوط رفيعة جدا ، واللوحة تصور سفينتين ، ومن المحتمل أن تكون السفينة السفلى سفينة بحرية تسير بالمجاديف

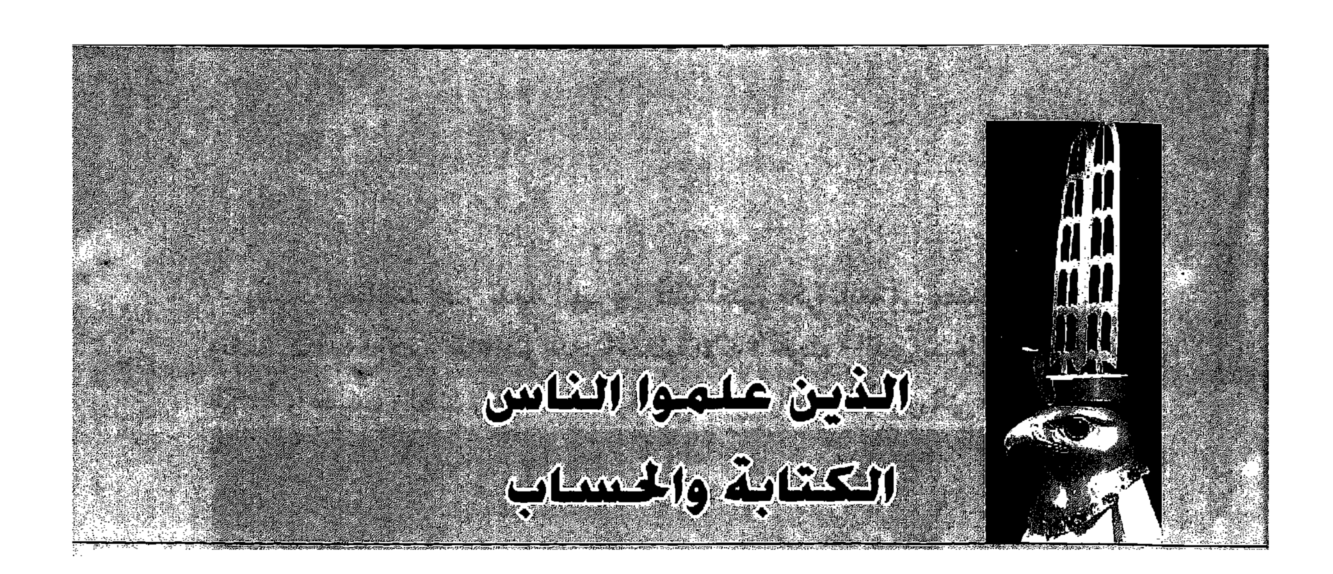


لأن قدماء قدماء المصريين كانوا يؤمنون منذ عصور ما قبل التاريخ بالبعث والحياة بعد الموت ، فقد كانوا يدفنون موتاهم راقدين على شكل جنين ينتظر اعادة الميلاد مرة أخرى ، وكانوا يزودون الموتى بمجموعة من الأوانى وبعض احتياجاتهم فى الحياة الآخرة . وقد حفظت هذه الجثة بسبب الجفاف وليس بسبب التحنيط الذى لم يكن قد عرف فى تلك العصور

الأخرى، نستطيع أن نستنتج أن هؤلاء المصريين الأوائل كانوا يعتقدون أيضا فى فكرة الحياة بعد الموت . . ولهذا فقد كانوا يدفنون موتاهم باحترام ، ويجعلون الجثث منحنية وراقدة على جنبها كما لو كانت نائمة أو منتظرة عودة الميلاد مرة أخرى . .

ولعل طريقة الدفن بهذا الشكل تؤكد أن المصريين القدماء الأوائل كانوا يؤمنون بالحياة الأخرى فى عصور ما قبل التاريخ ، وقبل ظهور فجر الضمير الانسانى .





ابتدعوها فصارت هدى ونوراً أضاء عقل الإنسان فى مشارق الأرض ومغاربها . .

ولولاها لظلّت البشرية موءودة فى ظلمات الجهالة والضلال . .

وعبّروا بها عن أنفسهم فقلدتهم شعوب الأرض فى هذا التعبير . .

وبها استطاعت الشعوب أن تقول للزمن : هانحن . . وهذا مافهمناه وفعلناه . .

تلك هى « الكتابة » . . هدية المصريين القدماء إلى الحضارة الإنسانية وإلى جميع شعوب الأرض فى كل زمان وكل مكان !

● **كاتب الآلهة .. وإله الكتّاب :**

اخترع المصريون الكتابة والتدوين فى عصور ماقبل التاريخ . . وعندما استطاع الملك « مينا» توحيد الوجهين البحرى والقبلى ، وأسس الأسرة الملكية الأولى لحكم الدولة المصرية [حوالى سنة ٣٢٠٠ ق م] . . كانت الكتابة قد أصبحت وسيلة المصريين لتدوين تاريخهم العظيم . . وأصبحت الكتابة فاصلاً بين العصور التاريخية وعصور ماقبل التاريخ فى مصر .

والكتابة كما هو معروف عبارة عن تسجيل اللغة بالرموز أو بالحروف . . وقد ظهرت اللغة المصرية القديمة وتطورت وشاعت بين سكان الوجهين وجميع الأقاليم المصرية القديمة منذ عدة آلاف من السنين فى عمق عصور ماقبل التاريخ . ولذلك فعندما اخترع المصريون هذه الوسيلة العظمى لتسجيل لغتهم المنطوقة ،عبروا بالحضارة الانسانية إلى عالم النور والتدوين كبديل للحياة فى عالم الظلام والنسيان .

ولذلك أيضا فقد اعتبر قدماء المصريين كتابة لغتهم فكرة نابعة من مصدر إلهى . . وتضمنت أساطيرهم وعقائدهم الدينية حكاية الإله « تحوت » الذى نسبوا إليه اختراع الكتابة والحساب والطب والفلك والحكمة وكل الفنون والعلوم الأخرى التى عرفوها . . ونسبوا إليه أيضا فكرة تصميم الرموز والحروف والكلمات الهيروجليفية . . واعتبروه «الكاتب» الذى اختاره الآلهة المصريون الآخرون لتدوين أعمالهم وأوصافهم وتخصصاتهم، فهو « كاتب الآلهة » وهو أيضا « إله الكتّاب» المصريين الذين كانوا يتبركون به ويعتبرونه رمزاً لمهنتهم الرفيعة السامية .

ويُمثَّل الإله « تحوت » بجسم إنسان له رأس طائر الأيبيس ويحمل لوحة للكتابة فى يده اليسرى وقلماً بيده اليمنى . . وفى أحيان أخرى كان يمثل بطائر« الأيبيس » وحده أو بأحد قرود البابون . ولأن المنقار المنحنى لهذا الطائر يشبه هلال القمر ، فقد اعتبرته العقيدة الدينية المصرية القديمة رمزاً لإله القمر .

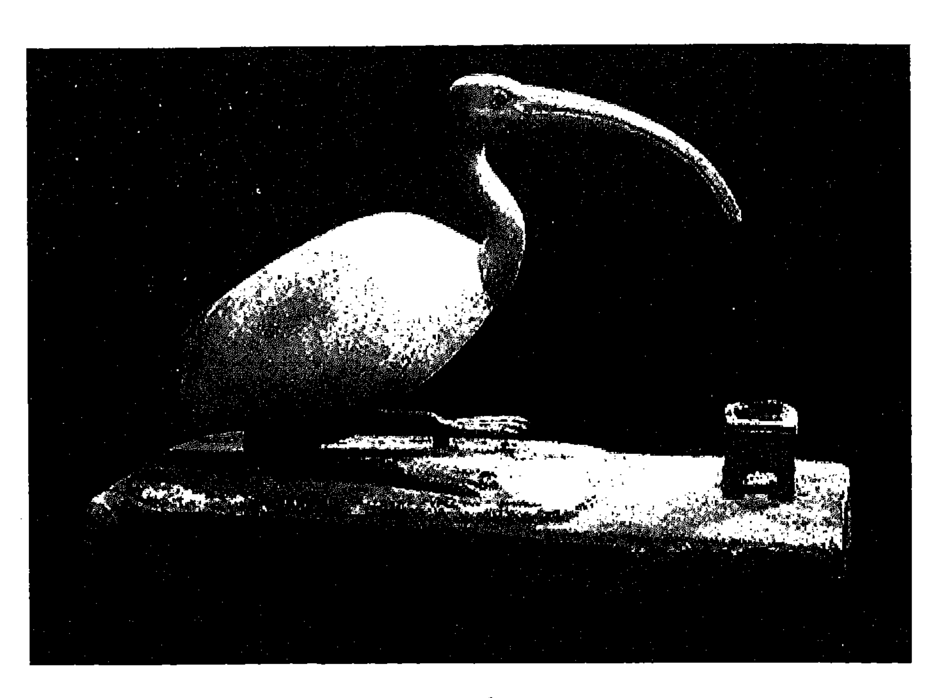
● الكاتب ومركزه الاجتماعى :

أياً من كان مخترع الكتابة . . وأياً كانت كيفية اختراعها ، فقد ضمن هذا الاختراع العظيم خلود التاريخ المصرى القديم والحضارة المصرية القديمة .

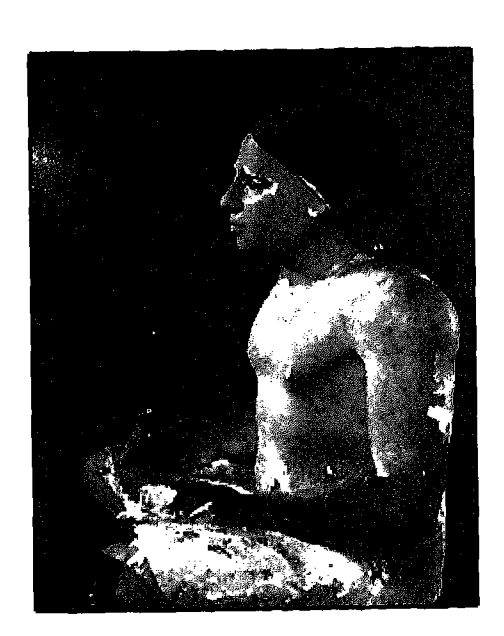
وعرفنا من هذا التاريخ أن الكاتب الذى كان يعرف كيف يكتب ، كان فى إمكانه أن يتبوأ أعلى المناصب فى الدولة . وطبقا للتنظيم الطبقى للمجتمع المصرى القديم ، أصبحت هناك فجوة هائلة تفصل بين الإنسان المصرى المتعلم الذى يعرف كيف يكتب ويقرأ ، والإنسان المصرى الأمّى الذى لايعرف قراءة أوكتابة .

وعندما كان المصرى القديم يشغل الوظائف العليا بالدولة - سواء أكان من طبقة كبار الموظفين أم كان الفرعون نفسه - كان يحرص فى معظم الأحوال على أن يصنع لنفسه تمثالاً يصوره فى الصورة التقليدية المعروفة للكاتب المصرى القديم. وهذه الصورة فى حد ذاتها تؤكد فخره بالمثل العليا التى كان يتحلى بها الكتّاب القدماء باعتبارهم من الطبقة العليا فى النظام الطبقى الهرمى للمجتمع المصرى .

وكان الكاتب محل احترام وتقدير من كافة طبقات الشعب . . وكان متميزاً بمعاملة



تمثال للطائر المقدس « أيبيس » الذى كان رمزاً للحكمة والكتابة والتعليم . والتمثال مصنوع من البرونز والخشب المكسو بصفائح الذهب . ارتفاعه ٢٤ سم وطوله ٤٥ سم وعرضه ١٦ سم . من اكتشافات بعثة جامعة القاهرة بمنطقة تونه الجبل عام ١٩٥٩ ، ويرجع تاريخه إلى العصر المتأخر [الأسرة السادسة والعشرين حوالى عام ٦٠٠ ق م]

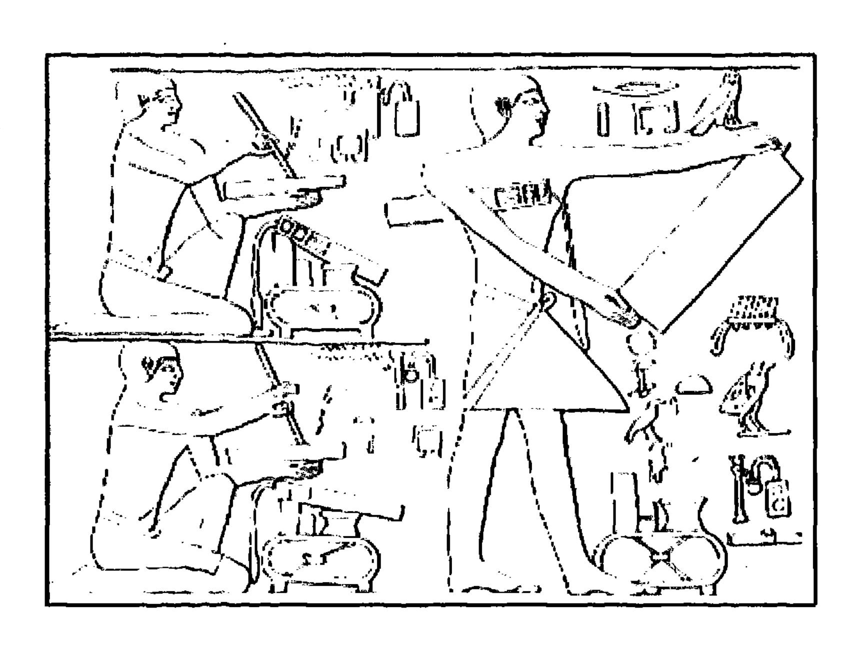




من أجمل التماثيل التى تصور الكاتب المصرى فى جلسته التقليدية هذا التمثال الذى يرجع تاريخه إلى بداية عصر الأسرة الخامسة [حوالى عام ٢٤٧٥ ق م] وقد تم اكتشافه بمنطقة سقارة عام ١٨٩٣ م .
ويبلغ ارتفاعه ٥١ سم وعرضه ٤١ سم وسمك البروفيل ٣١ سم



إثنان من الكتبة يقومان بتسجيل احصاء لما يمتلكه بعض المزارعين المتهربين من دفع الضرائب من أراض ومحاصيل زراعية . [نقش جدارى من مصطبة مرى روكا بسقارة] .



مدير الأعمال الملكية المدعو « خاى » يقرأ قائمة الجرد وخلفه كاتبان يقومان بالتسجيل وأمام كل منهما المحبرة والمقلمة وورقة البردى وباقى الأدوات المستخدمة فى الكتابة .



كاتبان منهمكان فى تسجيل ما يميله عليهما مدير الأعمال ، ويظهر فى وسط الصورة الصندوق المخصص لحفظ أدوات الكتابة وسجلاتها

خاصة من جانب الدولة التى تعفيه من الضرائب الحكومية التى كانت تفرض على كل الطبقات الأخرى .

● لغة متكاملة القواعد والأصول :

كان المصريون القدماء يتكلمون بلغة واحدة وإن تباينت لهجاتها ، تماماً مثلما تتباين لهجات نطق اللغة العربية بين أهالى البلاد والقرى المصرية الحديثة فى الوجهين البحرى والقبلى وأهالى الصحراوين الشرقية والغربية .

وهى لغة كانت تتميز بقواعد أجرومية ملزمة تماثل قواعد وأجرومية اللغات الحية الحديثة . . فقد كانت تشتمل على الإسم والفعل والحرف والظرف . . وكانت تفرق بين المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول به والمضاف والمضاف اليه . . فضلاً عن قاعدة تبعية الصفة للموصوف بكافة أحواله اللغوية . . كما كانت تشتمل أيضا على الضمائر وأسماء الإشارة الخاصة بالمشار إليه ، والأسماء الموصولة وأدوات الاستفهام وحروف الجر وأسماء الزمان والمكان وحروف العطف .

كانت لغة راسخة ، ومع ذلك فقد كانت تتطور باستمرار لتتناسب مع التطورات الحضارية التى طرأت تباعاً على الشعب المصرى والدولة المصرية فى العصور القديمة .

ويقول عالم المصريات« سير ألان جاردنر» أن كتابة اللغة المصرية القديمة ظلت قائمة على أساس « الصورة» فى كافة حقبات التاريخ المصرى القديم ، بمعنى أنها كانت كتابة مصورة تتكون من صور لأشكال معينة ومضافة إليها بعض الرموز للتعبير عن العناصر الصوتية . . أى أن كتابة اللغة المصرية القديمة كانت تقوم على أساس نوعين من العلامات أوالرموز :

* الصور أو الرموز المستخدمة فى الكتابة لتمثل أو لتدل على « معنى » شىء أو فكرة . وهى ماتسمى فى فقه اللغة باسم IDEOGRAMS .

*الرموز المستخدمة لتصوير « كلمة » كاملة أو لتصوير مقطع من كلمة أولتصوير حروف معينة ذات دلالات صوتية معينة ، وهى ماتسمى فى فقه اللغة باسم PHONOGRAMS وتستخدم هذه الرموز للدلالة على الأصوات المنطوقة .

● المهنة الصعبة :

لذلك لم تكن الكتابة مهنة سهلة لمن يمارسها ، بل كان لزاماً على الكاتب أن يكون على دراية واسعة بكل العناصر الحية وغير الحية التى يراها فى كل مكان حوله . . فهو معرض بحكم هذه المهنة لرسم سلسلة من هذه الموجودات كرسم شكل الجسم البشرى أوأشكال الآلهة والحيوانات والطيور مع إجادة رسم أجزائها التفصيلية ، بالإضافة إلى رسم الثعابين والحشرات والأشجار والنباتات والأرض والسماء والمنشآت المعمارية والسفن ومحاريب المعابد وأنواع الأثاثات والملابس والأسلحة والأدوات المستخدمة فى مختلف الأغراض مما تحفل به الحياة اليومية فى مصر القديمة . وكان من الضرورى أن يتدرب الكاتب منذ طفولته وصباه على رسم هذه الأشياء رسماً صحيحاً طبقا للقواعد المقررة وطبقا للنماذج النمطية المحدودة سلفاً لكل شىء من هذه الأشياء . . وبفضل هذه الطريقة التعليمية ، وصلت إلينا تلك الأعداد الكبيرة من الأشكال المرسومة بعناية فائقة لكل تلك الصور والأشكال و العلامات والرموز التى استخدمت فى الكتابة الهيروجليفية .

● لغة العصافير :

ومن الطريف أن نذكر هناأن العلماء والمؤرخين العرب القدماء لم يتوصلواطبعاً إلى معرفة قراءة كتابات اللغة المصرية القديمة بعد أن اندرست هذه الكتابات بمئات السنين . . لذلك فقد أطلق بعضهم على الكتابة الهيروجليفية اسم « لغة العصافير » لكثرة ما كانوا يرون فيها من صور الطيور . . كما أن علماء ومؤرخين عرباً آخرين فسروا هذه الكتابة بأنها عبارة عن رموز لعلم الكيمياء الذى برع فيه المصريون القدماء واستطاعوا به تحويل الحديد والنحاس إلى ذهب وفضة «!!» . . وقال آخرون بأن هذه الرموز خاصة بالسحر وعمل الرقيات والأحجبة !

وقد شاعت مثل هذه الأقوال أيضا فى أوربا خلال العصور الوسطى . . وظلت الكتابة المصرية لغزاً مغلقاً لايعرف أحد سره حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادى .

● كتابات متعددة :

من المعروف أن اللغات قد تكتب « بخطوط » مختلفة . وعلى سبيل المثال فإن اللغات الأوربية قد تكتب بحروف مفردة أو بحروف متصلة . . كما أن اللغة العربية قد تكتب بالنسخ أو الرقعة أو الكوفى أو الفارسى . . الخ .

وكان الحال كذلك بالنسبة للغة المصرية القديمة ، فقد كانت تكتب بثلاثة أنواع من الخطوط ، هى : الخط الهيروجليفى ، والخط الهيراطيقى ، والخط الديموطيقى . . وهى التسميات التى أطلقها الإغريق القدماء على أنواع الخطوط التى كانت تكتب بها اللغة المصرية القديمة . ونوضح فيما يلى المعانى والخصائص الدالة على كل خط من هذه الخطوط الثلاثة .

● الكتابة الهيروجليفية :

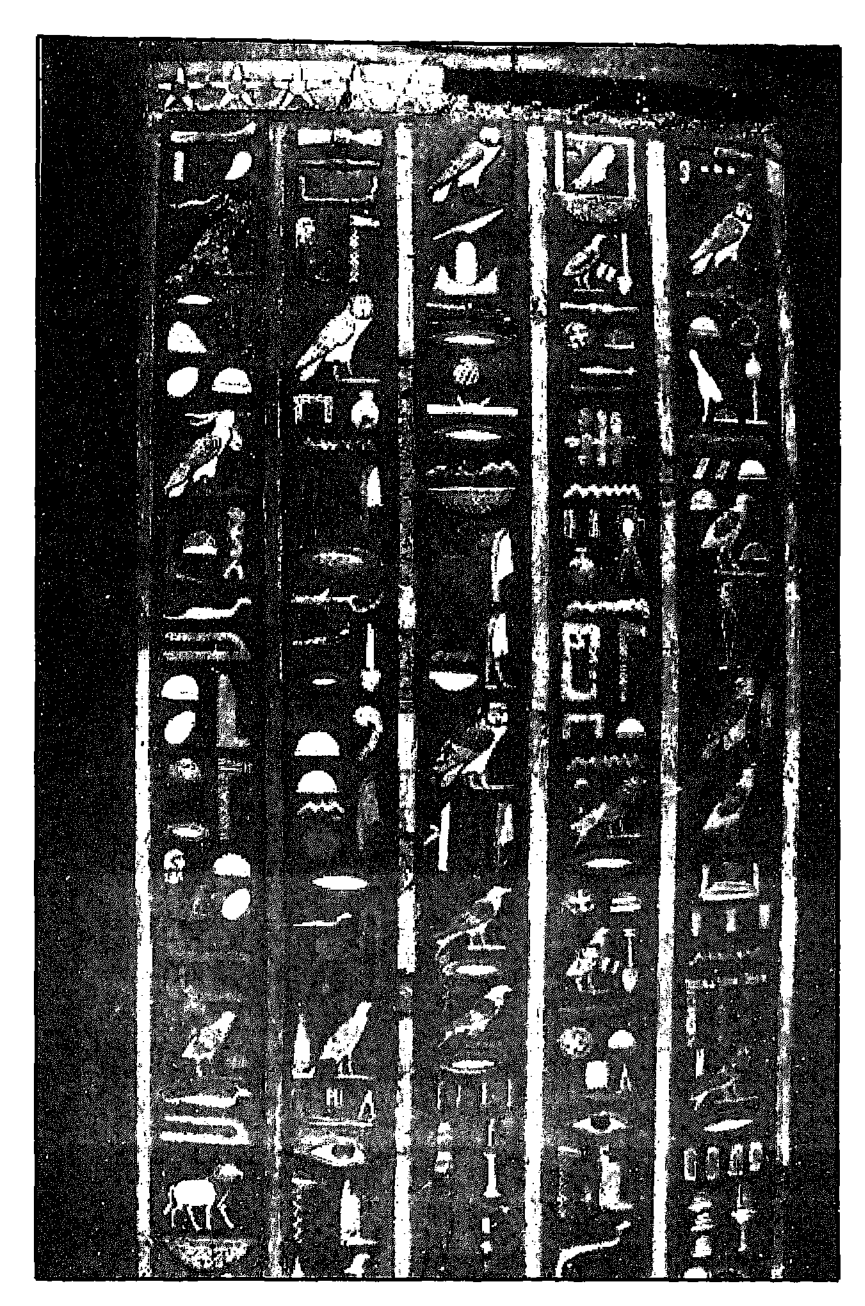
والهيروجليفية تعبير يونانى مكون من مقطعين ومعناه « الخط المقدس » . . ولم يكن قدماء المصريين يستعملون كلمة « هيروجليفية » لوصف هذا النوع من الكتابة ، وإنما كانوا يسمونه « نتر خرو » وهى أيضا تعبيرمكون من مقطعين ومعناه « الكلام المقدس » .

وتشير الدلائل الأثرية إلى أن المصريين عرفوا الكتابة الهيروجليفية فى عصور ماقبل التاريخ وقبل الأسرات . وقد ظلت هذه الكتابة سائدة لفترة تاريخية طويلة تزيد على أربعة آلاف سنة . . أى أنها أقدم الخطوط التى استعملها الإنسان فى الكتابة .

وتقرأ الكتابة الهيروجليفية من اليمين إلى اليسار ، أو من اليسار إلى اليمين حسب اتجاه أوجه الأشكال البشرية أو الحيوانية التى تتكون منها الرموز والعلامات الهيروجليفية ، كما قد تقرأ أيضا من أعلى إلى أسفل إذا وضعت الحروف فوق بعضها على شكل عمودى رأسى

● الكتابة الهيراطيقية :

والهيراطيقية تعبير يونانى مكون من مقطعين ومعناه « الكتابة الدينية أو الكهنوتية »



نموذج للكتابة الهيروجليفية التى تقرأ رأسيا من أعلى إلى أسفل

وذلك على أساس أن الكهنة المصريين هم الذين ابتدعوا هذا الخط واستعملوه فى كتاباتهم ذات الطابع الدينى .

ويعتبرالخط الهيراطيقى اختصاراً شكليا للخط الهيروجليفى . . ولعل السبب فى ظهور هذا الخط هو صعوبة نقش ورسم الحروف والرموز الهيروجليفية الأمر الذى دفع الكهنة إلى ابتداع هذا الخط المختصر لتوفير السرعة فى الكتابة والتدوين والسرعة فى نشر المعارف والعلوم بطريقة سهلة . ولذلك فقد استعمل هذا الخط للكتابة السريعة على أوراق البردى ، كما استعمل أيضا للكتابة بالحبر على الحجر والخشب .

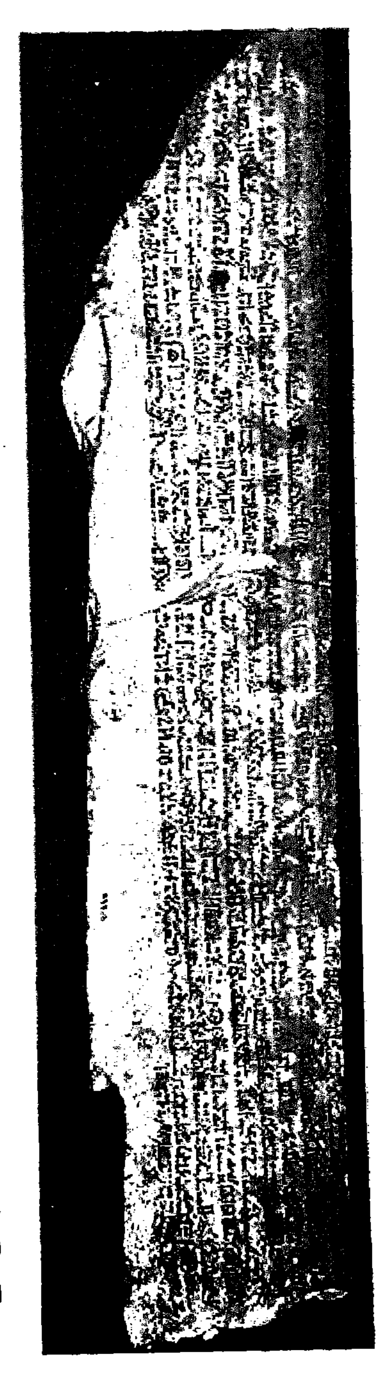
وقد يأخذ الخط الهيراطيقى شكل الحروف المفردة المنفصلة بعضها عن بعض ، كما يأخذ شكل الحروف المتصلة المشبكة فى كل كلمة على حدة ، أوبشبك واتصال الكلمات بعضها ببعض فى كل سطر .

● الكتابة الديموطيقية :

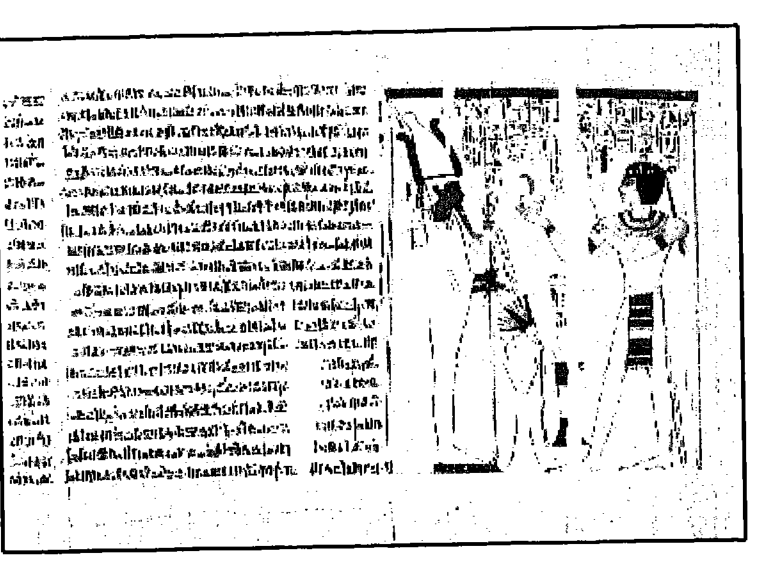
والديموطيقية هى الأخرى تعبير يونانى مكون من مقطعين ومعناه « الكتابة الشعبية» أو « الخط الشعبى » . وقد كتبت اللغة المصرية بهذا الخط بعد تطوير الخطين الهيروجليفى والهيراطيقى إلى شكل أكثر اختصاراً وسهولة فى التدوين . وقد ظهر الخط الديموطيقى فى شكل كتابة سريعة بحروف مائلة ومختصرة غاية الاختصار . ولذلك فقد كثر استعماله فى كتابة اللغة المتداولة بين الشعب العادى فى حياته ومعاملاته اليومية . ويقول بعض المؤرخين ان الكتابة بالخط الديموطيقى ظهرت أولا فى مدينة « إخميم » بصعيد مصر حيث كانت حركة المبادلات والأعمال التجارية من أهم أنشطة الأهالى فى تلك المدينة ، ومنها انتشر فى مصر كلها بعد أن تبينت سرعته وسهولته . وقد استعمل الخط الديموطيقى كأحد الخطوط الثلاثة المنقوشة على حجر رشيد ، وهو يتوسط النصين المكتوبين بالهيروجليفية واليونانية .

● أم الأبجديات :

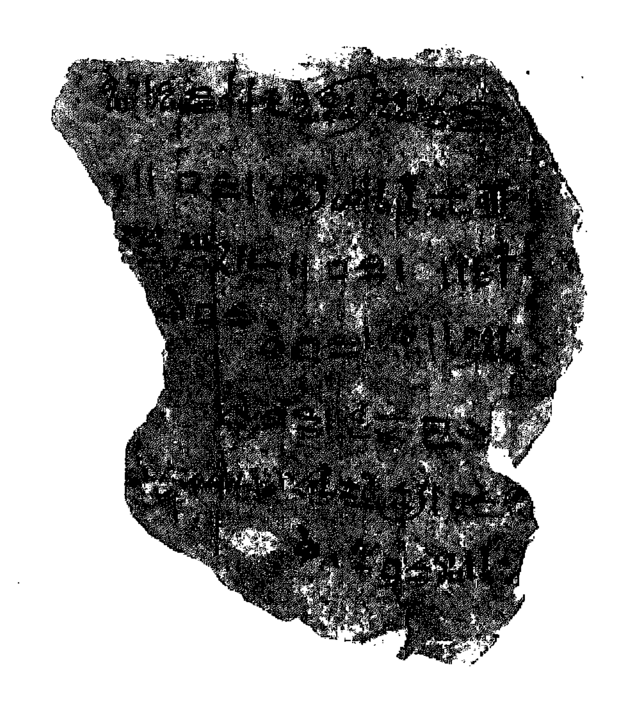
هكذا ابتدع المصريون أبجدية مألوفة محفوظة تمكنهم من مواصلة كتابة وتدوين لغتهم . . وكان هناك رأى يقول أن الفينيقيين هم أصحاب اختراع الحروف الأبجدية



قطعة مسطحة من الحجر الجيرى طولها ١٠٦,٥ سم وعرضها ٢١ سم وعليها كتابة « هيراطيقية » تتضمن مقدمة قصة « سنوحى » . وبالرغم من أن تاريخ هذه القصة يرجع إلى عصر الدولة الوسطى ، إلا أن نسخا عديدة من هذه القصة ظلت تكتب فى عصر الدولة الحديثة . وهذه القطعة الأثرية يرجع تاريخها إلى عصر الرعامسة وقد عثر عليها بمقبرة « سينجيم » عام ١٨٨٦ م



جزء من لفافة بردى عليها كتابات بالخط الهيروجليفى والخط الهيراطيقى



شقفة من الحجر الجيرى دُوِّن عليها نص عقد أجراه مصرى قديم اسمه « أمون واو » باع فيه عنزة مقابل (١) دبن [وحدة وزينة من النحاس تستعمل فى البيع والشراء] وسريراً مقابل (٢,٥) دبن

المستخدمة فى كتابة الكلمات والجمل . . ولكن العلماء الذين تفقهوا فى علم « اللغات المقارنة » يقولون الآن أن الفينيقيين قد ابتدعوا أبجديتهم اعتماداً على ماعرفوه من الكتابات المصرية ، فأخذوا طائفة من الرموز والعلامات والحروف التى دونت بها الكتابات المصرية وطوروها وهذبوها بشكل أكثر بساطة وخال من التعقيد ، ثم قاموا بترتيبها على أساس قاعدة ثابتة محددة ، ثم أذاعوا هذه الأبجدية الجديدة فى كل بلاد العالم القديم التى كانت على صلة بهم ، خصوصاً بلاد حوض البحر المتوسط . . والتقط الإغريق القدماء هذا التطوير الفينيقى فأدخلوا عليه بعض التعديلات الخاصة بحروف الحركة القصيرة .

ومن هذا يتبين لنا أن المصريين القدماء هم أصحاب الفضل الأول فى وضع القاعدة الخالدة بأن تكون لكل لغة أبجديتها حتى يمكن كتابتها وتدوينها بأى شكل تكون عليه الكتابة أو التدوين .

وفى عام ١٩٩٥ ظهربحث فى إحدى جامعات النمسا يؤكد بكل وضوح أن الأبجدية الهيروجليفية التى وضعها المصريون القدماء هى الأبجدية الأم لكل الأبجديات الأوربية الإغريقية واللاتينية ، وذلك استناداً إلى الحقيقة التاريخية التى تؤكد أن شعوب شمال البحر المتوسط التى كانت على قدر من الحضارة قد اتصلت بمصر القديمة ، بل واستوطنت بعض المناطق فى دلتا النيل ، قد تأثرت بالثقافة المصرية وبالطرق التى كانت شائعة فى مصر للكتابة بحروف أبجدية معروفة .

وعلى هذا الأساس اعتمدت هذه الشعوب الأوربية على النظام الأبجدى المصرى واستخدمته فى كتابة اللغات الأوربية بعد أقلمته وتطويره ليتناسب مع حرفية النظام الصوتى للنطق الأوربى للحروف .

وبعد فتح الاسكندر الأكبر لمصر عام ٣٣٢ ق م وبداية العصر البطلمى ، شاع استعمال اللغة اليونانية فى مصر كلغة رسمية إلى جانب اللغة المصرية المحلية التى كانت تكتب بالهيروجليفية والديموطيقية .

وعندما بدأ العصر الرومانى فى مصر بعد مصرع كليوباترا سنة ٣١ ق م شاع استخدام اللغة اللاتينية إلى جانب اللغتين المصرية واليونانية .

● اللغة القبطية :

من الحقائق التاريخية أن مصركانت من أولى الدول التى آمنت بالمسيحية فى أعقاب ظهورها وانتشارها فى أرض فلسطين . وكانت مصر آنذاك خاضعة كولاية للامبراطورية الرومانية ، وتعرض المسيحيون المصريون الأوائل إلى الاضطهاد الوحشى من جانب الحكام الرومان، إلى أن اتخذت روما الديانة المسيحية كديانة رسمية للدولة الرومانية والولايات التابعة لها ، وصدر أمر امبراطورى رومانى بتحريم كافة الديانات والعبادات الوثنية فى مصر .

ومنذ القرن الثالث الميلادى تقريباً انتهى عصر كتابة اللغة المصرية القديمة بالحروف والرموز والعلامات الهيروجليفية ، وهو العصرالذى استمر نحو أربعة آلاف سنة . . كماانتهى أيضا عصر الكتابة بالخط الهيراطيقى ، بينما استمرت كتابة اللغة المصرية بالخط الديموطيقى الشعبى إلى جانب الكتابة بالحروف اليونانية التى استعملت أيضا فى كتابة اللغة المصرية القديمة إلى جانب استعمالها فى كتابة اللغة اليونانية نفسها .

ولكن تبين عملاً أن الأبجدية اليونانية لم يكن بها مايماثل بعض ألفاظ الحروف المستخدمة فى تكوين كلمات اللغة المصرية القديمة ، لذلك فقد أضاف المصريون الأقباط « سبعة » حروف استخرجوها من حروف الكتابة الديموطيقية وأضافوها إلى حروف الأبجدية اليونانية التى كانوا يكتبون بها لغتهم المحلية . وقد عرفت هذه الكتابة الجديدة باسم « اللغة القبطية » .

وظلت اللغة القبطية المكتوبة بحروف يونانية / ديموطيقية [وهى فى الأصل لغة المصريين القدماء] مستخدمة فى التدوين طوال العصرالرومانى والبيزنطى وإلى مابعد عصر الفتح العربى الاسلامى لمصرسنة ٦٤٠ ميلادية ، حتى تولى الخلافة الاسلامية الخليفة الأموى « الوليد بن عبد الملك بن مروان » سنة ٧٠٥ م .

ويعتبر عهد هذا الخليفة أزهى عصور المد الاسلامى ، فقد فتحت جيوشه بلاد الهند والقوقاز والمغرب وصقلية وبلاد الأندلس . . كما بنى فى عهده المسجد الأقصى فى القدس والجامع الأموى بدمشق .

وفى عهده أيضا تقرر وقف ومنع استخدام اللغة القبطية فى الدوائر والأعمال الحكومية بمصر، وأمر باستخدام اللغة والكتابة العربية فى كافة الأعمال الرسمية ، وبالتالى فقد بدأت اللغة العربية تتغلغل فى حياة المصريين حكومة وشعباً . ومع ذلك فقد استمراستخدام اللغة القبطية فى بعض الشئون الحياتية للمصريين حتى عام ٩٩٧ م حين أصدر الخليفة الفاطمى « الحاكم بأمر الله » أمره بمنع استخدامها نهائياً ، بل وفرض عقوبة على من يتكلمها أويكتب بها .

وبالرغم من هذا الحظر الشامل ، فقد ظلت فئات قليلة من أقباط الصعيد تتكلم هذه اللغة حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، كما ظلت مستخدمة حتى الآن فى ممارسة بعض الطقوس الدينية داخل الكنائس .

● النظام العشرى والهندسة :

كان النيل وفيضانه السنوى المنتظم هو المعلم الأول للمصريين لكى يتفقهوا فى علم الحساب . . فمنذ عصور ماقبل التاريخ استطاع المصريين أن يبتدعوا النظام العشرى للأعداد من آحاد وعشرات ومئات وآلاف وملايين . وظل هذا النظام الحسابى مستخدماً فى مصر طوال العصور التاريخية إلى أن انتقل إلى دول وشعوب العالم القديم ، عدا بعض الشعوب المتخلفة من جيران مصر التى كانت لاتعرف من الأعداد والأرقام إلا سبعة أرقام فقط من رقم (١) إلى رقم (٧) . . وحين كانت هذه الشعوب تريد أن تعبر عن رقم (٨) كانت تقول « سبعة وواحد » كما تعبر عن رقم (١٠) بالقول «سبعة وثلاثة » وهكذا .

ويرجع الفضل للمصريين أيضا فى وضع مجموعة القواعد الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة ، كما عرفوا نظام الكسور البسيطة والمركبة والجذور التربيعية والمتواليا ت الحسابية . . واستطاعوا أيضا استخدام بعض المعادلات الجبرية .

وتدل الشواهد الأثرية على استعانة قدماء المصريين بقواعد علم الحساب فى ممارسة شئونهم الحياتية سواء فى الزراعة أو فى الصناعة والتجارة وفى الأعمال الحكومية كعمليات فرض الضرائب وحسابات الجباية ، وفى الأعمال المتعلقة بادارة الجيوش وتجهيزاتها

معادلة رياضية مكتوبة بالخط الهيراطيقي يرجع تاريخها إلى حوالى عام ١٦٠٠ ق م تتعلق بكيفية حساب أطوال ومساحات المثلثات .

مسطرة مصرية قديمة منحوتة من الخشب
كانت تستعمل لقياس « الذراع المصرى » وتقسيماته الدقيقة

الحربية . بالإضافة إلى استخدام هذه القواعد فى الحسابات الفلكية كتقسيم السنة إلى ٣٦٥ يوماً ، وإلى ثلاثة فصول ، وإلى ١٢ شهراً وتقسيم كل شهر إلى ثلاثين يوماً .

ومن المؤكد أن المصريين قد عرفوا القواعد والنظريات الهندسية منذ بداية التاريخ ، ولولا ذلك لما استطاعوا تخطيط وإنشاء المدن ، أو إقامة الأهرام الشاهقة ، وبناء المعابد الضخمة ، ونحت المقابر فى بطن الجبل ، وحفر الترع ، ورسم حدود الحقول وحدود الأقاليم ورسم الخرائط .

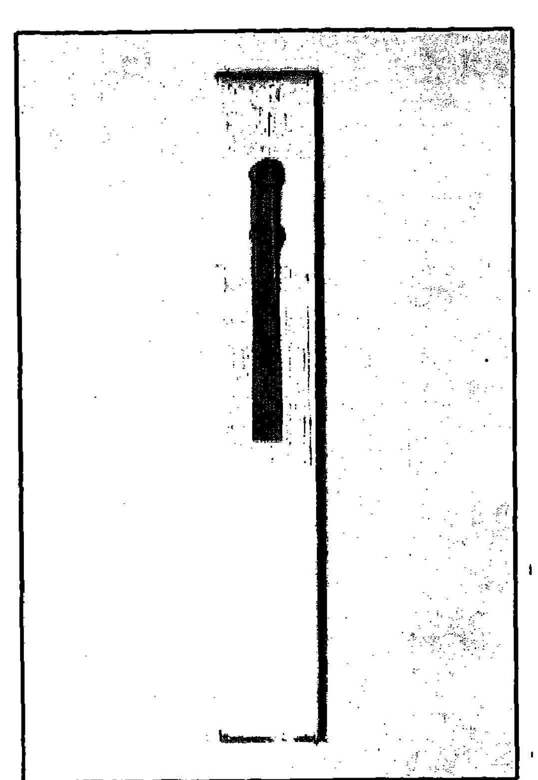
وقد تم العثور على العديد من البرديات والنقوش الجدارية التى تؤكد معرفة المصريين القدماء بكيفية تحديد المساحات والزوايا والمحيطات ، وتحديد مساحة المثلثات والمربعات والمستطيلات والدوائر ، وقياس محيط الدائرة وعلاقته بقطرها ، وتحديد وقياس الأحجام التكعيبية للأشكال الأسطوانية والأشكال الهرمية .

ولا جدال فى أن كبار فلاسفة الإغريق الذين تفقهوا فى الهندسة والعلوم الرياضية كانوا قد تلقوا تعليمهم المبدئى فى مصر سواء فى جامعة الاسكندرية أوجامعة عين شمس [هليوبوليس] .

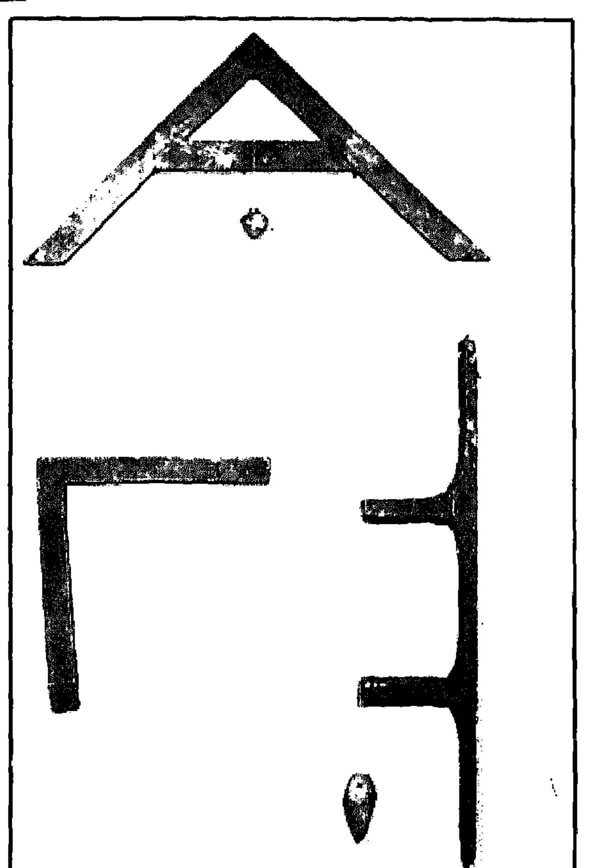
ومما يذكر فى هذا الصدد أن الفيلسوف اليونانى العظيم « أفلاطون » عندما جاء إلى مصر اتصل بمدارسها ومعاهدها التى كانت موجودة ومزدهرة فى عصره ، وسجل أفلاطون إعجابه الشديد بمناهج التعليم وتدريس الحساب والهندسة والعلوم الرياضية فى تلك المدارس والمعاهد المصرية ، فكتب يحث أبناء وطنه عندما عاد إلى أثينا على تعليم الأولاد منذ الصغر قواعد الحساب والهندسة والعلوم الرياضية اقتداءً بالطريقة المصرية .

● وعلموا الناس صناعة الورق :

كان من قدر مصر أن حباها الله بهذا النبات الافريقى المبارك [البردى - PAPYRUS] الذى كان ينمو بكثافة شديدة على شطآن النيل وأحراشه . وقد تنبه المصريون منذ عصور ماقبل التاريخ إلى الفوائد العملية الجمة لهذا النبات . . فقد اتخذوا من سيقانه الطويلة التى قد يصل ارتفاعها إلى ستة أمتار مادة ملائمة ومناسبة



مقلمة مصنوعة من العاج المطعم بالذهب ،
عثر عليها بمقبرة توت عنخ أمون



أدوات هندسية كانت تستخدم فى البناء لتحديد الزوايا
والخطوط المستقيمة والأفقية والرأسية .



تحفة أثرية نادرة عبارة عن ساعة مائية مصنوعة على هيئة وعاء من الألبستر الذى كان مرصعاً ببعض الأحجار الكريمة . وهى مقسمة من الداخل والخارج بتقسيمات تدل على ساعات اليوم . ويرجع تاريخ هذه الساعه إلى عهد الملك امنحوتب الثالث ، وهى من معروضات المتحف المصرى .

لبناء بيوتهم وأكواخهم قبل أن يعرفوا كيفية البناء بالطوب اللبن والأحجار . . كما صنعوا من تلك السيقان أنواعاً من المراكب والسفن النيلية والسفن الكبيرة التى كانوا يمخرون بها عباب البحار، وذلك قبل أن يعرفوا بناء المراكب والسفن الخشبية . . كما عرفوا كيف يفتلون أليافه الداخلية ليصنعوا منها الحبال أو ليصنعوا أحذية وصنادل يلبسونها فى الأقدام . . بل وجعلوا من هذا النبات شعاراً وطنياً ورمزاً مقدساً للوجه البحرى ، حيث كان هذا النبات ينمو بقدر أكبر من الكثافة على شطآن فروع النيل التسعة التى كانت موجودة آنذاك ، وفى البرك والمستنقعات والأحراش التى كانت منتشرة فى كافة أنحاء الدلتا طولاً وعرضاً .

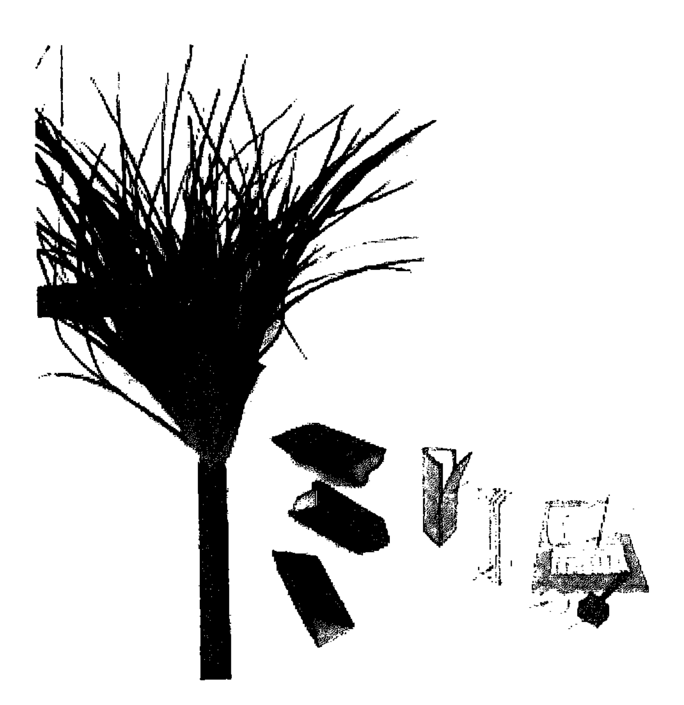
غير أن أهم فضل حققه هذا النبات المبارك لصالح المصريين القدماء بل ولصالح الحضارة الانسانية بصفة عامة ، هو الإلهام الإلهى الذى جعل المصريين يفكرون فى استخدام هذا النبات لصناعة الورق اللازم للكتابة .

وقد عرف المصريون صناعة الورق قبل أن تعرفها أية أمة من أمم الأرض . . فقد لاحظوا أن سيقان نبات البردى مثلثة الأضلاع ، فكانوا يقومون بتقطيع الساق إلى قطع متساوية ، ثم ينزعون اللحاء أو القشرة الخارجية للساق ، ويقومون بتقطيع اللب الداخلى إلى أشرطةأوسُلَخ وشرائح رقيقة متساوية الطول . . ثم يرتبون وضع هذه الشرائط فوق بعضها بطريقة « خلف وخلاف » أى بوضع صف أفقى فوق صف رأسى . . ويدقون عليها بمطارق خشبية إلى أن يلتصق الصف الأفقى بالصف الرأسى بفعل العصارة اللزجة التى تحتوى عليها ألياف الساق . . ثم يقومون بعد ذلك بتنعيم سطح ورقة البردى وتجهيزها للكتابة أو الرسم ، وذلك باستعمال حجرذى سطح أملس ناعم. وفى المرحلة الأخيرة تجفف أوراق البردى فى الشمس وتصبح عندئذ صالحة تماماً للكتابة والتدوين .

وقد برع المصريون أيضا فى لصق صفحات البردى ببعضها حتى تأخذ شكل «لفافة» بلغ طول بعضها نحو أربعين مترا ، وكانت تكفى لكتابة وتدوين نص متكامل لأبواب وفصول كتاب كامل .



كان نبات البردى ينمو فى أحراش النيل وشطآنه بكثافة شديدة .



رسوم توضيحية لمراحل تصنيع أوراق البردى بدءاً من تقطيع الساق المثلثة الإضلاع إلى أجزاء متساوية ، ثم نزع اللحاء ، ثم تشريح اللب الداخلى إلى شرائح ، ثم تستيف هذه الشرائح بطريقة «خلف وخلاف» أى أفقيا ورأسيا ، ثم الدق عليه بمطرقة خشبية حتى تلتصق معا بفعل العصارة ، ثم تنعيم الصفحة بعد تمام صنعها

وبطبيعة الحال فقد كانوا يدونون كتاباتهم أورسومهم فوق السطح الأفقى لصفحات البردى . ومع ذلك فقد وجدت بعض الصفحات مكتوبة على الوجهين الأفقى والرأسى .

وقد أثبتت الأوراق المصنوعة من البردى أنها أمتن من الورق العادى المستخدم فى عالم اليوم وأطول منه عمراً وقدرة على الثبات فى مواجهة تأثير الزمن . والدليل على ذلك هو وجود مئات من البرديات القديمة مازالت فى حالة جيدة جداً ، ومازالت الكتابات والرسوم المدونة عليها محتفظة بوضوحها وألوانها الزاهية الثابتة .

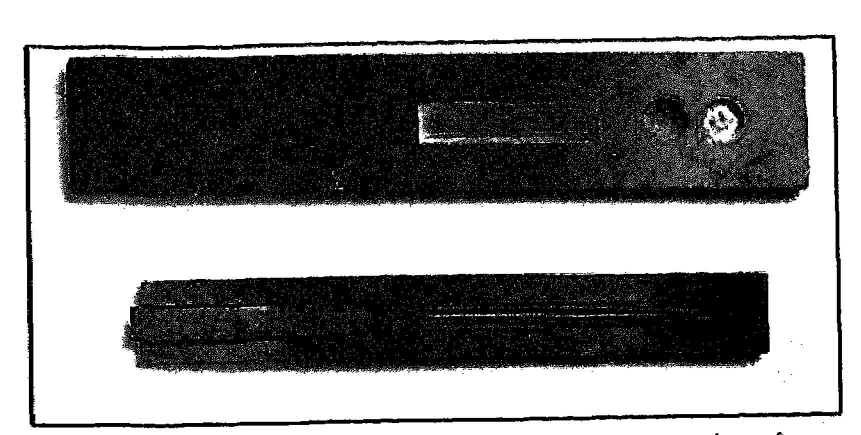
وكانت صناعة أوراق البردى صناعة وتجارة مزدهرة طوال العصور التاريخية المصرية القديمة ، حيث كانت تصدّر منه كميات كبيرةلدول العالم القديم التى تعلمت الكتابة . وتم العثور على برديات كتبت باللغات الآرامية والسيريانية والعبرية واليونانية واللاتينية والعربية ضمن الآثار التى خلفتها الشعوب المختلفة ، هذا بالطبع بالإضافة إلى استخدام أوراق البردى فى مصر للكتابة عليها بالخطوط الهيروجليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية .

● وعلموا الناس صناعة القلم :

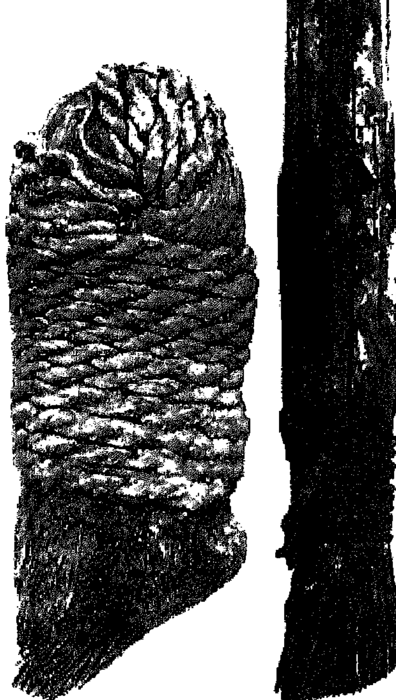
وفى نفس المناطق التى ينمو فيها بنات البردى المستخدم فى صنع الورق ، كان ينمو البوص ، وهو نبات قصبى يعرف علمياً باسم JUNCUS MARITIMUS. وقد استخدمه المصريون القدماء فى صنع الأقلام ، أى أن ضفاف النيل وشطآنه كانت كنزاً حصل منه المصريون على الورق والقلم .

وظل المصريون على مدى آلاف السنين يصنعون أقلامهم من هذا النبات . . وحتى عندما تحولت مصر إلى استخدام اللغة العربية نطقاً وكتابة ، كانت الأقلام التى تصنع من هذا النبات والمعروفة « بأقلام البسط » وسيلة مناسبة تماماً لكتابة كافة أنواع الخط العربى ، حيث كانوا يختارون منه أحجاماً ذات تخانات مختلفة ، ويعدونها بطريقة خاصة لتتناسب مع كتابة خطوط النسخ والرقعة والكوفى والفارسى .

وقد انتشرت صناعة الأقلام المصرية فى مختلف الحضارات القديمة ، وكان الإغريق



باليتة ألوان وأحبار ومقلمة من عصر الدولة الحديثة . . الباليتة مصنوعة من حجر الشيست ، طولها ٣٢,٣ سم وعرضها ٦,٢ سم وسمكها ٠,٦ سم وقد عثر عليها بمنطقة تل الربع عام ١٩٠٢ م ، ونرى بها فجوتين للحبر الأسود والحبر الأحمر . أما المقلمة فهى مصنوعة من الخشب وطولها ٢٧,٦ سم وعرضها ٣,٦ سم وسمكها ٠,٨ سم . وقد عثر عليها عام الآثار « ف . لوريه » بمنطقة سقارة عام ١٨٩٨م



فرشتان كانتا تستخدمان فى الكتابة والتلوين

يطلقون على القَلم المصرى اسم CALAMOS . وهو الاسم التى تحولْ إلى اللغة العربية إلى كلمة «قلم» .

ومن هذا النبات أيضا ابتكر المصريون صناعة الفرش المستخدمة فى التلوين . . فصنعوا الفرش العريضة المستخدمة فى تلوين المساحات الكبيرة ،والفرش الرفيعة لتلوين الأجزاء الدقيقة من الكتابات أو المناظر المرسومة .

وبرع المصريون أيضا - منذ عصور ماقبل التاريخ - فى صناعة وتجهيز الأحبار والألوان . وكانوايستخدمون الفحم النباتى والاسبيداج والصمغ لتركيب الحبر الأسود ، كمااستخدموا المغرة الحمراء ومركبات كيماوية أخرى لتحضير الأحبار والألوان الحمراء والزرقاء والخضراء والصفراء والبيضاء .

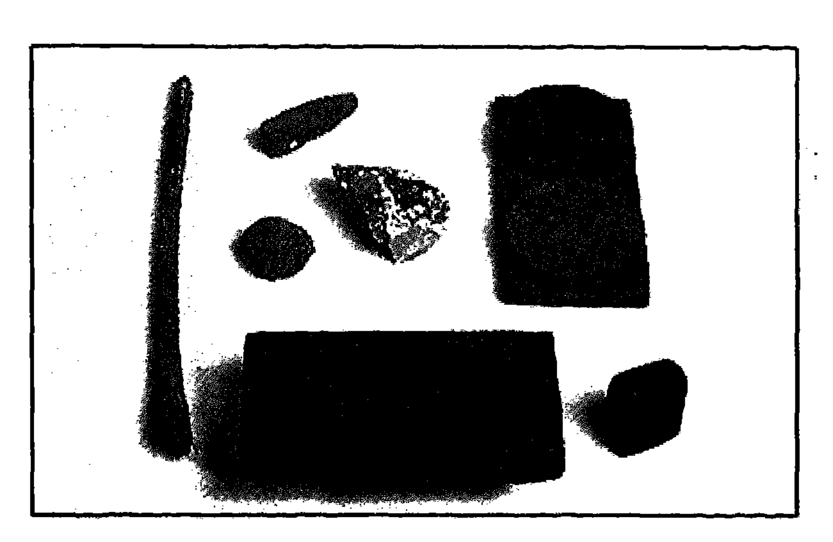
ومن الحقائق المعروفة أن المصريين القدماء بدأوا الكتابة والتدوين على سطح الحجر قبل أن يعرفوا أوراق البردى . . ولذلك فقد كانوا يستخدمون أنواعاً من الأزاميل لحفر الكلمات والنقوش والمناظر العامة على جدران المعابد والمقابر .

● الحجر الذى كشف أسرار التاريخ :

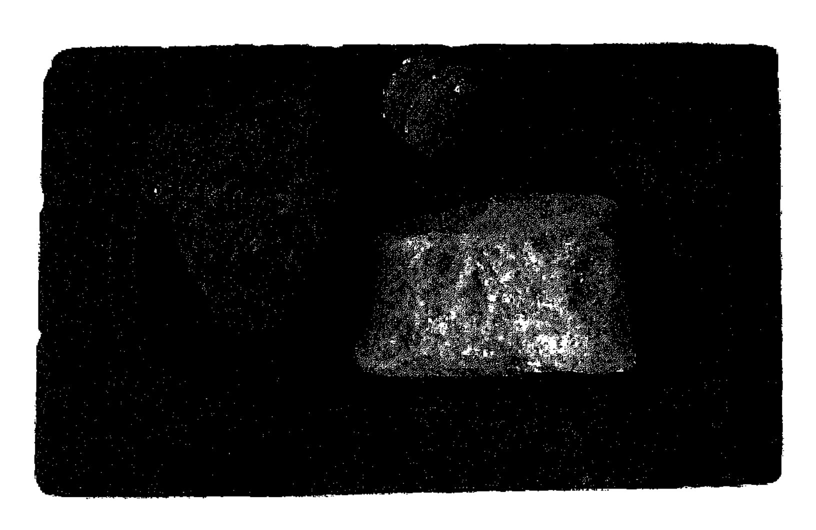
فى عام ١٧٩٩ م- أثناء الحملة الفرنسية على مصر - صدرت أوامر لفرقة من الجيش الفرنسى لتأسيس قلعة أو حصن حزبى فى منطقة مصب النيل بآخر فرع رشيد ، وذلك كخط دفاع عن الجيش الفرنسى المنتشر فى القاهرة ومناطق الوجهين البحرى والقبلى . وهو الحصن الذى أطلق عليه اسم قلعة سان يوليان .

وقد عثرت هذه الفرقة العسكرية التى كانت تحت قيادة ضابط فرنسى اسمه «بوشارد» على حجر من البازلت الأسود ، قيل إنه كان ضمن آثار حائط قديم كماقيل انه كان ملقيا على الأرض . وكان من الواضح وجود كتابات غامضة منقوشة على وجه هذا الحجر منها كتابة باللغة اليونانية .

وقام الضابط بوشارد باخطار قائده الجنرال مينو الذى كان مقيماً بالاسكندرية بخبر العثور على هذا الحجر ، فأمر مينو بإحضار الحجر إلى بيته ، وحفظه هناك لمدة عامين واعتبر الحجر من ممتلكاته الخاصة .



مجموعة من المواد الطبيعية ذات ألوان مختلفة كانت تطحن وتذاب فى الماء أو فى بياض البيض لاستخدامها فى تلوين الرسوم أو الكتابة



مواد كيماوية طبيعية ذات ألوان مختلفة ، كانت تطحن وتذاب لتستخدم فى عمل الأحبار والأصباغ المختلفة الألوان

وعندما وصل نبأ هذا الحجر إلى نابليون الذى كان مقيماً آنذاك بالقاهرة أمر باحضار الحجر من الاسكندرية ووضعه فى « المعهد العلمى المصرى » الذى أسسته الحملة الفرنسية فى القاهرة ليكون فى متناول فحص ودراسة المتخصصين من رجال البعثة العلمية التى كانت مصاحبة للحملة . وقام هؤلاء العلماء بفحص الحجر وحاولوا معرفة معانى الكتابات المنقوشة عليه ولكنهم أخفقوا فى ذلك ولم يصلوا إلى نتيجة حاسمة . وعندئذ أمر نابليون باستحضار اثنين من أمهر الفرنسيين المتخصصين فى الطباعة الحجرية ليقوما باستنساخ الحجر وعمل نسخ مقلدة تماماً لكل ماهو مكتوب على سطح الحجر من كتابات ونقوش . وأمر نابليون بتوزيع هذه النسخ على عديد من علماء أوربا لدراستها وتحديد هويتها ومعانيها .

وبعد انتهاء هذه العملية استعاد الجنرال مينو الحجر ونقله مرة أخرى إلى بيته بالاسكندرية وظل متمسكا بملكيته له .

وبسبب الظروف السياسية الدولية التى كانت سائدة فى ذلك العصر ، لعبت انجلترا دوراً حاسماً فى إخراج الجيش الفرنسى من مصر بصفة نهائية ، وأبرمت مع فرنسا عام ١٨٠١ م معاهدة تنص فى البند (١٤) منها على أن [يصير تسليم جميع الآثار المصرية التى عثرت عليها الحملة الفرنسية إلى القائد الانجليزى فى موعد أقصاه أغسطس ١٨٠١] . وبناء على تنفيذ هذا البند تم تسليم جميع القطع الأثرية التى عثرت عليها الحملة إلى القائد الانجليزى المشار إليه فيما عدا حجر رشيد بعد أن ادعى الفرنسيون انه ملك للقائد مينو. ولكن القائد الانجليزى « ميجور جنرال ترنر » تمسك بوجوب تنفيذ نص المعاهدة وأصر إصراراً قاطعاً على ضرورة تسليم الحجر ، وجرت مكاتبات بينه وبين الحكومة الفرنسية التى استسلمت أخيراً وسلمت الحجر للانجليز .

● حجر رشيد فى لندن :

ونقله الانجليز إلى لندن وأودعوه فى قاعة « الجمعية الأثرية الانجليزية » حيث ظل بها لعدة شهور تم خلالها تصويره وعمل نسخ حجرية متكررة طبق الأصل ، أرسلوها إلى علماء الشرقيات والمتخصصين فى اللغة اليونانية . كما أودعوا نسخاً حجرية فى

جامعات أكسفورد وأدنبره ودبلن . أما النسخة الأصلية من حجر رشيد فقد نقلوها إلى إحدى قاعات العرض بالمتحف البريطاني كتحفة أثرية جذبت اهتمام مئات الآلاف من زوار المتحف .

وكان أول تقرير كتب عنه انه حجر من البازلت غير منتظم الشكل لأن القسم العلوى منه الذى يتضمن الكتابة الهيروجليفية كان مكسوراً وناقصاً [ولكن لحسن الحظ فقد عثر على حجر بمعبد جزيرة فيله بأسوان كتب عليه بالهيروجليفية نص هو طبق الأصل من النص الهيروجليفى المكتوب على حجر رشيد فتم بذلك استكمال هذا النص الأخير] .

ويتضمن الحجر نصاً واحداً كتب بثلاثة خطوط : الخط العلوى هيروجليفى ويتكون من ١٤ سطراً ، والخط الأوسط ديموطيقى ويتكون من ٣١ سطراً ، والخط السفلى يونانى ويتكون من ٥٤ سطراً .

وبطبيعة الحال فقد كان النص المكتوب باليونانية هو أسهل النصوص فى القراءة السريعة . ولذلك فقد قام « الأب استفان ويستون » بترجمة هذا النص اليونانى إلى الانجليزية ، وقرأ الترجمة أمام أعضاء الجمعية الأثرية بلندن . كما قام العالم « المسيو تيل » بترجمة هذا النص إلى الفرنسية . وقام « المسيو أميلون » بترجمته إلى اللاتينية . وقد تمت جميع هذه الترجمات خلال عام ١٨٠٢ .

وفى نفس العام أيضا قام العالم الفرنسى «سلفستر دى ساسى » بدراسة النص المكتوب بالديموطيقية ، واستطاع أن يحدد ويحصر عدد الحروف الأبجدية [٢٥ حرفاً] التى تتكون منها الكتابة الديموطيقية ، وبذلك أمكنه قراءة ونطق الكلمات المكتوبة بهذا الخط ولكن دون معرفة معانيها . وعندئذ تذكر العلماء ماتوصل إليه العالم الألمانى « الأب كيرشر » الذى أعلن فى القرن السابع عشر أن « اللغة القبطية » هى نفسها اللغة المصرية القديمة التى كان يتحدث بها قدماء المصريين ، ولكنها لغة مكتوبة بحروف يونانية وبعض حروف الديموطيقية . وبهذا تمكن العلماء من عقد مقارنة بين نطق الكلمات والجمل المكتوبة بالديموطيقية والنطق حسب الدلالات الصوتية للغة القبطية ،



حجر رشيد

واستطاعوا بذلك ترجمة النص الديموطيقى . أما النص المكتوب بالهيروجليفية فقد كان من الصعب معرفة نطقه ولافهم أسراره وألغازه ورموزه .

● شامبليون وحل رموز الهيروجليفية :

ولد جان فرانسوا شامبليون فى مدينة فيجال بفرنسا عام ١٧٩٠ م . وكان يتمتع منذ صغره بقدرة غريبة على دراسة اللغات . . فعندما بلغ سن الثالثة عشرة كان قد تعلم اللغات العبرية والكلدانية والسيريانية واليونانية والعربية . وفى شبابه درس « اللغة القبطية » وأجادها إجادة تامة ، وهى اللغة التى ساعدته كثيراً فى جهوده العلمية لكشف أسرار وألغاز الكتابة الهيروجليفية . ولاجدال فى أن شامبليون قد استعان بجهود من سبقوه من العلماء الذين بذلوا جهوداً لاتنكر فى فك رموز الهيروجليفية وطلاسمها . ومن هؤلاء العلماء العالم الانجليزى « بانكس » الذى استطاع تحديد وقراءة اسم « كليوباترا » المنقوش على المسلة التى اكتشفت عام ١٨١٥ وكانت نقوشها مكتوبة بالهيروجليفية واليونانية . . والعالم الانجليزى « الدكتور توماس يانج » الذى درس الهيروجليفية المكتوبة على حجر رشيد واستطاع أن يحدد اسم « بطلميوس » كما قام بتحديد بعض حروف الأبجدية الهيروجليفية .

وفى عام ١٨٢٢ استطاع شامبليون فك معظم الرموز والعلامات والحروف الهيروجليفية ، وقام بتصحيح الأبجدية التى وضعها الدكتور توماس يانج ، مستعيناً فى ذلك بمعرفته الشاملة للغة القبطية .

وقد توصل شامبليون إلى هذا الكشف وكان عمره لايزيد على ٣٢ عاماً . ثم واصل جهوده فى كشف المزيد من أسرار الكتابة الهيروجليفية وأبجديتها وأجروميتها إلى أن مات عام ١٨٣٢ وكان عمره آنذاك ٤٢ عاماً .

● وأصبح تاريخ مصر مقروءاً :

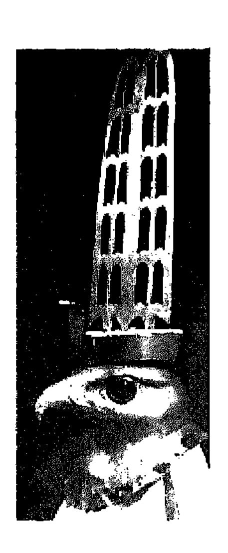
وتفرغ عدد كبير من العلماء الأجانب لدراسة الهيروجليفية واستكمال وضع أجروميتها ووضع قاموس يحدد معانيها ، حتى استطاعوا قراءة مئات النصوص المكتوبة بالهيروجليفية على الآثار المصرية . ونذكر منهم العلماء الانجليز ولكنسون . .

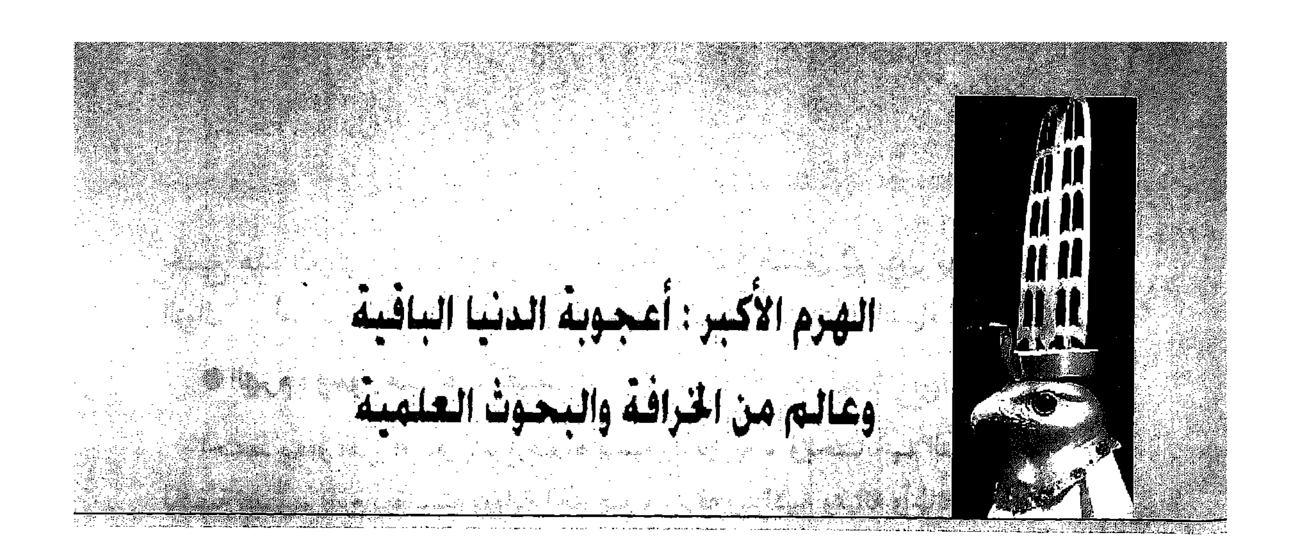


جان فرانسوا شامبليون ، استطاع فى عام ١٨٢٢ فك رموز الكتابة الهيروجليفية

وهانكس . . وبريتش . . والعلماء الفرنسيين نستور . . ولوث . . وشارل لنرمان . . وإيمانويل دى روجيه . . والعالمين الإيطاليين روزيلليني وإنجاريللي . . والعالم الهولندى ليمانس . . والعالم الألمانى ليبسيوس .

ثم استمرت وتتابعت بحوث علماء آخرين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أهمهم سير ألان جاردنر . . وماربيت . . وشاباس . . ودى فيريا . . وهنرى بروكش . . وماسبيرو . . وأحمد كمال باشا . وبفضل البحوث والدراسات العلمية التى أجراها هؤلاء العلماء وغيرهم من العلماء الآخرين ، أصبح من السهل الآن قراءة كل مادونه المصريون القدماء بالهيروجليفية . . وكشفت مصر عن وجهها الحضارى العظيم ، وعن سير وأحداث تاريخها المجيد ، وعن كل ماعرفته من علوم وفنون وآداب، حتى أجمع المؤرخون المحدثون على القول بأن مصر القديمة هى أم الحضارات .





الهرم الأكبر : أعجوبة الدنيا الباقية وعالم من الخرافة والبحوث العلمية

فى الكتاب السنوى « العلم والمستقبل » لعام ١٩٨٦ الذى تصدره دائرة المعارف البريطانية كملحق سنوى متتابع للموسوعة العالمية الشهيرة « إنسيكلوبيديا بريتانيكا » ورد بحث مستفيض عن أحدث ماوصلت إليه « عمارة » ناطحات السحاب . وقد استهل هذا البحث العلمى بنص هاكم مضمونه :

« كان المهندسون المعماريون المصريون القدماء هم أول من فكر فى إنشاء بناء يرتفع رأسيا إلى عنان السماء . وظل هرم خوفوالذى كان يرتفع إلى ١٤٦.٥ متراً/ ٤٨٢ قدما ، هو البناء « الوحيد » المرتفع فى سماء العالم إلى مثل هذا الارتفاع الشاهق لمايزيد على ٤٥٠٠ عام .

وظل الهرم الأكبر أضخم وأعلى بناء شيده الإنسان حتى العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين ، حين ظهرت ناطحات السحاب تباعا فى نيويورك ، حيث شيد برج شركة متروبوليتان للتأمين على الحياة سنة ١٩٠٩ م . . ومبنى وولورث سنة ١٩١٣ م . . وعمارة الإمبايرستيت سنة ١٩٣١ . . وعندئذ فقد الهرم الأكبر تفرده فى الارتفاع ، وأن ظل محتفظا إلى الآن بتفرده فى الضخامة، وبإعجازه المحير فى فنون وهندسة العمارة .

وطبقا لمقاييس العلوم الحديثة ، يقول علماء الهندسة والعمارة أن العمر الافتراضى

لجميع هذه العمائر والمنشآت الحديثة يقاس «بعشرات » السنين ثم يؤول مصيرها إلى الزوال . . أما الهرم الأكبر فسوف يظل ثابتا على الأرض شامخا فى عنان السماء ! » .

● الهرم : ومؤرخو العالم القديم :

احتفظ بنّاءو الهرم الأكبر بأسرارهم الهندسية والمعمارية ، وبحساباتهم التى أجروها لكيفية تصميم الهرم بمقاييسه وزواياه الخارجية ، وغرفه وسراديبه وممراته وأبهائه الداخلية . . ولم يعرف العالم القديم كله - بعد انتهاء عصر بناة الأهرام - كيف كان المصريون القدماء يشيدون هرما .

وقد ظهر فى العالم القديم مؤرخون كثيرون منهم على سبيل المثال : هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد . . وديودور الصقلى فى القرن الأول قبل الميلاد . . وفيلون فى القرن الأول بعد الميلاد . . وهذا المؤرخ الأخير هو الذى حدد « عجائب الدنيا السبع » ووضع الهرم الأكبرعلى قمتها . . وكانت القاعدة فى العالم القديم ألا يعتبر المؤرخ مؤرخا ، إلا إذا تحدث عن مصر ، وتحدث بالتالى عن الهرم الأكبر . ولقد تاهت عقول مؤرخى العالم القديم فى تفسير كيفية بناء هذا الصرح العظيم . ولم يكن فى وسعهم سوى أن يتركوا لنا هذا القدر الهائل من الغموض . . وللأسف الشديد فإن هذا الغموض مازال باقيا حتى الآن ، بالرغم من تكنولوجيا وعلوم العالم الحديث .

● الهرم : والمؤرخون العرب :

ولوكان مؤرخو العالم القديم قد انبهروا بالهرم الأكبر قيراطا ، فقد انبهر به المؤرخون العرب أربعة وعشرين قيراطا . خصوصا بعد أن بَعُدَ زمانهم عن زمان بناء الهرم بنحو ٤٠٠٠ سنة . ولذلك فقد شاعت بينهم معلومات مغلوطة ، يبدو بعضها وقد اختلق اختلاقا بقصد ادعاء المعرفة بأسرار الغرائب والعجائب ، حتى ولو كان ذلك على حساب العقل والمنطق وبديهيات التفكير السليم .

وعلى سبيل المثال يقول « المسعودى » : إن الهرمين بُنيا قبل الطوفان . . وأن الملك الذى أمر ببنائهما طلب من كهنته أن يودعوا فيهما جماع حِكَمِهم ومعارفهم فى شتى العلوم والفنون ، وأن تنقش عليهما كتابات تحوى علوم الحساب والهندسة ومواقع النجوم

ومداراتها وتواريخ الأزمنة الخالية وكل الأحداث المقبلة التى ستقع فى مصر وفى الدنيا كلها ! .

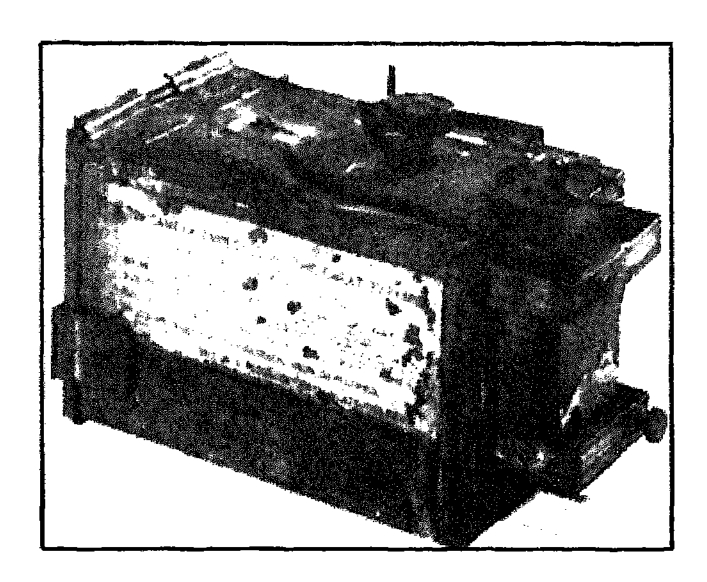
ويقول المؤرخ الشهير تقى الدين المقريزى [فى القرن الخامس عشر الميلادى] : « إن بانى الهرمين هو « سوريد بن سلهوق » وذلك بعد رؤيا أزعجته ، وهى أن الأرض ستتعرض لطوفان مدمر ، فأمر أن تكون الأهرام حصنا تحفظ كنوزه وتسجل علوم مصر وحضارتها . . . » . ويقول المقريزى أيضا ، إن الهرم الأكبر كان مكرسا لعلمى التاريخ والفلك ، أما الهرم الثانى فقد كان مكرسا لعلم الطب !

وهناك مؤرخون وجغرافيون عرب آخرون ذكروا معلومات أكثر تطرفا فى الخرافة وأكثر بعدا عن منطق الأشياء . . نذكر منهم إبن وصيف شاه ، والطبيب على بن رضوان ، وإبن اسحق النديم ، والقضاعى ، وإبن خرداذبه ، والبيرونى وأبو الصلت الأندلسى وغيرهم . منهم من قال فى طريقة بناء الهرم بأن المصريين كانوا يكتبون عبارات وطلاسم سحرية على أوراق البردى ، ويضعون هذه الأوراق على قطع الأحجار الضخمة ، فكانت الأحجار تطير فى الهواء ثم تهبط إلى حيث المكان المخصص لكل حجر منها ، ويلتصق كل حجر بما تحته وبجانبه من أحجار أخرى .

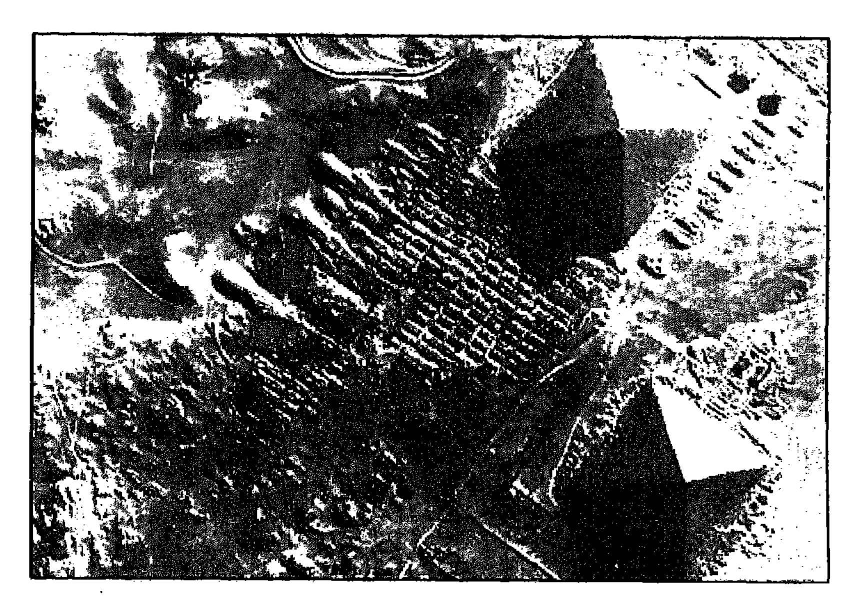
ومنهم من قال الأهرام هى «الأهراء » التى بنيت فى زمن سيدنا يوسف عليه السلام ، لتكون مخازن حبوب من محاصيل السنوات السمان ، لتستخدم فى سنوات المجاعة السبع العجاف ! . . ومنهم من قال إن الهرم كان يبنى فى الأصل مكعبا ، ثم يقوم المصريون بعد ذلك بكشط جوانبه وحوافه حتى يأخذ فى النهاية شكله الهرمى المعروف .

● أبحاث الهرم تواكب التطور العلمى :

على مدى نحو قرنين من زمان التاريخ الحديث يبدآن من سنة ١٧٦٠ وينتهيان فى سنة ١٩٦٠ ، دخلت بحوث الأهرام مرحلة علمية تواءمت خطوة بخطوة مع التقدم التدريجى للعلوم ، وطرق البحث العلمى خلال تلك المرحلة . ومن العسير أن يتم حصر شامل لجميع الكتب والبحوث والرسائل العلمية والدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية التى تناولت الهرم الأكبر بالدراسة والشرح والتحليل . ومن العسير أيضا أن



أقدم كاميرا فوتوجرافية استخدمت للتصوير العلمى للهرم الأكبر من الداخل والخارج وقد استخدمها عالم الآثار « بيازى سميث » أثناء دراسته لمقاييس الهرم الداخلية والخارجية سنة ١٨٦٥م . والكاميرا محفوظة الآن بالمتحف الملكى للفلك باسكتلاندا .



صورة من الجو التقطت عام ١٩٢٩ لهرمى خوفو خفرع
لدراسة انعكاس ضوء الشمس على واجهاتها .

يتم حصر شامل لأسماء الباحثين والمؤرخين وعلماء الأركيولوجيا [علم الآثار] وعلماء الجيولوجيا [علم الأرض] وعلماء الكيمياء والطبيعة والفلك الذين أسهموا فى بحوث ودراسات الهرم خلال هذين القرنين اللهم إلا إذا اكتفينا بالإشارة إلى أن جميع هؤلاء العلماء كانوا منقسمين على أنفسهم إلى قسمين رئيسيين :

قسم منهم - وهم الأغلبية - يرون أن الهرم الأكبر لم يكن مجرد مقبرة للملك خوفو خالية من أية دلالة علمية . بل هو إلى جانب ذلك كيان علمى قائم بذاته ومرتبط تماما بعلوم العالم القديم كلها وبجوانب هامة من العلوم الحديثة . أما علماء القسم الثانى فيرون فى الهرم الأكبر مقبرة عظيمة كانت تليق بملك عظيم مثل خوفو . . ويرون أن معجزة الهرم الحقيقة كامنة فى هندسته المعمارية .

وقد بدأت هذه المرحلة من البحوث العلمية التى أجريت على الهرم الأكبر فى التاريخ الحديث فى عام ١٧٦٠م حين قام « ناثانيل دافيسون » بتحديد بعض مقاييس الهرم وأبعاده ، واكتشف أول حجرة من الحجرات العلوية الخمس التى تعلو سقف حجرة الملك . . وهى حجرات صممت بطريقة هندسية لتؤدى وظيفة معمارية هى تخفيف الضغط عن حجرة الملك التى تتراص فوقها صفوف من صخور ثقيلة يبلغ ارتفاعها نحو مائة متر .

وفى الفترة مابين عامى ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ، قام علماء الحملة الفرنسية على مصر بدراسة شاملة للمقاييس والأبعاد الخارجية والداخلية للهرم الأكبر . ويمكن تلخيص بعض النتائج التى توصلوا إليها فيما يلى :

* مجموعة من الافتراضات الحسابية الطريفة التى قيل بعضها فى حضرة نابليون ، وأكدها علماء الرياضة والهندسة بالحملة . وذلك مثل القول بأن صخور وأحجار الهرم الأكبر لو أعيد تقطيعها إلى مكعبات عرضها قدم وطولها قدم وارتفاعها قدم ، وصُفَّت هذه المكعبات فى صف واحد ، فسوف يمتد طول هذا الصف ليحيط بثلثى محيط الكرة الأرضية عند منطقة خط الاستواء ! . . ومثل القول بأن أحجار الأهرام الثلاثة تكفى لإقامة سور سمكه قدم وارتفاعه عشرة أقدام يحيط بحدود فرنسا كلها !



لوحة مرسومة تصور نابليون ومعه بعض العلماء المصريين والفرنسيين أثناء زيارته لحجرة الملك بداخل الهرم الأكبر

* عندما شرع علماء الحملة فى رسم خريطة عامة للقطر المصرى ، اتخذوا خط طول الهرم [وهو الخط الواصل بين منتصف الضلعين الجنوبى والشمالى] بطريقة اعتباطية كخط طول أساسى لتحديد الأبعاد المساحية للقطر المصرى . وعندما رسموا أبعاد دلتا النيل ومناطق الوجه البحرى ، لاحظوا أن خط طول الهرم يقسم الدلتا مساحيا إلى قسمين متساوين !

* ولاحظوا أيضا أن خط امتداد قطرى الهرم من الزاويتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية يجعل الدلتا محصورة بأكملها داخل امتداد خطى هذين القطرين .

* اثبتوا أن خط طول الهرم يقسم مناطق اليابسة بالكرة الأرضية إلى قسمين متساويين فى المساحة على وجه التقريب ، بمعنى أن مساحة مناطق اليابسة على يمينه تتساوى أو تتقارب مع مساحة مناطق اليابسة على يساره .

* كما لاحظوا أيضا أنه خط الطول الوحيد بين خطوط الطول الأخرى الذى يمر بأكبر مساحة من اليابسة فى كوكب الأرض ، وبأقل مساحة من مياه البحار والمحيطات. وهى ميزة تجعله من هذه الناحية أفضل من خط الطول العالمى الرئيسى فى جرينتش قرب لندن.

● **الهرم وعلم الفلك :**

فى مارس ١٨٦٢ م قام العبقرى المصرى محمود الفلكى باشا بدراسات وقياسات وأرصاد فلكية على الهرم الأكبر . وتوصل إلى إثبات علاقة الهرم بنجم الشِّعْرَى اليَمَانيّة «سيروس » . واستطاع أن يحدد التاريخ التقريبى لزمن بناء الهرم وذلك بطريقة القياس والرصد الفلكى . وقد اعتبرت هذه الطريقة وتلك النتيجة حجر الأساس لعلم جديد هو : « الأستروآركيولوجى » أو [علم الدراسة الفلكية للآثار] . وهو العلم الذى أدى حديثا إلى استخدام الأشعة الكونية فى الدراسات الهرمية التى أصبحت تجرى الآن .

وخلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، أجريت العديد من الدراسات الخاصة بارتباط الظواهر الفلكية بالمقاييس والأبعاد الخارجية والداخلية للهرم الأكبر . ومنها الدراسات الرياضية التى قام بها دافيدسون وغيره من العلماء والتى أثبتوا فيها أن

الهرم كان مصمما بطريقة هندسية وفلكية تجعله « ساعة زمنية ميقاتية » تستخدم فى تحديد مواعيد الإنقلابين الشتوى والصيفى ، والاعتدالين الربيعى والخريفى ، وذلك حسب الزوايا التى تتخذها منه الشمس أثناء دوران الأرض حولها على مدى أيام السنة . وبالنظر إلى أن أسطح الواجهات الخارجية للهرم كانت ملساء ناعمة وملونة وعليها كتابات ونقوش وخطوط تقسيم غائرة، فقد كان المصريون يعتمدون على هذه الساعة الفلكية المضبوطة لتنظيم السنة الزراعية ، ولتحديد بدء مواسم فيضان وتحاريق النيل ، ولتحديد مواعيد الأعياد والمناسبات السنوية العامة ، ولتحديد كل يوم من أيام الشهر وموقع كل شهر من بين شهور السنة .

● الهرم والمقاييس والمكاييل والعلوم الرياضية :

وأجريت كذلك دراسات رياضية وهندسية مقارنة ، لإثبات العلاقة بين وحدات القياس المصرية القديمة التى استخدمت فى تحديد مقاييس التصميات الداخلية والخارجية المتعلقة بأجزاء الهرم وبالهرم ككل ، وذلك مثل الذراع المصرى القديم والبوصة الهرمية . ووصل العلماء إلى نتائج علمية فى غاية الغرابة . وعلى سبيل المثال تبين أن محيط قاعدة الهرم يساوى « ٣٦٥٢٦ » بوصة هرمية . وهذا الرقم يساوى عدد أيام قرن كامل [مائه سنة ، وذلك باعتبار أن عدد أيام السنة الحقيقية ٣٦٥ يوما وربع يوم أى ٠.٢٥ من اليوم] .

وأجريت أيضا دراسات رياضية أخرى لاثبات علاقة مقاييس الهرم بطول محور الأرض [أى مسافة الخط المستقيم الواصل بين قطبيها الشمالى والجنوبى] . . وعلاقة وزن الهرم بالنسبة لوزن الكرة الأرضية التى حددت بنسبة واحد إلى عشرة أُس (١٥) . بل وأثبت بعض العلماء وجود علاقة مباشرة تمثل تطابقا تاما بين مقاييس حجم التابوت الموجود بحجرة الملك ، ونسب ومقادير المقاييس والمكاييل الانجليزية المعروفة [البوصة والقدم والياردة والميل والبنت والكوارت والجالون والبوشل والإمبريال كوارتر] . ومن أغرب الدراسات الرياضية المتعلقة بأبعاد الهرم الدراسة التى أثبتت أن النسبة بين طول ارتفاع الهرم [أى الخط الواصل بين قمة الهرم ومركز قاعدته] وطول مجموع محيط

الأضلاع الأربعة ، لها علاقة مباشرة بنسبة « ٣.١٤١٦ » وهى نفس نسبة محيط الدائرة إلى قطرها . . وهى النسبة التى كانت تعتبر مشكلة رياضية حيرت عقول العلماء الذين كانوا يبحثون عن كيفية حساب مساحة الدائرة .

● الهرم والتنجيم :

وإلى جانب هذه الدراسات الرياضية القائمة على العلم ، أجريت دراسات وقياسات حسابية وهندسية أخرى قائمة على مبادىء وقواعد « التنجيم » اشترك فيها كثيرون من علماء الفلك واللاهوت فى القرن الماضى ، حيث افترضوا وجود خط هندسى تحدده أبعاد الممرات والسراديب والحجرات بداخل الهرم ، واستنتجوا من أبعاد وتقاطعات هذا الخط دلالات « تلفيقية » مثل : تحديد عمر البشرية ، ويوم القيامة ، وموعد ميلاد وصلب المسيح ، وقيام الحرب العالمية الأولى إلى غير ذلك من التواريخ الحادثة والمتوالية الأخرى .

* ومع ذلك فيمكن القول بأن أهم الدراسات والقياسات التى أجريت على الهرم الأكبر خلال تلك الفترة ، ماقام بها عالم الإجبتولوجى « وليم فلاندرز بترى » فيما بين عامى ١٨٨٠ -١٨٨٢ م . . وقد ظلت مقاييسه معتمدة فى الأوساط العلمية العالمية بعد أن صحح فروقها وأخطاءها البسيطة المهندس الانجليزى « كول » الذى كان يعمل بمصلحة المساحة المصرية خلال عام ١٩٢٥ .

● فحص وقياس الهرم بالأشعة الكونية :

وفى منتصف الستينيات ظهرت الدعوة إلى إمكانية استخدام « الأشعة الكونية » للتأكد من وجود أو عدم وجود حجرات أو فراغات أو ممرات مجهولة بداخل جسم الهرم. وذلك على أساس قياس مدى امتصاص هذه الأشعة عند عبورها خلال الكتل الحجرية .

وقامت بهذا المشروع جامعة بيركلى بكاليفورنيا ومعهد لورنس للإشعاع ، بالاشتراك مع الخبراء المختصين بهيئة الآثار المصرية وأساتذة قسم الطبيعة النووية بكلية العلوم

بجامعة عين شمس .وتولى الاشراف على المشروع الأستاذ لويس الفاريز الحائز على جائزة نوبل فى الطبيعة .

وقد استعصى الهرم الأكبر على هذه الوسيلة التكنولوجية الحديثة فى البحث العلمى بسبب ضيق ممراته التى منعت دخول الأجهزة العلمية الكبيرة الحجم ، لذلك فقد اتجه المشروع إلى هرم « خفرع » الذى تسمح ممراته وحجراته الواسعة باستيعاب هذه الأجهزة. [وتم فحص نحو ١٩ ٪ فقط من اجمالى حجم هرم خفرع ، وكانت النتيجة أن اتباع هذا الأسلوب العلمى غير كاف لأبحاث الهرم ومطلوب تطويره أواستخدام أجهزة أخرى أكثر كفاءة وتقدما وأعلى حساسية] .

● **فحص وقياس الهرم بالموجات الكهرومغناطيسية :**

وفى منتصف السبعينيات ظهرت نظرية جديدة بإمكانية الكشف عن الفراغات بداخل الهرم ، وذلك بدراسة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية فى الأحجار والصخور، وقياس مدى امتصاصها لهذه الموجات .

وخلال أربع سنوات متعاقبة ، من ١٩٧٥ حتى ١٩٧٨ ، قامت بعثة علمية من جامعة ستانفورد بالاشتراك مع خبراء هيئة الآثار وأساتذة قسم الطبيعة بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، بإجراء الفحوص والقياسات المتعلقة بهذا المشروع والتى تضمنت قياسات للمجالات المغناطيسية والمقاومات الكهربائية والموجات الصوتية . ومن الغريب أن كل هذه الأبحاث والقياسات لم تسفر عن شىء قاطع بالنسبة لقضية وجود أية فراغات داخلية بالهرم . ولكن الضمير العلمى والحرص على ذكر الحقائق ، أملى على العلماء الذين اشتركوا فى اعداد التقرير العلمى النهائى عن هذا المشروع ، أن يذكروا فى النهاية أن هذه القضية لم تحسم بعد ، وأن الهرم الأكبر قد استعصى على هذه الأجهزة الحديثة ، وأن من الضرورى استخدام أجهزة ومعدات وأساليب علمية أخرى أكثر تطورا من الناحية التكنولوجية .

● **الهرم والميكروجرافيميتر :**

انصبت توصيات العلماء الذين قاموا بإجراء جميع هذه القياسات السابقة على



جانب من الأجهزة العلمية الحديثة التى استخدمت فى فحص وقياسات الهرم

ضرورة الاستعانة بجهاز « الميكروجرافيميتر » الذى كان لم يزل بعد فى مراحل تطوره الأولى . وهو جهاز بالغ الحساسية ومازال سرا علميا حتى الآن ، ولايوجد مثله إلا عدد قليل فى مراكز البحوث القومية للدول المتقدمة تكنولوجيا ، ولا تتجاوز درجة حساسيته واحدا على مائة من « الملليجال » .

وفى أبرايل ١٩٨٦ أجرى المهندسان الفرنسيان مسيو دورميون ومسيو جودان قياساتهما بهذا الجهاز الذى تم احضاره من المؤسسة القومية للطاقة الكهربائية النووية بفرنسا . وقد أجريت هذه القياسات بالممر المؤدى إلى مايسمى بغرفة الملكة بداخل الهرم الأكبر . وبعد اجراء خمسين قراءة تأكيدية بجهاز الميكروجرافيميتر تأكد على وجه اليقين وجود مجموعة من الفراغات خلف الجانب الغربى « الأيمن » من الممر المؤدى إلى غرفة الملكة .

إذن فقد سمح الهرم الأكبر أخيرا بمعرفة سر من أسراره الداخلية التى ظل محتفظا بها منذ بنائه من نحو (٤٧) قرنا . . !

● تلك الرمال العجيبة :

وفى نفس العام تم عمل ثقوب ثلاثة داخل الكتل الحجرية الموصلة إلى تلك الفراغات ، وفوجىء العلماء بأن الفراغات كانت مملوءة برمال ناعمة بالغة النقاء . . فقاموا بإجراء فحوص علمية وتحليلات ميكانيكية ومعدنية استخدموا فيها الميكروسكوب الإلكترونى والأشعة السينية وجهاز الجسَّات الدقيقة ، لمعرفة سر تلك الرمال ، فتوصلوا إلى النتائج العلمية التالية :

* إن هذه الرمال نوعية خاصة يرجع تكوينها جيولوجيا إلى عصر الأليجوسين ويتراوح حجم حبيباتها مابين (٢) ملليمتر مكعب وواحد على (١٦) من الملليمتر المكعب .

* وانها تحتوى على نسبة عالية من المعادن الثقيلة ، وبعضها مشع تصل قوة إشعاعه مابين ٥.٥٪ و٧٪ . . وأثبت التحليل أنها تتكون من مكونين فقط من المكونات المعتادة للرمال المماثلة . ومعنى هذا أن هذه الرمال قد أجريت لها عمليات فصل خاصة قبل

إدخالها إلى هذا المكان فى باطن الهرم . . وأن بنَّائى ومهندسى الهرم من المصريين القدماء قد تعمدوا معالجتها وإعدادها إعدادا خاصا لاستخدامها فى وظيفة مازالت مجهولة حتى الآن . وبطبيعة الحال فإن اكتشاف هذه النوعية الخاصة من الرمال الثقيلة النقية بداخل جسم الهرم يعتبرفى حد ذاته كشفا علميا بالغ الأهمية ، لأنه يشير إلى عديد من الاحتمالات العلمية ، منها على سبيل المثال :

احتمال استخدام هذه الرمال كعازل حرارى محيط بالفراغات الموجودة خلف جدار الممر بقصد المحافظة على « موجودات » موضوعة بداخل تلك الفراغات .

واحتمال أن يكون المقصود منها تحقيق قدر محدد من التوازن الانشائى المعمارى لكتلة الهرم .

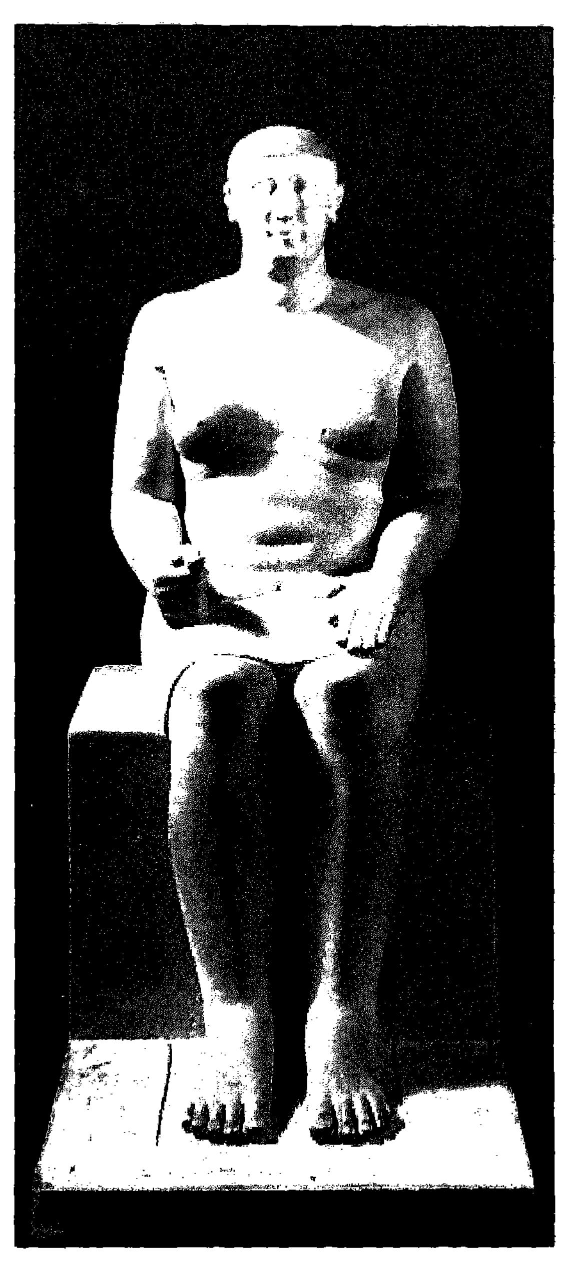
واحتمال أن تكون الرمال قد وضعت بكميات كبيرة وعلى مسافات محددة بين مداميك الهرم بقصد امتصاص موجات الزلازل ، وجعل أحجار الهرم تتماوج أثناء الزلازل على جسم لين دون أن تنزلق أوتتحطم ، ولكى تظل فى مكانها المحدد كما كانت قبل حدوث الزلازل . وهذا الاحتمال يدل على عبقرية خارقة اكتشفت أول وسيلة معمارية استخدمت فى العالم لامتصاص هزات وموجات الزلازل .

● الهرم : مازال يحتفظ بأسراره :

أحصيت حتى الآن أربع عشرة رسالة علمية للدكتوراه فى هندسة وعمارة وبناء الهرم الأكبر تتناول كيفية قيام قدماء المصريين بانشاء هذا الصرح الشامخ . ومع ذلك فلم تحسم حتى الآن الكيفية أوالطريقة المؤكدة التى أقيم بها هذا الصرح العظيم .

وهناك نظرية يقول بها العديد من العلماء المتبحرين فى الإجيبتولوجى تفترض أن خوفو مازال مدفونا فى مكان ماتحت الهرم . و ذلك تأسيسا على عدة افتراضات منها أن المصريين القدماء لم يدفنوا موتاهم فوق سطح الأرض ، وإنما كان الدفن يتم حتما بإرقاد الجثة فى مكان بباطن الأرض .

وتقول هذه النظرية أن كنوز خوفو وأثاثه الجنائزى مازالت مدفونة فى أمكنة أخفاها البناءون جيدا بداخل مناطق بكتلة الهرم لايتوقعها أحد ، وذلك بسبب انتشار عمليات

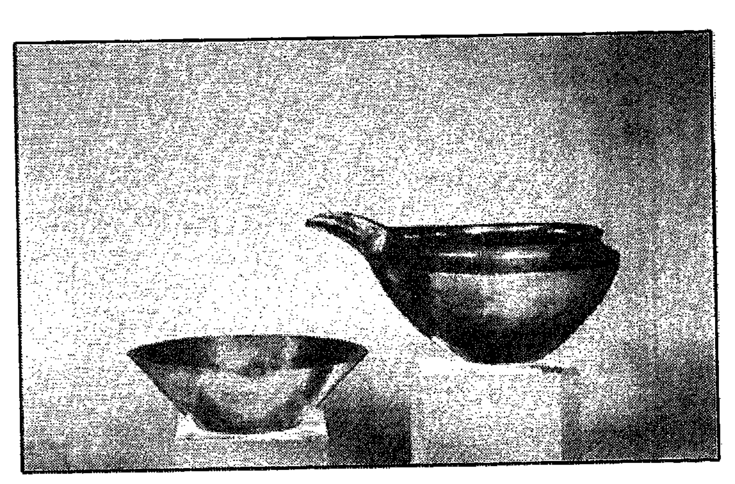


تمثال للوزير المهندس مدير الأعمال الملكية «حم إيونو» وهو ابن عم الملك خوفو . ومن المحتمل انه الذى أشرف على التصميم الهندسى وتنفيذ جميع الأعمال المعمارية الخاصة بالهرم الأكبر .

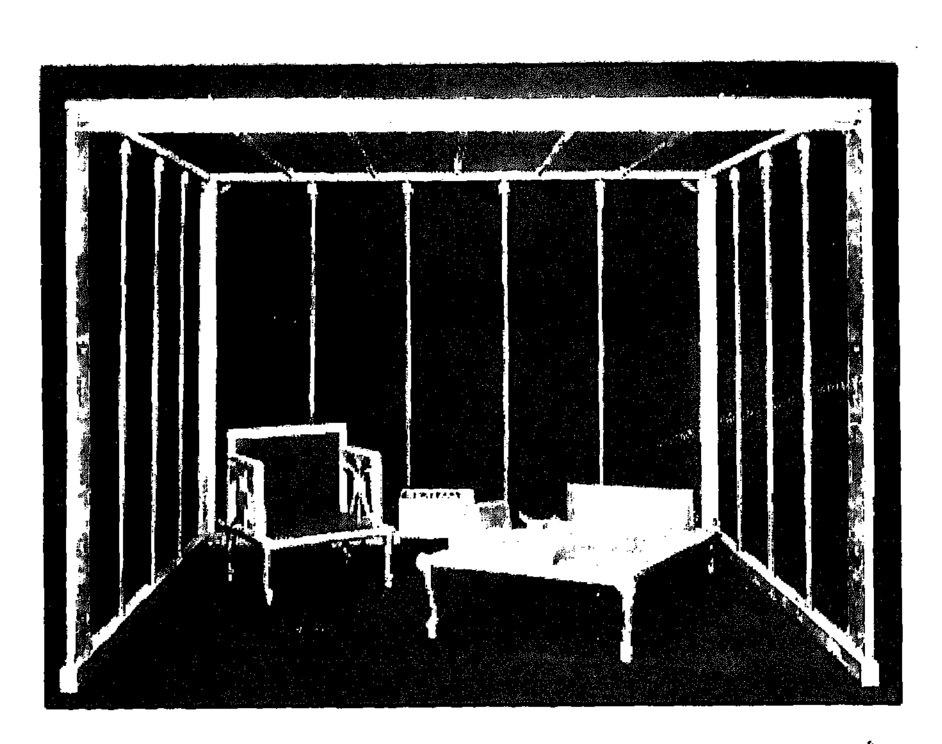


التمثال الوحيد للملك خوفو [منظر أمامى ومنظر جانبى] . والتمثال منحوت من العاج ارتفاعه ٧,٥ سم وعرضة ٢,٩ سم . عثر عليه عالم الآثار « بترى » فى منطقة أبيدوس [العرابة المدفونة / محافظة سوهاج] عام ١٩٠٣ م





تحفتان رائعتان من التحف التى عثر عليها مدفونة بمقبرة الملكة « حتب حرس » زوجة الملك « سنفرو » وأم الملك « خوفو » التى اكتشفت عام ١٩٢٥ م بجوار الهرم الأكبر . والتحفتان مصنوعتان من الذهب الخالص ، وعبارة عن آنية ذات « بزبور » ارتفاعها ٥,٢ سم وقطرها ٨,٥ سم وطبق ارتفاعه ٢,٤ سم وقطره ٨,٢ سم



من الأثاث الجنائزى الذى عثر عليه بمقبرة الملكة « حتب حرس » : السرير وعليه مسند الرأس ومقعد فخم وصندوق لحفظ المجوهرات ، ومفردات حجرة النوم هذه محاطة بأعمدة خشبية مذهبة كانت تفرش عليها الستائر الرقيقة لمنع الناموس من التسلل إلى حجرة الملكة .

نهب مقابر الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة فى فترة ماقبل بناء الهرم ، بل وفى أيام حكم خوفو نفسه .

وبالرغم من استخدام الأجهزة والمعدات والوسائل التكنولوجية الحديثة فى البحوث والفحوص والقياسات التى أجريت على الهرم . . فما زال الهرم محتفظا بأسرار لايبوح بها . . ولعله فى انتظار جهاز علمى دقيق لم يخترعه الإنسان بعد . . !

تنويعات لغوية على كلمة « هرم »

يقال فى اللغة العربية :

* هَرِمَ الرجل هَرَمًا = بلغ أقصى الكبر . . كبر وضعف فهو: هَرِمٌ . . وهى : هَرِمَةٌ .

* هَرَّمَ الأمر = عظَّمه ووصفه فوق قدره .

* أهْرَمَ الدهر فلانا = جعله هَرِمًا .

* هَرَمٌ = بناء ضخم ذو قاعدة مربعة فى الغالب وله أربعة جدران كل منها مثلث الشكل ورأسه إلى أعلى . . وترتفع الجدران مائلة حتى تلتقى رؤوسها فتكون رأسًا واحدًا هو القمة .

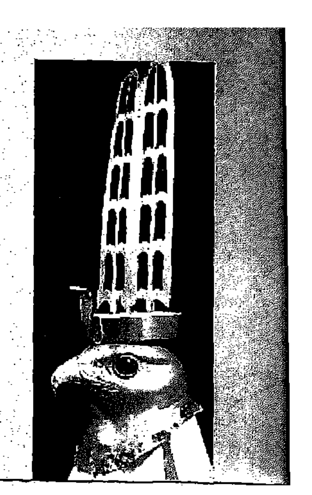
= [فى علم الهندسة] : جسم كثير السطوح أحد أوجهه مضلع وأوجهه الأخرى مثلثات قواعدها أضلاع المضلع ورؤوسها مجتمعة فى نقطة واحدة هى قمة الهرم .

* الهِرمـة [أو ابن الهِرْمَة] = آخر ولد للشيخ أو الشيخة .

* الهِرمـة = اللبؤة زوجة الأسد .

* الهَرُومُ = المرأة الخبيثة السيئة الخلق .





الأدب الجاد والأدب الساخر في مصر القديمة

العلماء والمؤرخون الأجانب الذين درسوا اللغة المصرية القديمة وتبحروا فيها ، وصلت بحوثهم ودراساتهم لتلك اللغة إلى نتائج مبهرة يمكن تلخيصها فى ثلاثة محاور رئيسية : فهى أولا لغة ذات قواعد « أجرومية » ثابتة وملزمة . . وهى ثانيا لغة مرنة تقبل الصقل والنمو والتطور ، فحفلت بالكنايات والاستعارات والتشبيهات المنطقية الجميلة . . وهى ثالثا لغة غنية مثقفة تصلح للتعبير الأدبى شعراً ، كما تصلح للتعبيرالعلمى خصوصاً فى مجالات الطب والكيمياء والهندسة والفلك .

* ويميل هؤلاء العلماء إلى تقسيم تاريخ الأدب عند قدماء المصريين إلى عصرين هما :

أ - **العصرالقديم :**

ويبدأ ببداية التاريخ المصرى منذ عصر الأسرة الأولى سنة ٣٢٠٠ ق م ، ويتضمن العصر العتيق وعصر الدولة القديمة وعصر الاضمحلال الأول ، وينتهى بنهاية عصر الدولة الوسطى سنة ١٧٩٠ ق م . . أى انه استمر نحو ألف وخمسمائة سنة .

ويتميز العصر القديم للأدب المصرى بالتمسك بالقواعد اللغوية وشيوع المحسنات اللفظية وزخرفة الجمل والكلمات وكثرة التشبيهات التى لا تخلو من الجمال والمنطق . ويشبّه بعض العلماء والمؤرخين [ومنهم الدكتور سليم حسن] لغة الأدب المصرى فى هذا العصر القديم بالتطور الذى حدث للغة العربية فى العصر العباسى الثانى حين انتشرت طريقة « ابن العميد » و « القاضى الفاضل » . ويضيفون إلى ذلك حرص المصريين القدماء على جمال ودقة « الموضوع » مثل حرصهم على جمال وعذوبة « الشكل أو الأسلوب » .

ومن أشهر الانتاجات الأدبية التى تميز بها العصر القديم للأدب المصرى ماتناوله هذا الأدب من موضوعات عن الحكمة والتأملات والتعاليم الأخلاقية والتعاليم المدرسية والأمثال وأدب الرحلات والقصص والقصائد الشعرية من أناشيد ملكية ودينية ، إلى جانب الأغانى والقصائد الغزلية . هذا طبعا بالاضافة إلى العديد من انتاجات الأدب الدينى المتمثل فى متون الأهرام وغيرها من النصوص الدينية .

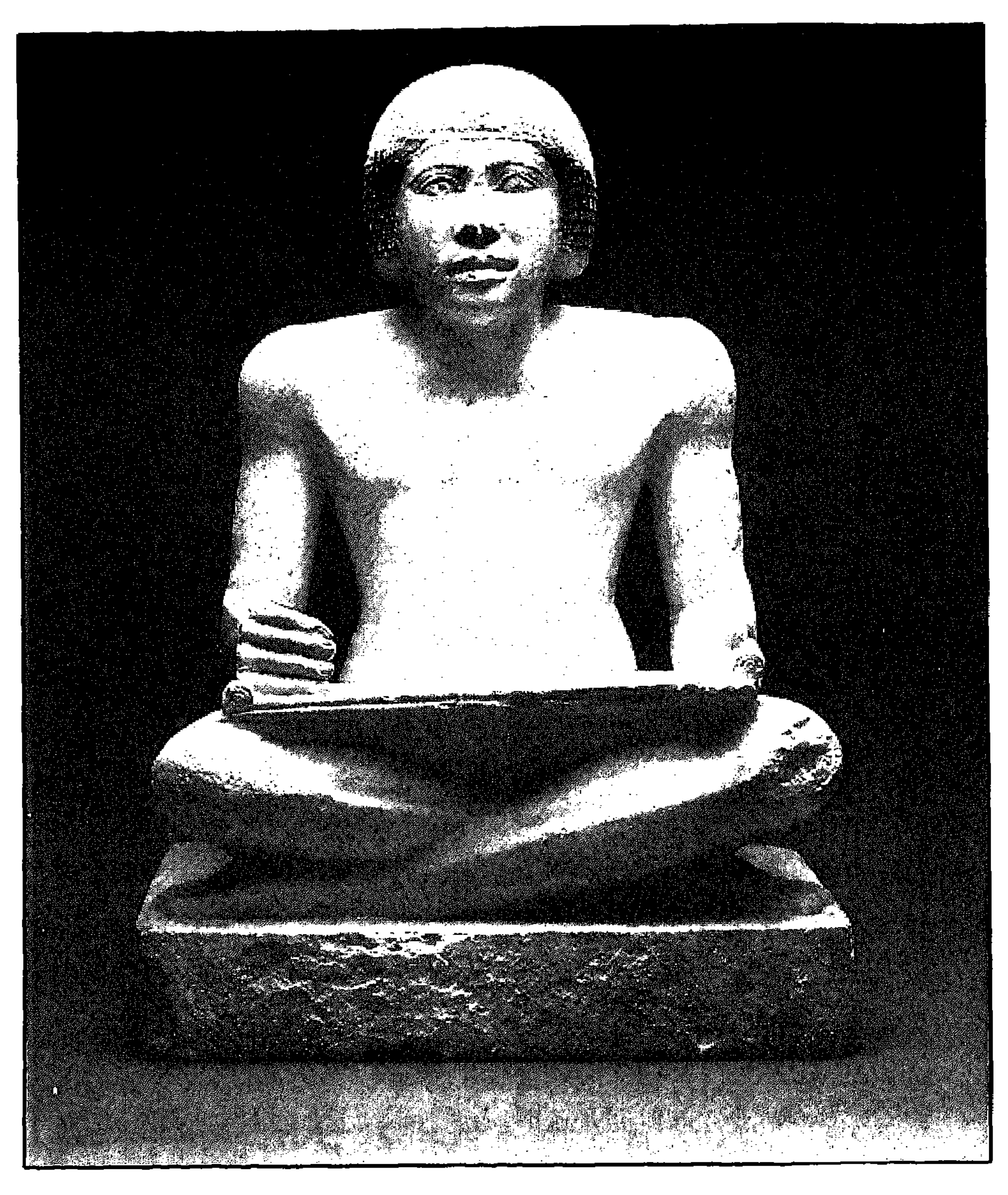
ب - العصر الحديث :

أخذ الأدب المصرى طابعاً جديداً منذ بداية عصر « الدولة الحديثة – ١٥٥٠ ق م » . . فقد قل استعمال الأساليب الرفيعة واللغة الفنية العالية ، وبدأ الكتاب المبدعون فى الانطلاق بالتعبير اللغوى بطلاقة تقترب كثيراً من اللغة العامية أو اللهجة الشعبية ، بل وبدأوا يكتبون الشعر باللغة العامية أو بلغة سلسة سهلة يفهمها المثقفون كما يفهمها العوام . ويطلق بعض المؤرخين اسم « اللغة المصرية الجديدة » على الأساليب الأدبية التى استخدمت فى هذا العصرالحديث .

وإلى جانب هذه البساطة فى التعبير ، ابتكر الأدباء المبدعون أساليب مستحدثة تتميز بالصفاء والوضوح ، بل وأكثروا من استعمال الكلمات والمصطلحات الأجنبية سواء على سبيل التظرف أو لاظهار مدى تمكنهم من التعبيرعن الموضوع المطروح بخلفية ثقافية واسعة .

وقد تناول الأدباء المصريون القدماء فى هذا العصر نفس الموضوعات الأدبية التى تناولها كتَّاب العصرالقديم السابق ، كما أضافوا إليها موضوعات وأساليب مبتكرة جديدة مثل « المسرحيات والحواريات ورسائل المساجلات الأدبية » .

وبالنظر إلى انتشار التعليم فى تلك الحقبة من التاريخ المصرى القديم ، فقد انتشر نوع من الانتاج الأدبى هو « أدب الرسائل » . ولحسن الحظ فقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من تلك الرسائل ، أتاحت لكثير من المؤرخين وعلماء المصريات أن يقوموا بدراستها دراسة علمية أكاديمية . وأشهر من قام بهذه الدراسات مؤرخون وعلماء مثل



الكاتب «حيتى» من عصر الأسرة الخامسة حوالى عام ١٢٠٠ ق م .

برستيد وجاردنر وجريفيث وشيرنى وجونسون ودى مورجان و إيرمان وسميثرز وغيرهم .

ولايسع المجال هنا إشارات مستفيضة عن تلك الدراسات والبحوث العلمية والأدبية التى أجراها هؤلاء العلماء ، ولذلك سنكتفى بالاشارة إلى رؤوس الموضوعات التى تضمنتها هذه البحوث . . فقد درسوا كيفية تحرير وتدوين تلك الرسائل ، وكيفية ذكر العنوان والصيغة الافتتاحية ، والديباجة فى الصيغ العامة والصيغ الحربية ، وكيفية الانتقال من فقرة إلى أخرى ، وكيفية ختام الرسائل والاشارة إلى تاريخ تحريرها .

أما نماذج الرسائل التى كانت محل تلك الدراسات ، فتكاد تنحصر فى الرسائل التى تتناول الحث على التعلم والحياة المدرسية ، والخطابات الانشائية ، ورسائل تتناول وصف المدن القديمة والحديثة فى مصر وخارجها خصوصاً المدن التى كانت تقع فى نطاق النفوذ المصرى فى عصر الامبراطورية [خلال عصر الأسرتين ١٨ ، ١٩] ، ورسائل رسمية عن موضوعات تتناول نظام الحكم والأوامر الملكية أو أوامر قادة الدولة والوزراء وحكام الأقاليم ، وكذا رسائل الالتماسات والتهانى . بالإضافة إلى دراسات مستفيضة عن رسائل المساجلات الأدبية بما فيها من أساليب المناقشة والهجاء الذى يدخل فى تصنيف الأدب الساخر .

● مجالات الأدب المصرى القديم ●

اعتمد دارسو الأدب المصرى القديم فى عصريه القديم والحديث على ماتم العثور عليه حتى الآن من أشكال وأنواع الانتاج الأدبى مكتوبة على صفحات أوراق البردى أو على أسطح الاستراكا [قطع الأحجار أو الخزف المهيئة للكتابة] أو منقوشة على جدران المقابر الهامة والجدران الداخلية ببعض الأهرام .

وقد يكون من المفيد أن نقدم هنا حصراً لأهم أشكال الانتاج الأدبى فى مصر القديمة التى تم العثور عليها وتمت ترجمتها إلى اللغات الحية ، كما أجريت عليها الدراسات الأكاديمية والتحليلات الأدبية فى ضوء معايير النقد الأدبى الحديث .

● أولا : فى مجال القصص والحكايات :

نشير فيما يلى إلى أهم تلك القصص والحكايات ، ولكن دون التقيد بالتسلسل الكرونوجرافى [الزمنى] للعصور التى كتبت فيها تلك القصص .

قصة سنوحى . . قصة الملاح الغريق . . قصة الفلاح الفصيح . . قصة الراعى . . قصة هلاك الانسانية . . قصة الملك خوفو والسحرة . . قصة الأخوين . . قصة الأمير المسحور . . قصة الملك أبوفيس وسقنن رع . . قصة حصار يافا والاستيلاء عليها . . قصة إيزيس والإله رع . . قصة الملك والآلهة . . قصة الإلهة عشتارت . . قصة العفريت . . قصة حوارية بين جسم ورأس الانسان . . قصة تضليل الصدق والدفاع عنه . . قصة حوارية بين الحق والباطل . . قصة الصراع بين حورس وعمه ست وموقف الآلهة من هذا الصراع . . قصة رحلات ون آمون . . قصة الإله رع مع أبنائه . . قصة الإله خنوم والنيل . . قصة الأمير والشيطان . . قصة زهرة اللوتس الذهبية . . قصة الساحر تيتا . . قصة كتاب الإله تحوت . . قصة سى أوزيريس والخطاب المختوم . . قصة زيارة النعيم والجحيم فى العالم الآخر . قصة سارق الكنز . . قصة الفتاة ذات الحذاء الأحمر . . قصة العامل والفلاح .

● ثانيا : فى مجال التأملات والحكم والأمثال والتعاليم :

كانت الحكمة والتعاليم الأخلاقية من أهم الموضوعات التى تناولها الأدب المصرى القديم ، حيث حرص الكتّاب المبدعون ممن تعمقوا فى العلم والفلسفة على حث الإنسان المصرى على اتباع القواعد السلوكية الاجتماعية والأخلاقية التى نبعت من البيئة المصرية وتميزت بها الحضارة المصرية القديمة فى مجملها ، وتفوقت بها على معظم حضارات العالم القديم . . وذلك كسبيل مباشر لخلق وتربية الإنسان الأمين الطيب الملتزم بالحق والخير والجمال فى سلوكياته مع نفسه ومع الآخرين فيستحق بذلك رضاء الآخرين ورضاء الآلهة .

وحين قال أحد هؤلاء الحكماء [بتاح حوتب] : « لاتكونن متكبرا بسبب معرفتك . . ولاتكونن منتفخ الأوداج لشعورك بأنك رجل عالم . . شاور الجاهل كما تشاور العاقل ، لأن نهاية العلم والمعرفة لايمكن الوصول إليها . . وليس هناك عَالِـم يعرف كل شىء . . فهناك من قد يكون أفضل منه وأكثر منه علما . . » . . فإننا نلاحظ على الفور أن هذا الحكيم المصرى القديم قد وضع أسساً لفضيلة التواضع كفضيلة

صفحة من قصة بعنوان « حكاية ستنى خع إم واس » مكتوبة بالخط الديموطيقى [الخط الشعبى] وقد عثر على هذه البردية التى يبلغ طولها ١٠٢ سم وعرضها ٢٩,٥ سم بمقبرة راهب قبطى بمنطقة دير المدينة . ولكن تاريخ البردية يرجع إلى عصر البطالمة / القرن الثالث قبل الميلاد

أخلاقيـة، كما وضع بعض قواعـد السلوك التى تصلح للتطبيق فى كل مكان وكل زمان .

ونشير فيما يلى إلى حصر لأهم تلك التعاليم والحكم والأمثال منسوبة إلى الحكماء الذين كتبوها وأبدعوها . ومن حسن الحظ فقد تم العثور على نسخ متكررة من معظم تلك التعاليم ترجع إلى عصور تاريخية مختلفة . . ومعنى ذلك أن هذه التعاليم كانت بمثابة دستور أخلاقى وإنسانى التزمت به الحضارة المصرية القديمة فى مختلف عصورها .

وقد قام مؤرخون وعلماء آثار كثيرون بترجمة تلك التعاليم إلى اللغات الحية ، كما قاموا بدراستها وتحليلها فى ضوء الفلسفة الإنسانية القديمة والحديثة ، وفى ضوء قواعد علم الأخلاق الحديث . ومن أشهر هؤلاء العلماء والمؤرخين [إيرمان وبرستيد وماسبيرو وبيبر وفيدمان] وغيرهم :

تعاليم الحكيم بتاح حوتب . . تعاليم كاجمنى . . التعاليم التى لقنت للملك مرى كارع . . تعاليم أمنمحعت الأول . . تعاليم الحكيم خيتى لإبنه بيبى . . تعاليم سحتب إب رع . . نصائح الحكيم آنى . . الحوار بين انسان كره الحياة وسئمها وبين روحه . . شكوى خع خبر رع سنب . . تنبؤات الحكيم إيب ور . . تعاليم الحكيم أمنموبى .

وبالنسبة لهذه التعاليم الأخيرة فقد أجرى لها المؤرخون وعلماء المصريات بحوثا ودراسات مستفيضة ،وقارنوها بالتعاليم المشابهة بل والمطابقة لها تماماً التى وردت فى «سفر الأمثال » المنصوص عليه فى التوراة وكتاب العهد القديم . وخرج هؤلاء العلماء بعدة نظريات تؤكد كلها مدى تأثر « الأدب العبرى » بصفة عامة بروائع الأدب المصرى القديم سواء فى مجال القصص والحكايات أوفى مجال الحكم والتعاليم والتأملات .

وتتضمن تعاليم أمنموبى ثلاثين فصلاً أخذها المؤلف العبرى الذى كتب « سفر الأمثال » فجعل هذا السفر مكوناً من ثلاثين حكمة تتشابه إلى حد التطابق بينهما وبين التعاليم المصرية التى كتبها أمنموبى قبل ظهور التوراة بمئات السنين .



نقش جدارى من مقبرة الحكيم المصرى الشهير « بتاح حوتب » يصوره وهو جالس للتأمل و يقرّب من أنفه وعاء به مادة ذات رائحة عطرية .

وتتميز الموضوعات التى نصت عليها تعاليم أمنموبى بمضامينها الانسانية والأخلاقية التى تصلح للتطبيق فى كل مكان وزمان . ومن هذه الموضوعات التعاليم والواجبات وقواعد السلوكيات التى يجب أن يتمسك بها طالب العلم وعلاقته بمعلمه . . وقواعد الحزم والتمسك بالأدب أثناء الحديث والحوار مع الآخرين . . والفرق بين الرجل الأحمق والرجل الحليم . . وقواعد السلوك فى المعابد ودور العبادة . . وتجريم الاعتداء على أرض الغير . . والحث على الالتزام بالصدق وكراهية الكذب والشهادة الزور . . وحلاوة المال الحلال وشرور المال الحرام . . والحث على عدم تجريح أصحاب العاهات الجسمانية ومعاملتهم برفق . . والالتزام بعدم التطفيف فى الكيل والميزان . . والالتزام بالتمسك بالأمانة والعدل عند ممارسة الوظيفة . . والاحترام الواجب لكبار السن . . إلى غير ذلك من قواعد السلوكيات الانسانية والاجتماعية النبيلة .

ثالثا : فى مجال الدراما والشعر التمثيلى :

أسفرت الاكتشافات والبحوث الحديثة فى الآركيولوجى [علم الآثار] عن تصحيح خطأين كانا شائعين بين المؤرخين وأساتذة علم الحضارات الانسانية . الخطأ الأول هو الاعتقاد الشائع بأن الملك مينا هو أول من وحد الوجهين البحرى والقبلى وأنشأ الدولة المصرية . . فقد ظهرت عدة شواهد أثرية - وإن كانت قليلة فى حقيقة الأمر - تؤكد أن مصر كانت موحدة قبل عصر مينا بنحو ألف سنة أوأكثر ، وكانت لها مدنية وحضارة متميزة . ولكن هذه الوحدة تفككت وانفرط عقدها وانقسمت البلاد إلى مقاطعات وأقاليم مستقلة إلى أن قام الملك مينا بتوحيد البلاد مرة ثانية .

والخطأ الثانى هو الاعتقاد الذى كان شائعاً بأن « الدراما » بفرعيها [التراجيديا والكوميديا] نشأت فى اليونان معبرة عن أهم خصائص الحضارة الإغريقية القديمة . . فقد تم العثور على وثيقة دونت فى عصر الملك مينا ، أى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد . وتتضمن هذه الوثيقة نص أول عمل درامى تمثيلى فى تاريخ الانسان على الأرض ، الأمر الذى حدا ببعض المؤرخين وأساتذة التاريخ الحضارى إلى القول بأن «الدراما » وهى وليدة الفكر المصرى والحضارة المصرية ،وأن مصر عرفت الدراما قبل أن تعرفها اليونان بنحو ثلاثة آلاف سنة .

ولحسن الحظ فقد عثر على نسختين من تلك الوثيقة إحداهما كانت مكتوبة على سطح حجر أسود محفوظ حالياً بالمتحف البريطانى . وتدل الكتابات المنقوشة على هذا الحجر على أنها نص حوارِى بين الآلهة المصرية حول عملية « خلق العالم ». ولذلك فقد أطلق المؤرخون اسم « الدراما المنفية » أو اسم « تمثيلية بدء الخليقة » على تلك الوثيقة .

وبالرغم من أن النص المنقوش على هذا الحجر قد تعرض للمحو والتشويه بطريقة ...فة ، إلا أن بقاياه الظاهرة تدل دلالة قاطعة على أن النص عبارة عن حوار تمثيلى يتبادله الآلهة المصريون . . كما يتضمن « مونولوجا » كان من المفترض أن يلقيه الكاهن الذى كان يقوم بدور « الراوى » والمفسر لأحداث التمثيلية . كما يتضمن أيضا مجموعة من التعليمات الخاصة بالأداء التمثيلى تتشابه على نحو ما بالتعليمات التى يكتبها المؤلفون المسرحيون فى الدراما الحديثة .

* وبالاضافة إلى هذه الوثيقة الدرامية التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد ، عثر عالم الآثار « كويبل » أثناء الحفائر التى كان يقوم بها فى منطقة معبد الرمسيوم بغرب الأقصر فى أواخر القرن الماضى ، على صندوق كان يحتوى مجموعة من أوراق البردى دونت عليها نصوص تمثيلية ذات طابع احتفالى دينى خاص بتتويج الملك « سنوسرت الأول » بعد وفاة والده الملك « أمنمحعت الأول » . ومعنى ذلك أن هذا النص يرجع تاريخ تدوينه إلى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد [عصر الدولة الوسطى] . ويقول بعض المؤرخين أن أصول هذا النص ترجع إلى عصور سابقة يعود تاريخها إلى تاريخ نشأة الملكية فى مصر منذ عصر الأسرة الأولى .

وتقع أحداث هذه التمثيلية الدرامية فى ستة وأربعين منظراً أو مشهداً . ويقوم بالأداء التمثيلى مجموعة من الكهنة والموظفين وأفراد من الأسرة المالكة ، كما تظهر أثناء الأداء التمثيلى مجموعة من الحيوانات كالثيران والماعز ، كما تستخدم الديكورات وبعض الاكسسوارات مثل الأعمدة المقدسة والأشجار والنباتات والخبز والحلى والجعة .

وقد اصطلح المؤرخون وعلماء الآثار المصرية على تسمية هذه الوثيقة باسم « بردية الرمسيوم المسرحية » كما قام هؤلاء العلماء بشرح وتحليل النصوص والجمل الحوارية فى ضوء المفاهيم العامة للأساطير والعقائد الدينية المصرية القديمة .

* وعلى جدران معبد إدفو بصعيد مصر ، وهو المعبد الذى أقيم لتكريس عبادة الإله حورس ، نُقِشَ نص من الأدب التمثيلى ، أطلق عليه المؤرخون اسم « دراما انتصار حورس على أعدائه » . ويعتبر هذا النص من أحسن وأكمل نصوص الأدب التمثيلى فى مصر القديمة ، حيث وصل إلينا بحالة سليمة وجيدة .

وبتحليل هذا النص نلاحظ على الفور انه عبارة عن رؤية درامية مختصرة لنص درامى أكبر حجماً وأكثر تفصيلا . وقد يكون السبب فى هذا الاختصار هو ضيق المساحة الجدارية التى نقش عليها النص بما يحتويه من جمل حوارية ومناظر تصور المشتركين فى الأداء التمثيلى من آلهة وبشر وحيوانات . ومع ذلك فمن الواضح أن كاتب هذا النص المختصر قد قسمه إلى خمسة أجزاء عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . وتدور أحداث هذه الدراما حول الصراع الذى نشب بين حورس وأعوانه وبين ست وأعوانه ، إلى أن انتصر حورس الذى يمثل الخير والحق والعدل على ست الذى يمثل الشر والظلم والاغتصاب .

وبالرغم من أن معبد إدفو قد بنى فى العصر البطلمى الذى يرجع تاريخه إلى القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد ، إلا أن بعض المؤرخين الذين قاموا بترجمة وشرح وتحليل النص الدرامى المنقوش على أحد جدارنه يؤكدون أن هذا النص مأخوذ من نص درامى قديم يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الثالثة فى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد .

● رابعاً : فى مجال الشعر والأغانى والأناشيد الدينية :

هناك آلاف من أشعار الأناشيد والصلوات الدينية كتبت على أوراق البردى أونقشت على جدارن المعابد والمقابر . وتدخل « متون الأهرام » المنقوشة على الجدران الداخلية ببعض الأهرام ضمن نصوص هذه الأناشيد الدينية ، كما تدخل فيها أيضا الأناشيد والصلوات الموجهة إلى العديد من الآلهة المصريين أو الموجهة لمباركة الشمس المشرقة والشمس الغاربة أو لمباركة نهر النيل .

وتعتبر أناشيد وصلوات أخناتون درة انتاج الشعر الدينى فى مصر القديمة ، وهى الأشعار التى كتبها أخناتون بنفسه تمجيد ا للإله الواحد « آتون » حيث يقول فى بعض



الإله أوزيريس

الإلهة إيزيس



وقد عثر على هذين التمثالين المنحوتين من حجر الشيست الرمادى ، عالم الآثار « ماربيت » عام ١٨٦٣م بمقبرة الملك «بسماتيك » [الأسرة السادسة والعشرين حوالى عام ٥٣٠ ق م] بمنطقة سقارة

صلوات المكتوبة شعراً : « يارب الأبدية . . أنت ساطع جميل قوى . . وحبك عظيم إسع . . نورك يزدهر فتعطى حياة للقلوب . . وتملأ البلدين [مصر] بحبك . . أيها لإله النبيل يامن خلقت نفسك بنفسك . . وصنعت الأرض . . أنت واحد . . . » .

ويقول فيها أيضا : « يارب الأبدية . . قوتك وعظمتك ثابتتان فى قلبى . . وعند شراقك تحيا كل الزهور وتقفز الحيوانات على أقدامها ، والطيور من أعشاشها تطير فى رح . . وأجنحتها المضمومة سرعان ماتمتد تهليلاً لك . . أنت الواحد » .

● خامسا : فى مجال الشعر الغزلى وقصائد المديح والشعر الدنيوى :

* عثر على عشرات من أوراق البردى التى كتبت عليها الأغانى والأشعار الغزلية . هى أشعار غاية فى الرقة والعذوبة والتشبيهات الجميلة . ومن أشهر هذه البرديات بردية هاريس » و« بردية شستربيتى » . وتضم كل بردية منها مجموعة من أغانى الحب والغزل فى محاسن المحبوب . وعلى سبيل المثال أغنية تقول : « حبيبتى حديقة . . مملوءة ببراعم وزهور اللوتس . . وصدرها يموج بفاكهة الحب . . وذراعاها متعة . . شفتاها شِرك منصوب للطير . . وأنا أوزة برية يجذبها الطعم » . . وأغنية أخرى تقول كلماتها : « يحلو لى أن أذهب إلى الحديقة لاستحم أمام عينيك . . وأتركك تملأ ناظريك بجمالى . . فى ثوبك الكتانى الأبيض . . وقد التصق بجسمى . . بعد أن ابتل » . . وأغنية ثالثة تقول : «ليتنى أكون خادمتها لأتمتع برؤيتها . . ليتنى أكون غاسل الملابس . . لأنعم برائحة العطر الذى يفوح من ملابسها . . ليتنى أكون خاتما فى إصبعها . . الخ » .

* أما قصائد المديح التى عثر عليها فمعظمها أناشيد وطنية فى مدح الملوك والفراعنة وتمجيد انتصاراتهم وأعمالهم الجليلة . ويُدخل بعض المؤرخين « ملحمة قادش » التى كتبت شعراً فى عهد رمسيس الثانى ضمن هذا التصنيف الذى يضم قصائد المديح ، وذلك على أساس أن هذه الملحمة المنقوشة على جدران معابد الأقصر والكرنك والرمسيوم وأبو سمبل ، والتى وجدت أيضا مكتوبة على بعض أوراق البردى ، هى فى حقيقة الأمر مدحاً خالصاً للشجاعة الفائقة التى أبداها رمسيس الثانى فى حربه ضد

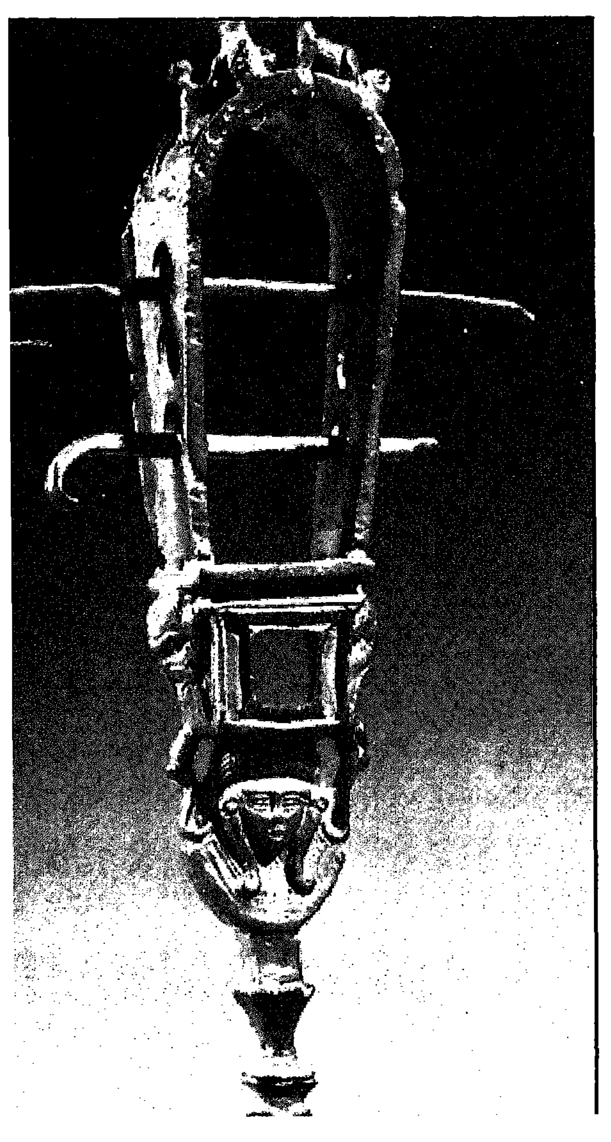
الحيثيين أثناء موقعة قادش . ومن ضمن قصائد المديح أيضا قصيدتان وصفيتان يصف الشاعر فيهما روعة وجمال مدينة « بررعمسيس » التى بناها رمسيس الثانى فى شرق الدلتا لتكون عاصمة إدارية عسكرية قريبة من أماكن تطلعاته الحربية وفرض النفوذ المصرى على المناطق الآسيوية التى ضمها إلى الامبراطورية المصرية . ويصف الشاعر فى القصيدتين ماتحفل به هذه المدينة من خيرات بالإضافة إلى كيل المديح للملك الذى أمر ببنائها .

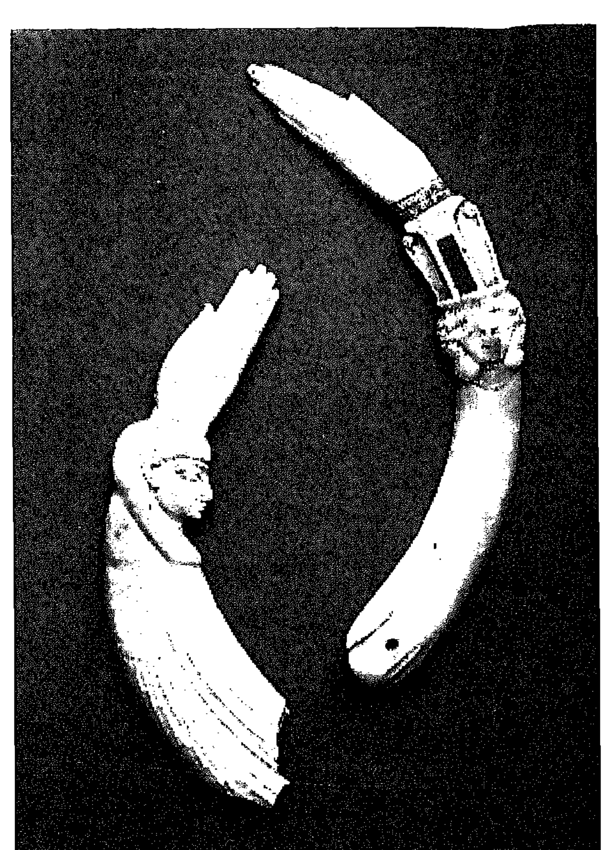
* أما قصائد الشعر الدنيوى التى تركها المصريون القدماء منقوشة على جدران المقابر أو مكتوبة على أوراق البردى ، فلا يمكن أن تقع تحت حصر لكثرة عددها . وتتضمن تلك القصائد الأشعار الشعبية البسيطة التى كانت تنشد غناءً . ومنها أغانى العمال والفلاحين والرعاة والصيادين والشيالين من حاملى المحفة ، بالإضافة إلى أغانى الأفراح والولائم .

● التعبير الساخر فى الفن والأدب ●

بدراسة آلاف النقوش التى تصور مناظر الحياة اليومية لقدماء المصريين ، يمكننا أن نستخلص بسهولة الملامح العامة للصفات والسلوكيات الاجتماعية التى كان يتميز بها الشعب المصرى القديم . . فقد كان على وجه العموم شعبا عملياً تستغرقه الحياة اليومية بكل مافيها من واجبات ، وبكل مافيها أيضا من ألوان المتع البريئة . كما كان شعباً يحب الانصات إلى الموسيقى ويتمتع بمشاهدة الرقص ، ويتلذذ بتناول كل أنواع الطعام والشراب .

ولذلك فلم يكن غريباً أن يبتدع الشعب لنفسه إلهاً يرمز إلى المرح والسرور والضحك ، كما يرمز إلى كل المتع البريئة من رقص وموسيقى وغناء . وهو الإله « بس » الذى كان يصور على هيئة قزم له سيقان مقوسة ووجه مربع وتحيط برأسه لبدة أسد أو فى بعض الأحيان يوضع فوق رأسه تاج من الريش . ولم يكن من الغريب أيضا أن تحتفظ معظم البيوت المصرية القديمة – سواء بيوت النبلاء وعلية القوم أو بيوت أفراد الشعب العاديين – بتمثال صغير للإله « بس » يضعونه فى أهم ركن بالبيت ، بحيث





من الآلات الموسيقية الإيقاعية التى كانت تستخدم لضبط الألحان التى كانت تنشد بها الأناشيد الشعرية والأغانى والتراتيل الدينية . المصفقات مصنوعة من العاج ، عثر عليها بمنطقة أبيدوس [العرابة المدفونة] ويرجع تاريخها إلى عصر الدولة الوسطى أو ربما إلى عصر الدولة الحديثة . أما آلة «السستروم» فمصنوعة من البرونز ويرجع تاريخها إلى العصر اليونانى / الرومانى



يمكن رؤيته بوضوح فى حالتى الدخول إلى البيت والخروج منه بالإضافة إلى حالة البقاء بداخله . . وذلك على سبيل التفاؤل والاستبشار بمنظره .

وكانت للإله « بس » وظيفة أخرى هى الاشتراك فى حماية المرأة أثناء عملية الولادة مع الإلهة « تاورت » التى كانت وظيفتها الرئيسية هى القيام بهذه المهمة . ويُفسر اشتراك الإله «بس » فى هذه العملية بأن المصريين القدماء كان يستبشرون خيراً بالمولود الجديد الذى يضيف قدراً كبيراً من السعادة إلى والديه وأهله ، كما كانوا يستعينون بالإله «بس» لينفث فى المولود الجديد روح المرح وخفة الظل وحب الغناء والموسيقى .

* وهناك عديد من الشواهد الأثرية المعبرة عن حب المصريين القدماء للفكاهة واستخدام العبارات المرحة والإجابات المسكتة المفحمة كلما وجدوا إلى التهكم والسخرية سبيلا . ويبدو ذلك جليا فى التعليقات أو الحوارات القصيرة التى كانوا يدونونها فوق المناظر والصور المنقوشة على جدران المقابر ، أويكتبونها كتعليق على بعض الصور أو التماثيل الهزلية .

* وبالرغم من صرامة القواعد التى كان يتقيد بها الفنان المصرى القديم فى مختلف عصور الحضارة المصرية ، حيث كان الفنان - الرسام أو النحات - ملتزماً بقواعد محددة عند قيامه بإبداع وتنفيذ الأعمال الفنية الخاصة بالملك وكبار رجال الدولة والمعبد والعقيدة الدينية ، ومع ذلك فإن بعض هذه الأعمال تدل بوضوح على أن الفنان إذا رأى أن بعض نماذجه خالية من الكمال الذى يجبر على رسمه أو تصويره أونحته فى هيئته الرسمية التقليدية ، فعندئذ قد تتولد بداخل هذا الفنان روح السخرية ، والدعابة والتهكم ، فيستخدم النقص أو موطن الضعف فى هذه النماذج فى التعبير عن تلك الروح بقدر كبير من الحرية .

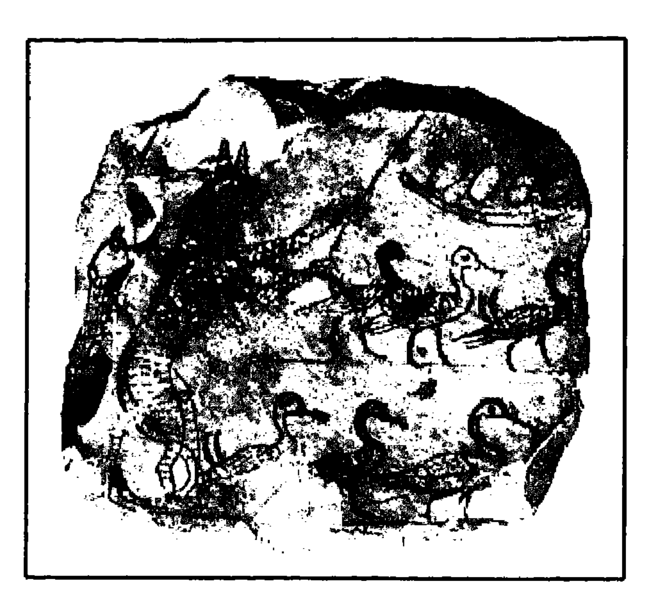
ولاشك فى أن التعبير الفنى التهكمى أو الساخر يعتبر بمثابة الوجه الآخر للتعبير الأدبى الذى يتميز بالتهكم أو السخرية . . بمعنى أن الفنان حين كان يعبر عن روح الفكاهة أو السخرية فى عمله الفنى ، كان يريد أن يعبر أدبياً عن تلك الروح بصيغة ضمنية .



الإله « بس » . . إله الموسيقى والمرح بمعبد دندرة



رسم كاريكاتيرى ساخر منقوش على جدران معبد الدير البحرى يصور ملك وملكة بلاد بونت .



من معروضات المتحف المصرى هذه الصور الكاريكاتيرية الساخرة . . وهناك كثير من البرديات
وقطع الشقف ورسمت عليها رسوم ساخرة وهي معروضه الآن فى متحف تورين .



* وقد تم العثور على عشرات من الرسوم التهكمية الساخرة التى تعبر فى مضمونها الأدبى عن عالم مقلوب رأساً على عقب . . فنرى الملوك يقومون بخدمة الملكات . . كما نرى القطط تخدم الفئران . . أو نرى الثعلب يحرس قطيعا من الأوز . . فالفنان فى مثل هذه الأعمال يريد أن يعبر - بمضمون أدبى - عن التناقض الكامن فى أن « القوة » عندما تصبح فى خدمة « الضعف » فإن معنى ذلك أن الأمور أصبحت مقلوبة بكل مافى هذا المعنى من تهكم وسخرية .

وعندما يرسم الفنان عربة حربية يقودها فأر وهو حيوان معروف بالجبن . . أو عندما يرسم سفينة يقودها حمار . . فانه يريد بذلك أن يعبر بكل تهكم وسخرية عن نظام سياسى لايعجبه لأنه تحت قيادة الجبناء والأغبياء . وعندما يرسم الفنان أسداً يلعب الضامة - وهى لعبة شبيهة بالشطرنج - مع ظبى كان من المفروض أن يكون فريسة سهلة لهذا الأسد ، فانه يريد بذلك أن يبلغنا بأن الأمور قد تجاوزت حد المعقول إلى اللامعقول .

* ومن أروع ماوصل إلينا من انتاج الأدب الساخر لدى قدماء المصريين تلك الوثيقة التى يطلق عليها المؤرخون المحدثون اسم « بردية أنستاسى الأولى » وهى محفوظة بمتحف تورينو . وكان أول من ترجمها عالم الآثار المصرية « مسيو شاباس » سنة ١٨٦٦ ، ثم درسها وحللها العالم « إيرمان » سنة ١٨٨٥ ، ثم البروفيسور« جاردنر» . وهذه الوثيقة عبارة عن مساجلة أدبية بين اثنين من الكتاب هما « حورى » و« أمنموبى » اللذين كانا يشغلان بعض المناصب العليا فى الدولة خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة . ويبدو أن هذه المساجلة كانت ضمن المقررات على تلاميذ المدارس لحثهم على مواصلة طلب العلم وأهمية التبحر فيه ، ولتعليمهم أسس المحسنات اللغوية وطرق التعبير بأسلوب سليم جذاب ، وتلقينهم بمجموعة من المفردات والألفاظ والكلمات الأجنبية لزيادة حدود ثقافتهم العامة ، بالإضافة إلى تعليمهم أسماء بلدان ومدن عديدة فى فنيقيا والمناطق السورية .

وتتميز هذه المساجلة الأدبية بالتهكم اللاذع المتبادل بين الكاتبين والأجوبة المسكتة المفحمة التى كتبها « حورى » كاتب الرسالة .



بردية عليها مجموعة من رسوم كاريكاتيرية تعبر عن فكرة انقلاب الأوضاع ، حيث نرى الأسد يلعب الضامة مع غزال ، والثعلب ينفخ فى مزمار مزدوج وهو يقود قطيعا من الماعز ، والقط يرعى مجموعة من الأوز والبط

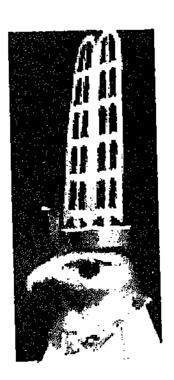
ويتلخص موضوع هذه الوثيقة فى أن الكاتب « حورى » كان قد تلقى رسالة من صديقه الكاتب « أمنموبى » تقع فى أربع عشرة فقرة تتضمن التهكم على « حورى » والإقلال من شأنه . . فرد عليه « حورى » برسالة مطولة مكونة من عشرين فقرة ، يكيل له فيها أشكالاً وألوانا من السخرية والتهكم اللاذع . . فهو يعلمه أدب الحوار وكيفية كتابة الرسائل بأسلوب مهذب ، ويأخذ عليه انه استعان بكتاب آخرين لقنوه بعض مادونه فى رسالته المردود عليها .

ويستمر « حورى » فى السخرية بصديقه « أمنموبى » بالتفاخر عليه بأنه أكثر منه علماً ومعرفة وثقافة ، وبأن لديه معلومات يعجز عن فهمها . وبلغ التهكم ذروته حين ألقى عليه عدة أسئلة لايستطيع الإجابة عليها . . فقد سأله عن عدد اللبنات اللازمة لبناء طريق صاعد طوله ٧٣٠ ذراعاً [الذراع المصرى = ٥١ سم] وعرضه ٥٥ ذراعاً .

وسأله عن عدد الرجال اللازمين لجر مسلة من قطعة واحدة من الحجر طولها ١١٠ ذراعاً وضلع قاعدتها ١٠ أذرع .

وسأله عن كيفية حساب المؤن اللازمة لتموين حملة عسكرية الى فنيقيا مكونة من ٥٠٠٠ جندى . كما سأله عن أسماء مدن كثيرة فى فنيقيا والمناطق السورية ، وتحداه إن كان يعرف منها مدينة واحدة .

وفى النهاية نصح «حورى » صديقه « أمنموبى » بأنه إذا كان يريد أن يعرف الاجابات على هذه الاسئلة وغيرها من المعلومات الأخرى ، فعليه أن ينحنى أمامه ويرجوه بأدب وأسلوب مهذب أن يزوده بتلك الاجابات والمعلومات . . وعندئذ سيتعطف عليه ويجيبه إلى طلبه حتى يصبح من المتعلمين المثقفين !





مجوهرات الفراعنة

تدل الشواهد الأثرية على مدى حرص المصريين القدماء البالغ على نظافة الجسم بكافة أعضائه وأجزائه ، سواء بالغسيل أو التطهير أو التطيب بالروائح الجميلة والدهانات العطرية ، واستخدام الكحل وتلوين الخدود والشفاة والأظافر وتصفيف الشعر وتمشيط وحلاقة الذقون والشوارب . وكانوا يحرصون أيضا على كساء الجسم بأفخر أنواع الأقمشة الكتانية والجلود الثمينة ، مع تفصيلها طبقا لنماذج غاية فى الذوق اللطيف والرقة المتناهية .

كذلك فقد جابوا كل بقاع الصحارى المصرية الغربية والشرقية والمناطق الجبلية وبطاح شبه جزيرة سيناء والنوبة ، فى سبيل الحصول على مايحتاجونه من مواد أولية لصناعة مايرغبون فيه من حلى ومصوغات ومجوهرات .

ومن الغريب أن مناجم الذهب العديدة الموجودة بتلال ووديان صحراء مصر الشرقية التى اكتشفها واستغلها قدماء المصريين مازالت موجودة حتى الآن . ومازالت تحتوى على بقايا من هذا المعدن النفيس . ولكن لوحظ أن المصريين القدماء قد أرهقوا هذه المناجم إرهاقا أدى إلى نضوبها ، وأدى بالتالى إلى عدم مناسبتها للاستغلال التجارى طبقا للمعايير الاقتصادية الحديثة .

وبالرغم من التقدم الهائل فى طرق التعدين والبحث عن المعادن فى العصر الحديث ، إلا أن البحوث الجيولوجية أكدت أن المصريين القدماء لم يتركوا منطقة واحدة توقعوا احتواءها على الذهب دون أن ينقبوا فيها بحثاً عن هذا المعدن النفيس ، ولم يتركوا منجماً واحداً من مناجم الذهب التى عثروا عليها دون أن يستغلوه استغلالاً مكثفا حتى نضب . الأمر الذى دفع الكثير من علماء المصريات والتاريخ القديم بصفة

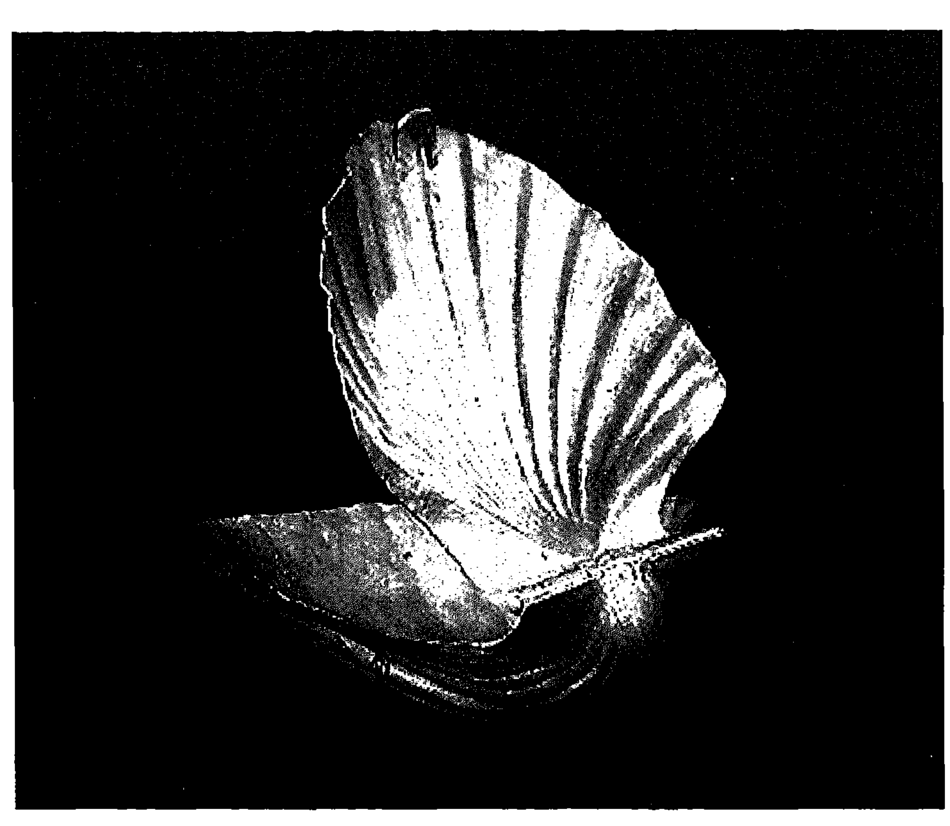
عامة إلى الاعتراف بأن المصريين القدماء كانوا من أعظم " المعدنين " فى العالم القديم .

ولايمكن لأحد أن يتصور قدر كميات الذهب الهائلة التى تم تداولها فى حقب وعصور تاريخ مصر القديم ، سواء بداخل حدودها أم بخارج هذه الحدود . . فبالإضافة إلى الكميات الضخمة التى كانت تحصل عليها مصر من مناجمها ، كانت تستورد سواء بطريق الجزية أو بطريق المبادلات التجارية ، كميات هائلة أخرى من الذهب من بلاد النوبة ومن بلاد بونت .

● تكنولوجيا التصنيع .. بالأدوات البدائية :

وكان صناع الذهب وصياغه من المصريين القدماء يتلقفون هذه الكميات الهائلة من الذهب - المحلية منها والمستوردة - والتى تأتيهم فى شكل تبر أوحبيبات أو قطع صغيرة من العروق الخام ، ويبدأون فى ممارسة " تكنولوجيا التصنيع " التى ابتدعوها وأبدعوا فيها ، بالرغم من أدواتهم ووسائلهم البدائية البسيطة ، من " كيران " وأفران الصهر والتشكيل ، إلى منافخ مصنوعة من البوص والصلصال ، وبواتق خزفية من مختلف الأحجام ، وملاقط ومساكات ، وقوالب سابقة التجهيز على مختلف أنواع النماذج والأشكال ، ومطارق ثقيلة وخفيفة ومستدقة ، وأزاميل ذات سنون قاطعة أو سنون مدببة ، ومثاقب دقيقة ذات سنون من مختلف الأطوال والأقطار بعضها يدور بين كفى اليد وبعضها يدور بالأقواس ، وأدوات الشطف والتلميع ، الى آخر تلك الوسائل والأدوات التى استخدمها الصناع المصريون القدماء فى ابتداع الملايين من تحف المصوغات والمجوهرات من مختلف الأنواع والأحجام والأشكال . وهى التحف التى تمتع بها وتفاخر بها الملوك والملكات والأمراء والأميرات وكبار رجال الدولة ونسائها من أعضاء البلاط الملكى والطبقة الراقية ، كما تمتع بها أيضا الكثيرون من القادرين من أفراد الشعب على اقتناء مثل هذه المصنوعات الغالية .

ولم يقتصر نشاط صناع الذهب وصياغه والجواهرجية من المصريين القدماء على سد الحاجات والطلبات المحلية ، بل امتد نشاطهم أيضا إلى عمليات « التصدير » وجعلوا من مصرمنبعاً للذهب والمشغولات الذهبية ارتوت منه معظم دول وشعوب العالم القديم ممن كانوا على علاقة بالدولة المصرية .



تحفة فنية رائعة عبارة عن علبة صغيرة على شكل قوقعة مصنوعة من الذهب ولا يزيد طولها على ٥,٣ سم . عثر عليها بمنطقة سقارة ويرجع تاريخها إلى عصر الدولة القديمة [الأسرة الثالثة]

● الابداع والأصالة والذوق الرفيع :

وكان ملوك وحكام تلك الدول الأجنبية القديمة يتطلعون دائما إلى التحلى بقطع المصوغات والمجوهرات المصنوعة فى مصر ، أويرغبون فى استيراد سبائك الذهب المصرى ليصنعوها أو يصيغوها بمعرفة صناعهم وصياغهم المحليين طبقا للأذواق المحلية التى كانت سائدة فى تلك الدول فى تلك العصور القديمة .

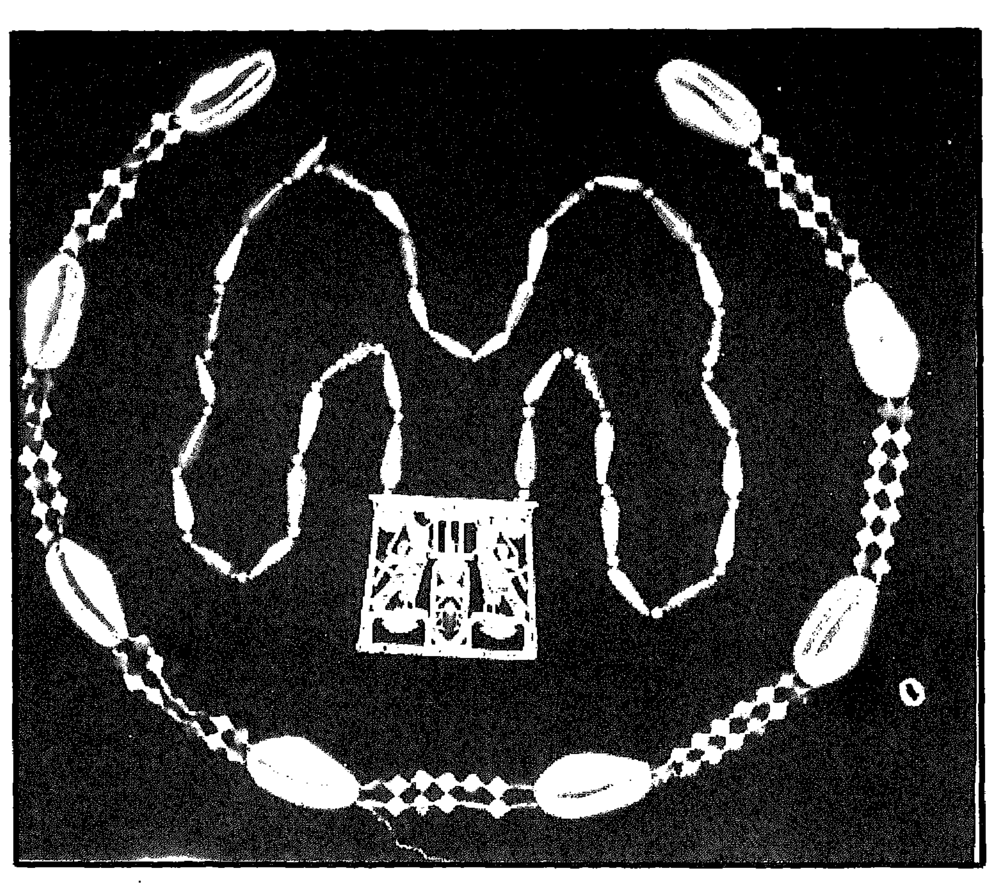
ومازالت الشواهد الأثرية والتاريخية تؤكد بين حين وآخر وجود العديد من المصنوعات والمجوهرات المصرية بين آثار بلاد مابين النهرين وغرب آسيا وآسيا الصغرى وكريت واليونان وجزر بحر إيجه .

وكما تأثرت صناعة المجوهرات والمشغولات الذهبية بالذوق المصرى ، تأثر أيضا الذوقَ المصرى بالأذواق التى كانت سائدة فى تلك الدول والمناطق النائية . . فالحضارات الانسانية تقوم غالباً على فكرة الأخذ والعطاء بين هذه الحضارات فى مختلف مواقعها وأزمنتها . ومع ذلك فقد استطاع الصانع المصرى القديم أن يطبع ماتأثر به من أذواق أو نماذج أو موتيفات وافدة إليه من الخارج بطابع مصرى خالص .

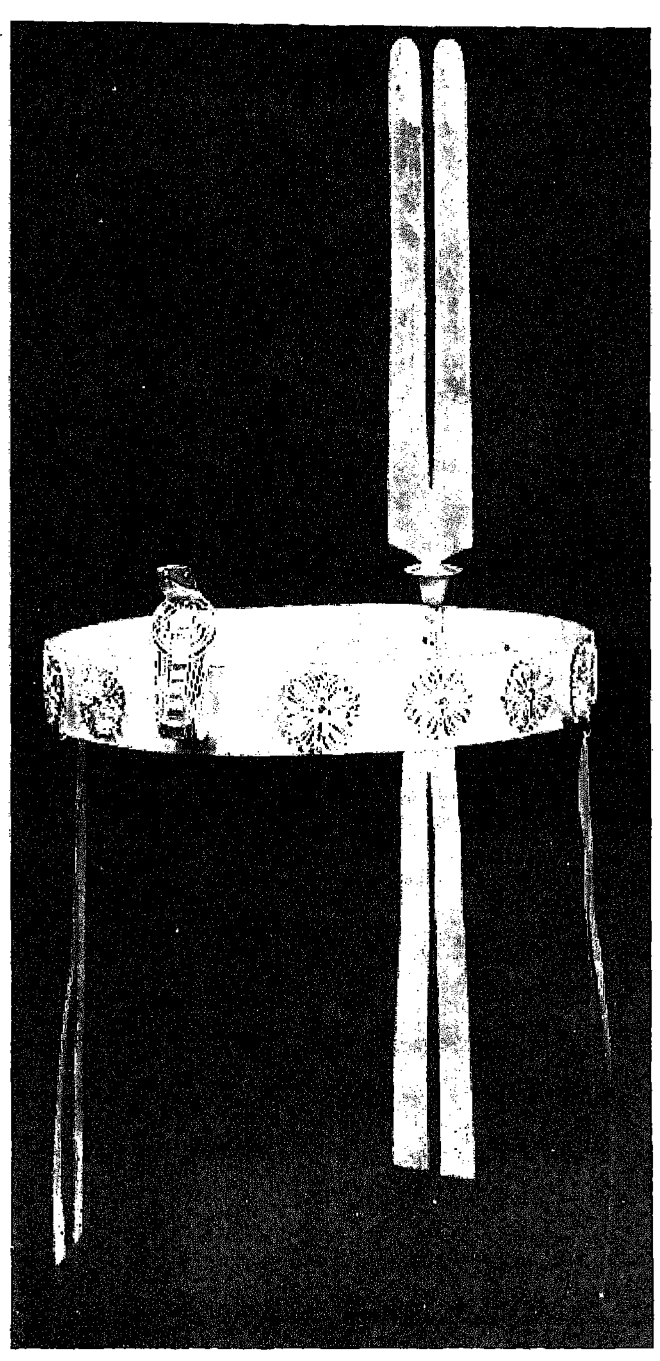
وهذا الطابع المصرى الخالص هو مايعتبره مؤرخو الفنون القديمة معجزة حقيقية تتبدى مظاهرها فى هذا الاستمرار الطويل المدى الذى استغرق أكثر من ثلاثة آلاف سنة من تاريخ مصر الفرعونية ، محافظاً على وحدته وتفرده وأنماطه ، بحيث ان الانسان الحديث فى أى مكان من هذا العالم ، يستطيع أن يميز العمل الفنى المصرى القديم بلمحة عين واحدة ، حتى ولو كان هذا العمل بين عشرات أو مئات الآلاف من الأعمال الفنية الأخرى من مختلف شعوب ومناطق العالم القديم والعالم الحديث .

● مجوهرات للنساء ... وللرجال :

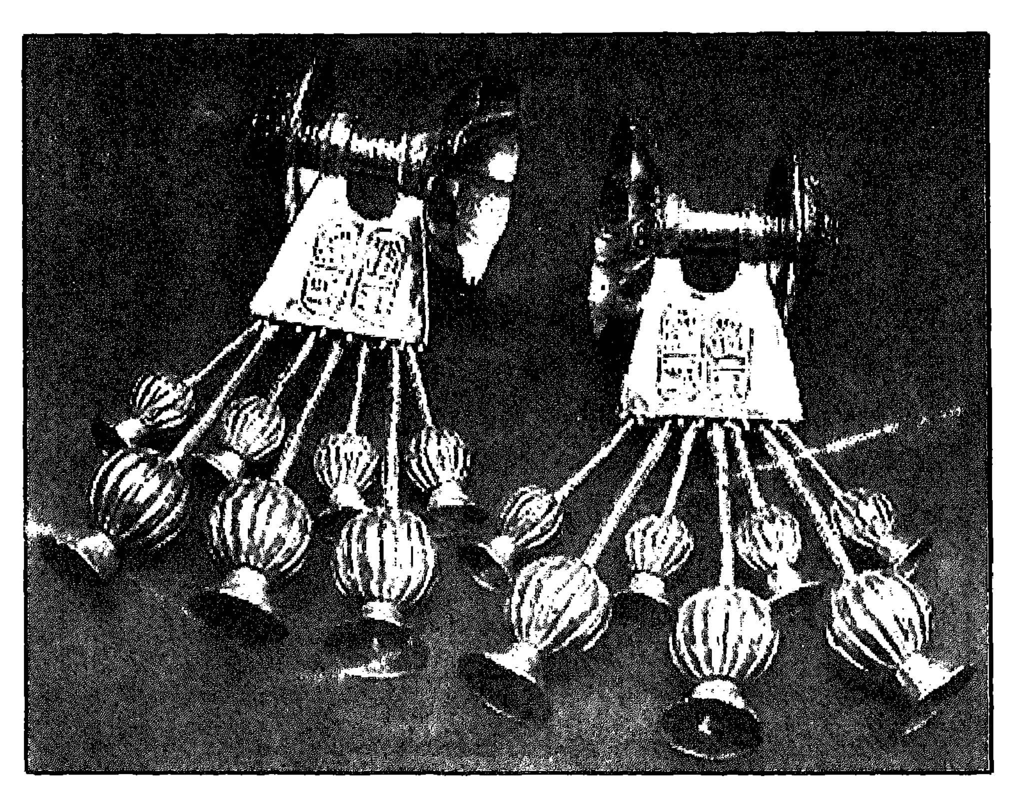
وكانت الحلى والمجوهرات تستخدم أثناء الحياة للتزين والتفاخر وزيادة الجاذبية الجنسية لمن يتزين أو تتزين بها ، بالاضافة إلى إبراز جمال الملابس ووسائل التجميل الأخرى ، خصوصاً بالنسبة لأفراد الطبقات المتوسطة والعليا من المجتمع الذين يهتمون بمظهرهم ، حيث يصبح الجانب الفنى والجمالى للحلى والمجوهرات وسيلة أساسية من وسائل التجميل والتزين ، بالإضافة إلى وظيفتها الأخرى كتمائم أو تعاويذ .



عقد وقلادة صدرية من مجوهرات الأميرة « ست حتحور » [الأسرة الثانية عشرة] من ضمن مجموعة المجوهرات التى عثر عليها بمنطقة دهشور .



تاج الأميرة « سات حتحور يونيت » ابنة الملك « سنوسرت الثانى » [عصر الدولة الوسطى الأسرة الثانية عشرة حوالى عام ١٨٤٢ ـ ١٧٩٨ ق م] والتاج مصنوع من الذهب المزين باللازورد والعقيق الأحمر والفيانس الأخضر ، ويصل ارتفاعه ٤٤ سم وقطره ١٩,٢ سم . وقد عثر عالم الآثار « بترى » على مقبرة تلك الأميرة بمنطقة اللاهون عام ١٩١٤ م



الحلق الخاص بالملك « سيتى الثانى » [أواخر الأسرة التاسعة عشرة حوالى ١٢١٠ ـ ١٢٠٤ ق م] . ويبلغ طوله ١٣,٥ سم . وقد عثر عليه عالم الآثار « فاديس » بمنطقة وادى الملوك عام ١٩٠٤ م . وقد شاع التزين بالحلقان فى عصر الدولة الحديثة بين الرجال والنساء والشباب من الجنسين . وأصبحت الحلقان تزين الأحياء كما شاع استخدامها فى تزيين المومياوات

ولم يكن استخدام الحلى والمجوهرات مقصورا على النساء وحدهن ، بل كان الرجال أيضا يحرصون على التزين بمختلف أنواع الحلى كالخواتم التى تلبس فى أصابع اليدين ، والأساور التى تلبس حول المعاصم والأذرع ، والخلاخيل التى تلبس حول كواحل أو أرْسُغ الأقدام ، والياقات المزخرفة التى تلبس حول الرقاب ، والعقود والقلائد التى تلبس متدلية فوق الصدور ، والأقراط والحلقان التى تتدلى من حلمات الآذان ، وقطع الحلى المستطيلة كالأشرطة التى تربط كالعصابة حول الرأس لتثبيت الشعر .

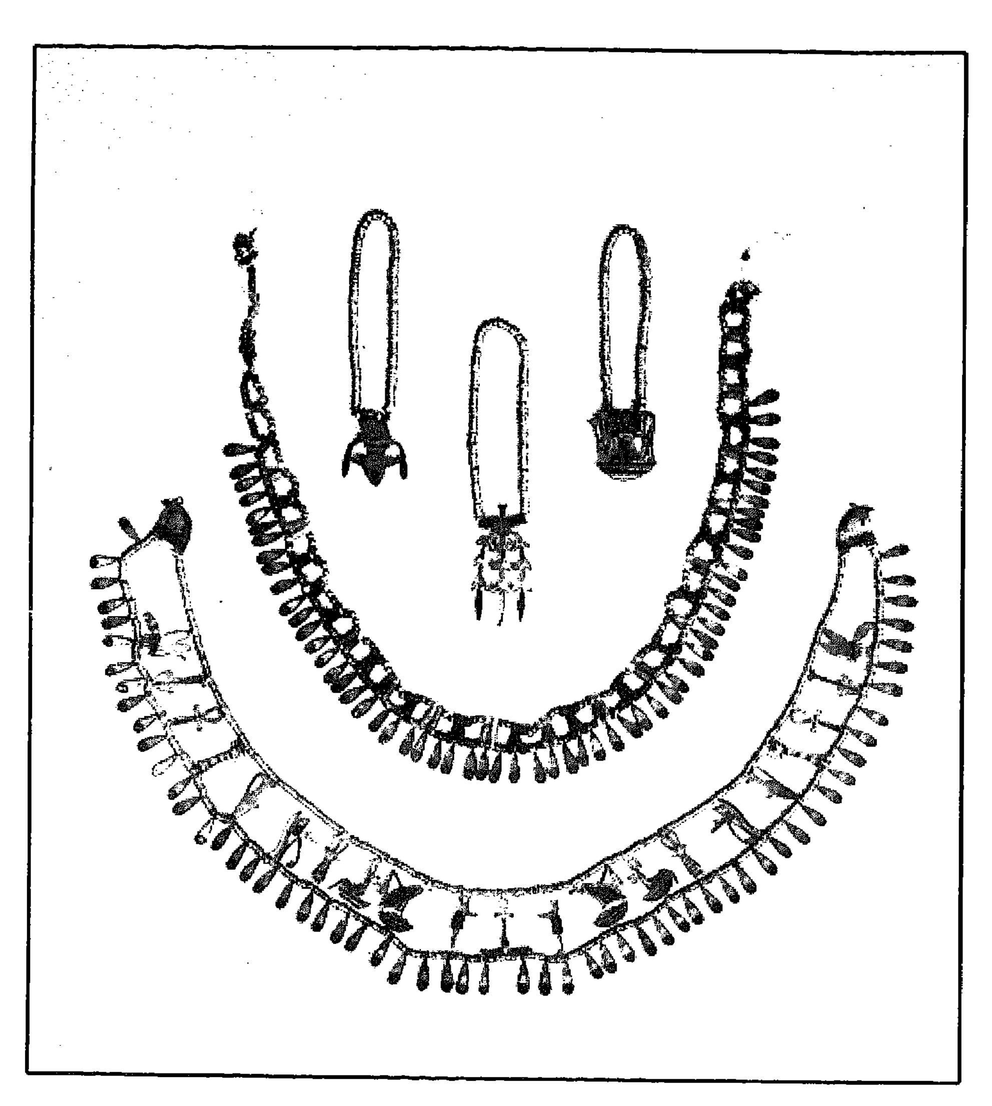
● مجوهرات لتزيين الموتى :

وكان تزيين الموتى بالحلى من الأمور الشائعة فى مصر القديمة ، ولم يكن هذا الأمر مقصورا على علية القوم أو الأغنياء وحدهم ، بل ان كل شخص يموت - مهما كان مركزه الاجتماعى - كان لابد من تزيين جثمانه قبل الدفن بقطع من الحلى والمجوهرات المناسبة لطبقته ومدى ثرائه ، حتى بالنسبة لأفقر الفقراء ، كان لايخلو الأمر عند دفنه من تزيين جثته بقطعة من الخيط لضمت فيها بعض الخرزات الملونة وتلف حول رقبته أوحول ذراعه .

وطبقا للعقائد المصرية القديمة ، كان هناك اعتقاد راسخ فى الدور الجنائزى الذى تؤديه المصوغات والمجوهرات فى خدمة الميت فى العالم الآخر ، فكانوا يحرصون على أن يقوم المحنطون بتزيين المومياء بمشغولات الذهب والفضة المرصعة بألوان مختلفة من الأحجار الثمينة . . يضعون عقوداً حول الرقبة ، وأساور حول المعاصم والسواعد ، وخلاخيل حول الكواحل ، ويزينون الجباه بالتيجان وعصابات الرأس . . وذلك حتى تبدأ المومياء رحلتها فى العالم الآخر وهى فى أبهى زينة وأكمل مظاهر الجمال ، بالإضافة إلى الاستفادة بالقدرات السحرية التى كانوا يعتقدونها كامنة فى تلك المجوهرات كتمائم وتعاويذ ورقيات تحمى الميت وتبعد عنه شرور الأحياء أو الشرور المتوقعة فى عالم الأموات .

● القوى السحرية للمجوهرات :

ولانعيب على قدماء المصريين - ولا الشعوب القديمة بصفة عامة - اعتقادهم



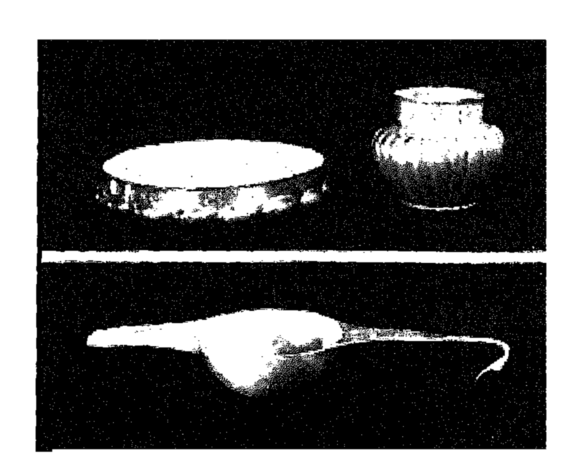
مجموعة من بعض المجوهرات التى كانت تزين مومياء الأميرة « خنوميت » ابنة الملك « امنمحعت الثانى » [الأسرة الثانيـة عشرة حـوالى عـام ١٩٢٩ ـ ١٨٩٧ ق م] . وقد عثر على مقبرتها عالم الآثار دى مورجان فى منطقة دهشور عام ١٨٩٤م



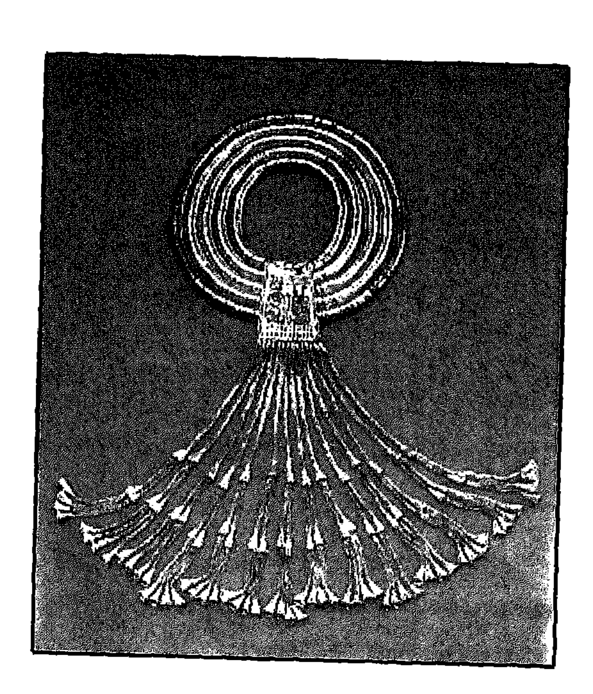
القنـاع الذهبى الـذى كـان يغطى مـوميـاء الملك «بسوسنس»
الـذى عثر على مقبرتـه بتانيس [صـان الحجر] .



بعض أدوات المائدة الخاصة بالملك «بسوسنس» وكلها مصنوعة من الذهب الخالص .







مجموعة من بعض المجوهرات المصنوعة من الذهب واللازورد وبعض الأوانى المصنوعة من الذهب الخالص خاصة بعائلة الملك « بسوسنس » [الأسرة الحادية والعشرين ١٠٥٤ ـ ١٠٠٤ ق م] . وقد عثر عالم الآثار « بيير مونتيه » على مقبرة هذا الملك بمنطقة تانيس [صان الحجر] بالدلتا عام ١٩٤٠م

الراسخ فى القدرة السحرية لقطع الحلى والمصوغات والمجوهرات واستخدامها كتمائم وتعاويذ لمنع الأذى أو اتقاءً لسوء الحظ، أو للتحصن ضد السحر الأسود الشرير، أو ضد الحسد وأعين الحاسدين ، وإبعاد الأرواح الشريرة والوقاية من الأمراض ، بالاضافة إلى قدرتها السحرية على تحقيق الرغبات والأمنيات الطيبة .

ومن المعروف - حتى فى عصرنا الراهن - أن شعوبا كثيرة مازالت تؤمن بمثل هذه المعتقدات ، وترى فى بعض أنواع الحلى ومشغولات المصوغات والمجوهرات ، قدرة على تحقيق الحماية من الأمراض أو الوقاية من عض الثعابين والأفاعى ولدغ العقارب وغيرها من الحشرات السامة .

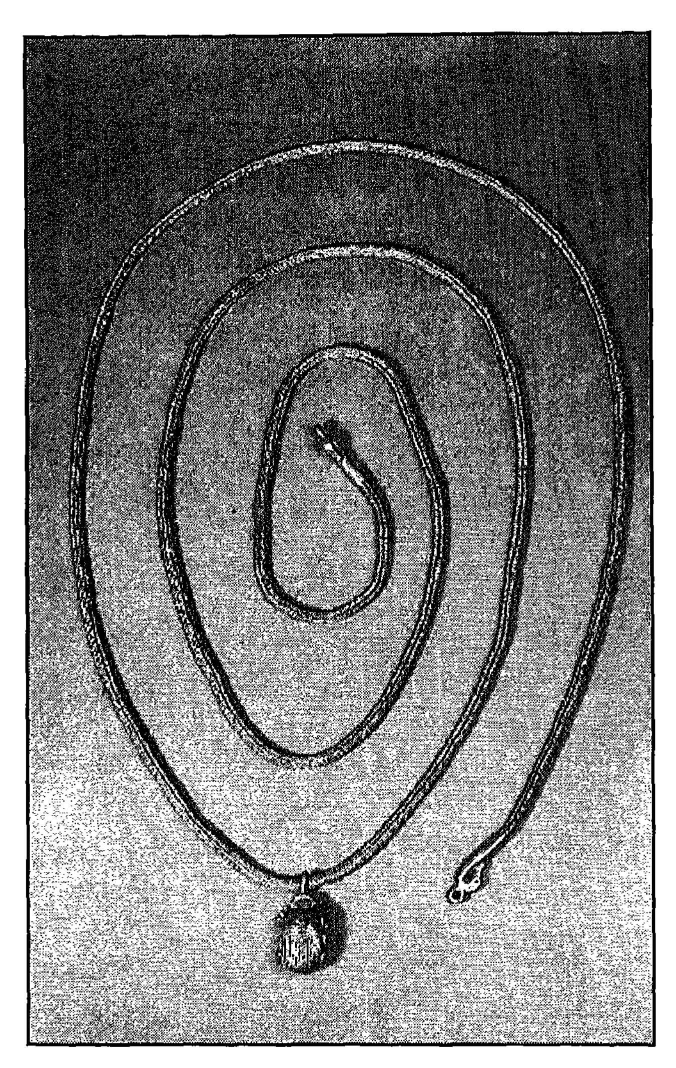
وعلى سبيل المثال ففى بعض الدول الآسيوية كإيران والهند والصين يسود اعتقاد شعبى عام بأن التحلى بحجر " الجاد " (اليشب أو اليشم بالفارسية) يكفل حماية لصاحبه من التعرض لأمراض القلب . . كما يسود الاعتقاد أيضا بأن حجر الفيروز (التركواز) يبعد عن صاحبه أوالمتزين به الكثير من المخاطر والشرور .

وفى بعض قبائل وسط وجنوب افريقيا تحرص النساء على التحلى بأنواع معينة من الأصداف والقواقع والودع ، وذلك على أساس أن هذه الحلى تكفل الحماية للأجهزة التناسلية وتمنع الاجهاض أو أية أمراض تعترى هذه الأجزاء من أجسام النساء . وهذا الاعتقاد كان سائدا أيضا فى مصر القديمة والنوبة .

وفى اليونان ، وفى كثير من جزر البحر المتوسط وفى الدول المطلة على سواحله ، ينتشر اعتقاد شعبى بأن الخرزات الزرقاء أو المشغولات المصنوعة على شكل قرون الفلفل الحمراء تمنع الحسد ، فتشبك بملابس الأطفال أو تعلق على رقاب الخيول والحمير أو تتدلى بشكل أو بآخر بصالونات السيارات .

● مجوهرات لتزيين تماثيل الآلهة :

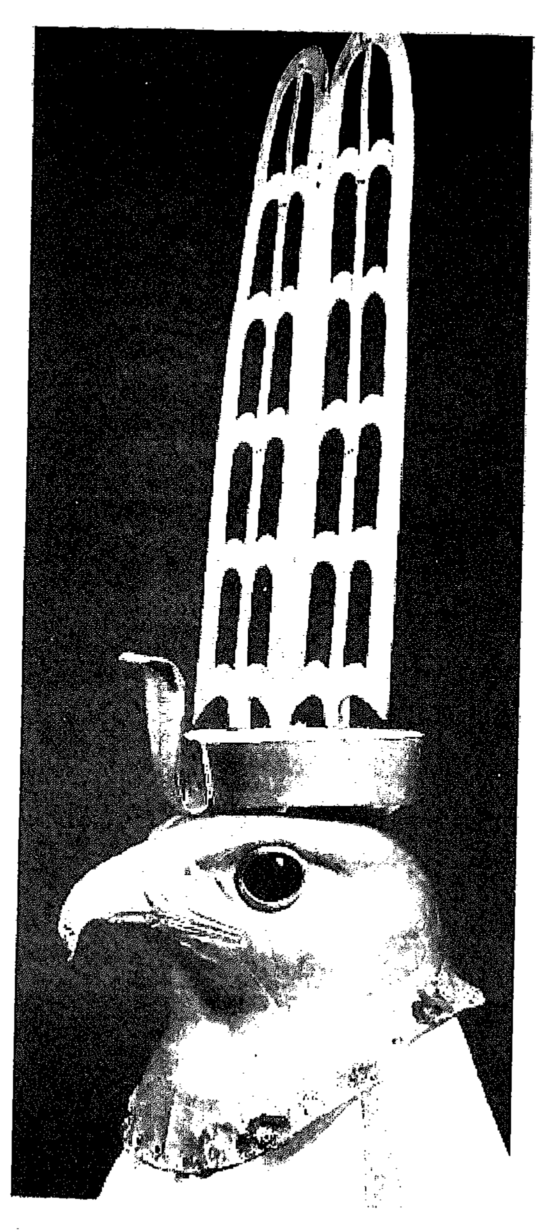
وفى مصر كانت هناك حلى ومجوهرات خاصة بالآلهة ، خصوصاً بالنسبة لتماثيل الآلهة التى كانت تحفظ بالمقصورات بداخل الحرم المقدس أو قدس الأقداس لكل معبد . وكانت طقوس الخدمة اليومية التى يقوم بها بعض كبار الكهنة ، تقتضى قيامهم



قلادة صدرية خاصة بالملكة « آح حتب » أم الملك « أحمس الأول » . والقلادة مصنوعة من الذهب واللازورد ويبلغ طول السلسلة الدقيقة الصنع ۲۰۲ سم وطول الجعران ۳ سم ويصل وزنها إلى ۳۷۸ جراماً . وقد عثر عليها بمقبرة الملكة بمنطقة دراع أبو النجا عام ١٨٥٩م



القلادة الصدرية الخاصة بالملك رمسيس الثانى



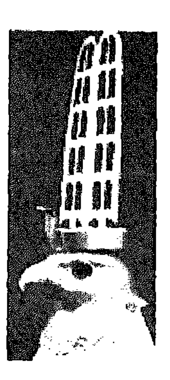
تمثال رائع لرأس الصقر الذى يرمز إلى الإله حورس . والتمثال مصنوع من الذهب الخالص وطعمت العينان بحجر الأوبسيديان اللامع . ويبلغ وزن الذهب [illegible] جرام ووزن الأوبسيديان ٣٢ جراماً . ويبلغ طول الرأس ٣٧,٥ سم وعرضها ٧,٥ سم . ويرجع تاريخ التمثال إلى عصر الأسرة السادسة [حوالى عام ٢٣٥٠ ق.م.] وعثر عليه عالم الآثار كويبل عام ١٨٩٨م

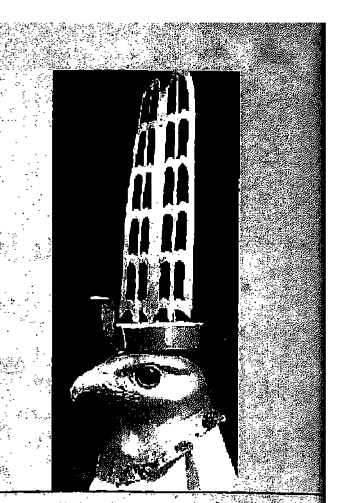
بتغيير الأردية والثياب التى يرتديها تمثال الإله ، وتغيير أو تنظيف مايتزين به تمثال الإله من حلى ومجوهرات وياقات تزين رقبته وأعلى صدره .

وكانت مخازن أى معبد من المعابد ، تحتوى على كميات هائلة من المصوغات الذهبية والحلى والمجوهرات ، نستطيع أن ندرك مدى ضخامتها بقراءة ماوصل الينا من قوائم الجرد أو قوائم الهبات التى كانت تقدم إلى تلك المعابد ، مثل تلك المناظر المنحوتة على الجدار الجنوبى للحجرة الملحقة والمجاورة لقدس الأقداس بمعبد الكرنك، والتى تصور مجموعة من الهبات والعطايا التى منحها الملك « تحتمس الثالث » لخدمة الإله آمون، وتتضمن العديد من المشغولات الذهبية من العقود والياقات والأساور ، ونستطيع أن نستشف من صور تلك المشغولات مدى الدقة والبراعة والذوق الرفيع لصناع الحلى والمجوهرات فى مصر القديمة .

● معدّنون .. من الدرجة الأولى :

وفى سبيل حرص قدماء المصريين على تجميل الجسم وتزيينه ، تجشموا كافة صعوبات " التعدين " للحصول على المعادن النفيسة والأحجار الكريمة وشبه الكريمة. كما ابتدعوا الطرق التكنولوجية فى صياغة هذه المعادن وترصيع مشغولاتهم الذهبية والفضية بزخارف غاية فى الجمال والروعة والذوق الرفيع فى التصميم الفنى . . استخدموا فيها أنواعاً عديدة من الأحجار والمواد الثمينة كالعقيق الأحمر والأبيض والفيروز واللازورد الذى كانوا يحصلون عليه من مناطق انتاجه بافغانستان أو من مناطق تسويقه فى بلاد مابين النهرين وغرب آسيا .





أغلى كنوز الدنيا في المتحف المصرى بالقاهرة

● نبذة تاريخية :

ليست هناك أية مبالغة فى القول بأن الحضارة المصرية القديمة تعتبر من الركائز الأساسية التى قامت عليها حضارة العالم المعاصرة .

ومن المعروف تاريخيا أن الحضارة المصرية القديمة قد أثرت تأثيراً بالغاً فى الحضارات الانسانية الأخرى التى تلتها . . ومن المعروف أيضا أن مصر القديمة قد جذبت العديدين من طلاّب العلم فى العالم القديم لكى يتعلموا فى مدارسها وجامعاتها ومعابدها ، خصوصاً بالنسبة للإغريق والرومان القدماء . . فقد حضر إلى مصر عدد لايحصى من أشهر العلماء والفلاسفة والفنانين والمؤرخين القدماء لينهلوا العلم والفن من منابعه المصرية .

وعندما عاد هؤلاء العلماء والفنانون والمؤرخون إلى بلادهم ، نقلوا إليها خلاصات ماتعلموه فى مصر من المعارف التى تشمل العلوم والفنون الجميلة والعقائد الدينية والآداب الرفيعة بما فيها القصص والمأثورات والميثولوجيا المصرية .

ومن الحقائق المسلم بها أن العرب قد ورثوا العلوم والفنون الإغريقية والرومانية ونقلوها مترجمة إلى اللغة العربية . وعن هذه اللغة ، انتقلت هذه العلوم والفنون مرة أخرى إلى أوربا فى عصورها الوسطى ،الأمر الذى أدى إلى بداية وظهور عصر النهضة RENAISSANCE فى أوربا .

وخلال تلك الانتقالات والاحتكاكات والتأثيرات التى حدثت فى تلك الحضارات جميعا ، كادت الأسس الأصلية للحضارة المصرية القديمة أن تختفى وتتلاشى بين

ظلال وأنوار تلك الحضارات وماأنشأته من معارف وعلوم جديدة ، إلى أن عاد العالم إلى الاهتمام مرة أخرى بمعالم الحضارة المصرية القديمة . وقد بدأ هذا الاهتمام على أيدى العلماء الذين اصطحبهم معه نابليون بونابرت عند قيامه بحملته الفرنسية الشهيرة على مصر سنة ١٧٩٨ م . . فقد قام هؤلاء العلماء بتأليف سفر ضخم عن مصر وأحوالها المعاصرة وحضارتها القديمة، وهو الكتاب المعروف باسم « وصف مصر» DESCRIPTION DE L' EGYPTE والذى صدر تباعاً بين عامى ١٨٠٩ - ١٨٢٨ .

ثم ترسخ هذا الاهتمام بالكتاب الذى أصدره « جون جاردنر ويلكنسون » فى سنة ١٨٣٧ م بعنوان :

MANNERS AND CUSTOMS OF THE ANCIENT EGYPTIANS،

ثم بالكتاب الضخم الفريد : DENKMALER AUS AEGYPTEN UND AE-THIOPIEN.

الذى أصدره العالم الألمانى « ريتشارد لبسيوس » بالاشتراك مع مجموعة من العلماء الألمان الآخرين ، والذى صدرت أجزاؤه تباعاً فيما بين عامى ١٨٤٩ - ١٨٥٩ م .

● فك رموز وأسرار الكتابة الهيروجليفية :

ومنذ بداية القرن التاسع عشر بذل عديد من العلماء الأوربيين جهوداً مضنية لفك رموز الكتابة الهيروجليفية التى كتب بها المصريون القدماء تاريخهم على جدران المعابد والمقابر والمسلات و كافة الآثار الأخرى من نصب تذكارية وبرديات .

ونذكر من هؤلاء العلماء الأوربيين : سيلفستر دى ساكى ، وآكربلاد ، وتوماس يونج . . إلى أن توج جان فرنسوا شامبليون هذه الجهود العلمية وتمكن من حل رموز وأسس الكتابة الهيروجليفية وقراءتها قراءة صحيحة . وقد تحقق هذا الاكتشاف فى سنة ١٨٢٢ م .

وبطبيعة الحال فقد أصبح من السهل معرفة المعلومات التى سجلت مكتوبة بالهيروجليفية على أوراق البردى أومنقوشة على الحجر أو الخشب أو غيرهما من المواد

الأخرى . . وبالتالى فقد وجد عالمنا المعاصر المفتاح الذى يفتح أمامنا ماكان موصداً من أبواب التاريخ المصرى القديم والحضارة المصرية القديمة بصفة عامة .

● **أغنى بلاد العالم بالآثار :**

وغنى عن الذكر أن نشير إلى العدد الهائل من المواقع الأثرية المتناثرة فى معظم المحافظات والأقاليم المصرية ، وأن أية زيارة - ولو عارضة - لأى موقع من هذه المواقع، تجعل الزائر يحس على الفور بمدى عظمة الحضارة التى عاشها المصريون القدماء فى مختلف الحقب والفترات التى يتألف منها التاريخ المصرى القديم الذى استمر أكثر من ثلاثة آلاف سنة متصلة .

كما يحس الزائر أيضا بمدى سمو وثبات الصفات والخصائص التى تميزت بها حضارة المصريين القدماء فى مظاهرها المختلفة ، سواء فى المعابد والمقابر والمنشآت المعمارية، أو فى التماثيل الضخمة والصغيرة ، أو فى الأدوات الدنيوية والأخروية التى تخلفت عن تلك الحضارة . .

وقد تميز المصريون القدماء بحبهم الشديد لتاريخهم وتاريخ ملوكهم وتاريخ الوقائع والأحداث التى عاصروها . . ولذلك فقد حرصوا على تدوين هذا التاريخ كلما وجدوا لهذا التدوين سبيلا مناسباً ، فإلى جانب الصور والمناظر التى نقشوها ولونوها ، كتبوا «النصوص » التاريخية والدينية والاجتماعية والأدبية على جدران جميع ماأنشأوه وتركوه من معابد ومقابر ومسلات ونصب تذكارية ، بالإضافة إلى ماكتبوه على أعداد لاتحصى من أوراق البردى .

● **عمليات سرقة ونهب الآثار المصرية :**

ومنذ أن أدرك العالم قيمة الآثار المصرية التى خلفتها العصور التاريخية بدءاً بعصور ماقبل التاريخ ثم العصور الفرعونية ، فالعصر اليونانى الرومانى، فالعصور الإسلامية حتى العصر العثمانى ، تعرضت تلك الآثار الثمينة إلى عمليات لايمكن حصرها من السرقة والنهب ، سواء من جانب الأهالى المحليين أومن جانب الأجانب الوافدين بغرض قنص الكنوز الأثرية المصرية والاستيلاء عليها وتصديرها إلى مختلف أنحاء العالم

خارج الديار المصرية ، لتباع هناك إلى هواة الآثار وتجارها وإلى المتاحف التى بدأ انتشارها فى مختلف الدول الأوربية ، والتى أصبحت تحرص على اقتناء وعرض التحف الأثرية المصرية بين معروضاتها الأخرى ، بل والتى أخذت تخصص أقساماً بكاملها لعرض مالديها من هذه الآثار المصرية القديمة ، حتى أصبح مجال التفاخر بين تلك المتاحف ، يقوم أساساً على قدر وقيمة ماتحتويه هذه المتاحف من الآثار المصرية .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن « مصلحة الآثار المصرية » أنشئت فى سنة ١٨٣٥ خصيصاً للحد من تلك السرقات وأعمال النهب والتصدير التى كانت تتعرض لها الآثار المصرية . حيث كانت تجرى الحفائر وتقتحم المقابر وتسرق التماثيل وتخلع المناظر واللوحات الكاملة من الجدران وتنهب الأعمال الفنية من تحف وقطع أثاث وحلى ومجوهرات . . وكانت هذه العمليات كلها تجرى دون ضابط ولارابط ودون أى قدر من الرقابة من جانب سلطات الدولة . . بل وبلغ الاستهتار مداه حين أصبحت تلك العمليات تجرى أحيانا كثيرة تحت رعاية قناصل وممثلى الدول الأجنبية الذى كانوا يحمون لصوص الآثار وسماسرتها وتجارها ، ويتولون أيضا تهريب تلك الآثار من مصر إلى بلادهم أودولهم التى يمثلونها ، أو إلى دول أخرى قد تدفع أكثر .

● **فكرة إنشاء متحف خاص للآثار المصرية :**

وبناء على توصيات بعض الأجانب الذين كانوا يعملون فى الحكومة المصرية ، بدأت الدولة فى تجميع وحماية مايتم العثور عليه من التحف والآثار المصرية القديمة .

وقد تمت أول عملية لتجميع تلك الآثار بتخصيص مكان لها فى « حديقة الأزبكية » التى بدأ إنشاؤها فى مدينة القاهرة .

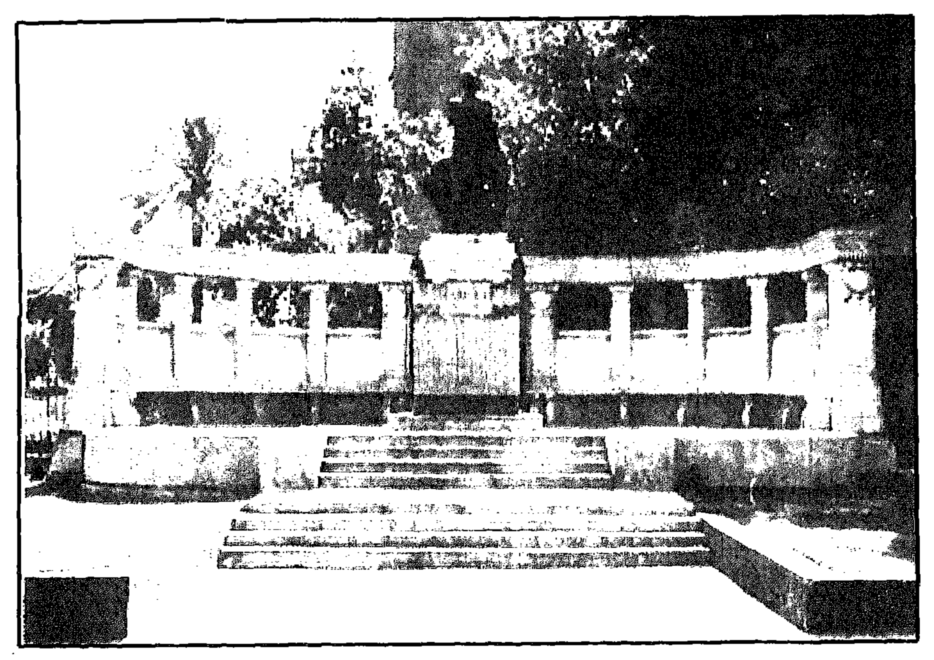
ثم نقلت هذه المجموعة الأثرية فيما بعد إلى مكان آخر بداخل قلعة صلاح الدين .

ومن أغرب القصص التى تروى فى هذا الشأن ، ماحدث أثناء زيارة الأرشيدوق النمساوى « مكسميليان » لمصر فى سنة ١٨٥٥ ، فقد قام حاكم مصر – عباس باشا – باهداء هذه المجموعة كلها إلى الأرشيدوق الذى أبدى رغبته فى الحصول عليها .

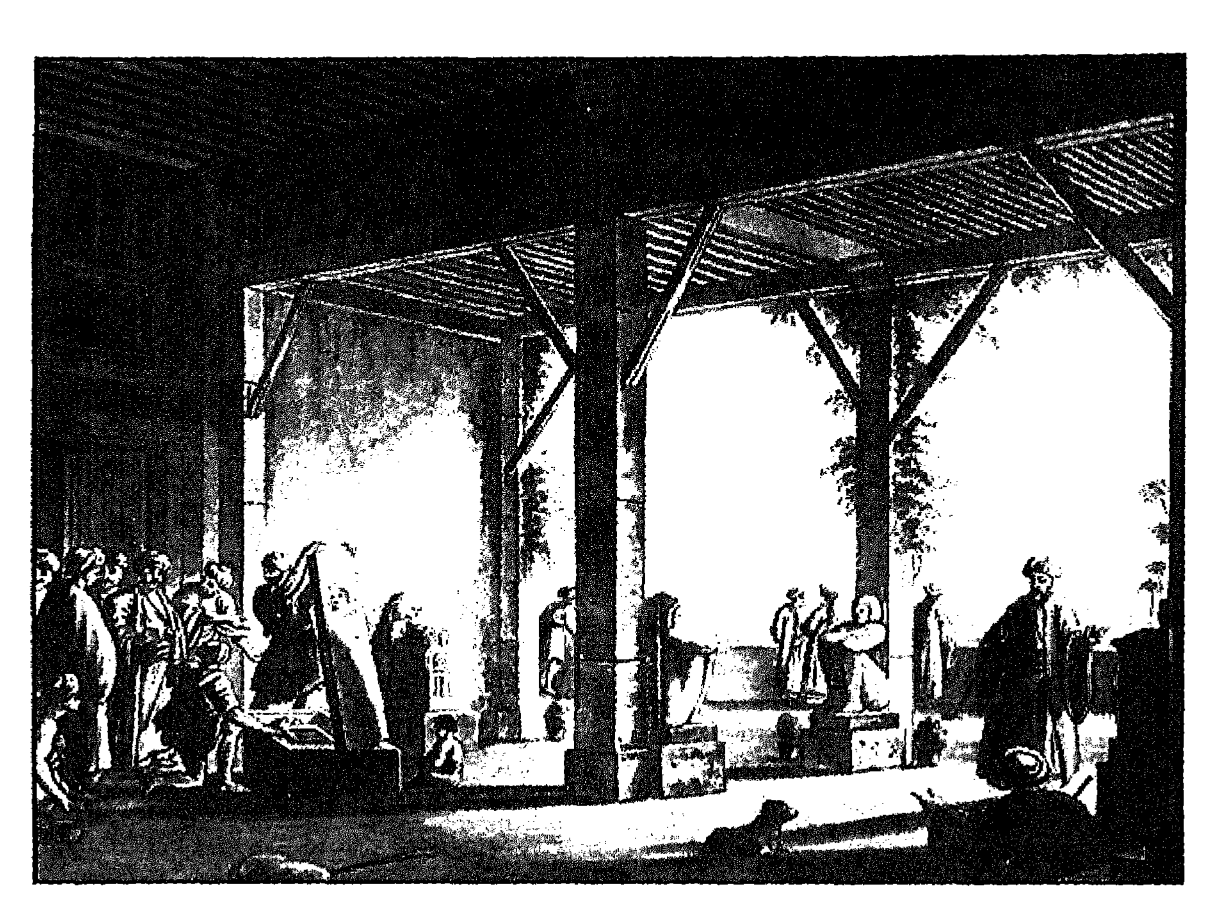
وفى سنة ١٨٥٠ جاء إلى مصر « أوجست فرديناند فرنسوا مارييت باشا » [ولد عام



أوجست ماريت باشا

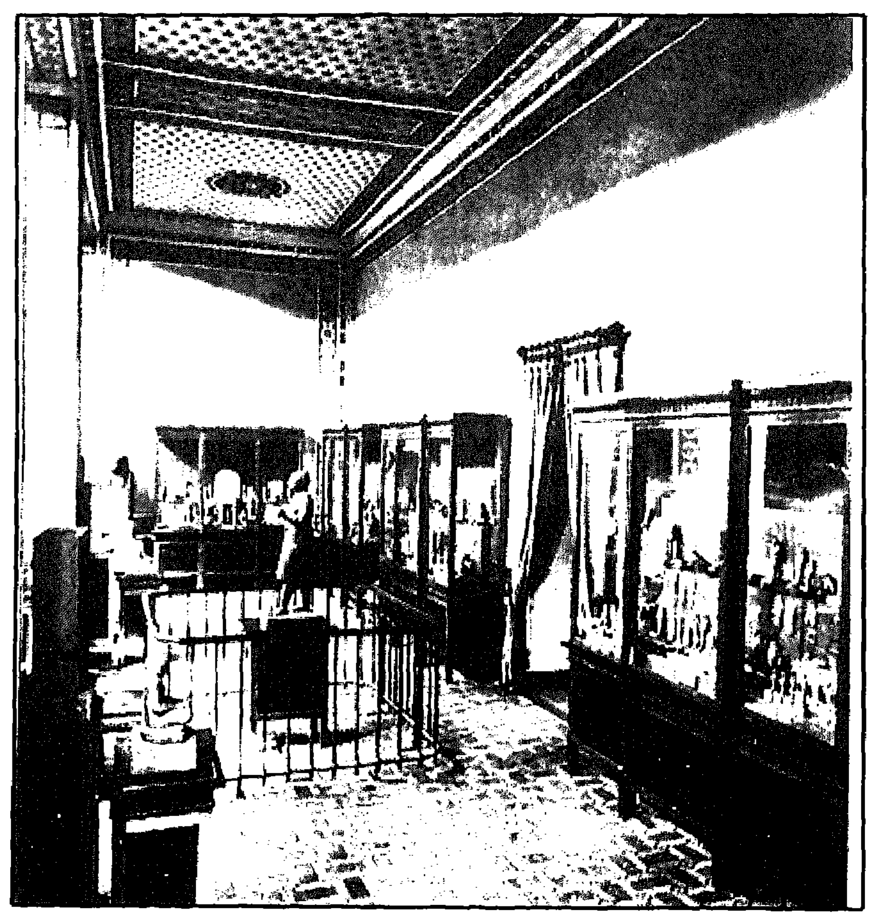


مقبرة ماريت فى حديقة المتحف المصرى حالياً

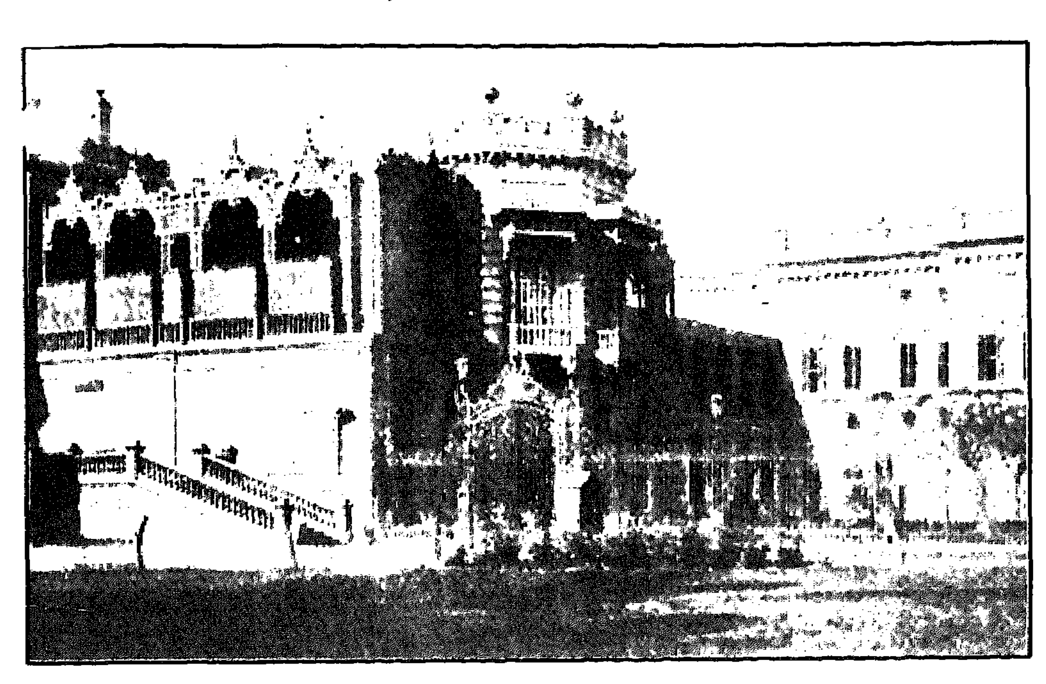


متحف بولاق فى لوحة من رسم لويجى ماير ضمن كتاب « مناظر من مصر « VIWS IN EGYPT





منظر داخلى لما كانت عليه طريقة عرض التحف بمتحف بولاق



صورة فوتوجرافية قديمة لقصر اسماعيل باشا بالجيزة الذى حوله ماريت إلى متحف مؤقت نقل إليه القطع الأثرية التى كانت معروضة فى متحف بولاق .

١٨٢١ ومات عام ١٨٨١] . . وقام بحفائر أثرية كثيرة فى أبيدوس [العرابة المدفونة / محافظة سوهاج] وفى طيبة (الأقصر) وفى سقارة ، حيث اكتشف فيها مقبرة السيرابيوم . . وكان « ماريت » عاشقاً للآثار المصرية ويعرف قيمتها بالنسبة للمصريين أنفسهم وبالنسبة للدولة المصرية . . وكان أول من نبه أذهان الرسميين إلى ضرورة المحافظة على تلك الكنوز الأثرية العظيمة وعدم التفريط فيها بأى شكل من أشكال التفريط التى كانت شائعة آنذاك ، سواء بالاهداء المباشر أو بالبيع أو بالتغاضى عن عمليات السرقة والتهريب إلى خارج البلاد .

وفى عام ١٨٥٨ تمكن ماريت من إنشاء متحف صغير فى أحد المبانى ببولاق ، جمع فيه قطعاً كثيرة من الآثار المصرية القديمة . غير أن ماريت لم يكن راضياً عن هذا المتحف بسبب ضيق المبنى من ناحية وعدم صلاحيته للعرض المتحفى من ناحية أخرى . كذلك فقد حدث أن غمرت مياه فيضان النيل سنة ١٨٧٨ أجزاء كبيرة من المبنى وأثرت على محتوياته ، بالإضافة إلى ماتعرضت إليه قطع كثيرة من التلف والسرقة .

لذلك فقد عمل ماريت على نقل ماتبقى من القطع الأثرية بمتحف بولاق إلى قصر اسماعيل باشا بالجيزة ، وقام بتخزنيها هناك تخزينا مؤقتا لحين الانتهاء من إقامة مبنى المتحف الحالى فى موقعه الذى مازال فيه حتى اليوم .

● كنوز المتحف المصرى بالقاهرة :

وضع المهندس المعمارى الفرنسى « مارسيل دورنيون » تصميم هذا المتحف على الطراز « الكلاسيكى الحديث » NEO CLASSICAL على أساس أنه طراز أكثر ملاءمة لعرض التحف الأثرية القديمة . وقد تم افتتاح المتحف سنة ١٩٠٢ .

ويتألف مبنى المتحف من طابقين رئيسيين تعرض فيهما أكثر من (١٢٠) ألف قطعة أثرية . . بالإضافة إلى مخازن تتجمع بها عشرات الآلاف من القطع الأثرية الأخرى ، ومجموعة من المعامل للصيانة والتصوير والمكتبة .

وحتى نتعرف على مشتملات المتحف ، فقد يكون من الأفضل أن نشير إلى أهم



مبنى المتحف المصرى من الخارج



القاعة الرئيسية الكبرى بالمتحف المصرى

المجموعات الأثرية المعروضة فى الحجرات والقاعات والأقسام الموجودة فى كل طابق من الطابقين الرئيسيين :

١ - مجموعة الحلى والمجوهرات الخاصة بالملكة « آح حوتب » زوجة الملك « سقنن رع » وأم الملك « كاموسى » والملك « أحمس الأول » قائد جيش التحرير الذى طرد الهكسوس من مصر والذى أسس الأسرة الثامنة عشرة التى تعتبر أشهر أسرة ملكية فى تاريخ العالم القديم بأسره . وقد تم اكتشاف مقبرة الملكة « آح حوتب » فى طيبة عام ١٨٥٩ م .

٢ - مجموعة المومياوات والتوابيت الخاصة ببعض الملوك الذين ينتمون إلى الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين . وهى مجموعة المومياوات التى عرفت باسم «خبيئة الدير البحرى » التى جمعها كهنة الأسرة الحادية والعشرين وخبأوها فى مقبرة الملكة « إن حابى » [رقم ٣٢٠ بطيبة الغربية] وقد عثر على هذه الخبيئة فى الفترة مابين عامى ١٨٧٥ - ١٨٨١ م . وتتألف هذه المجموعة من مومياوات الملك « سقنن رع » والملك « أحمس الأول » والملك «تحوتمس الأول » والملك « تحوتمس الثانى » والملك «تحوتمس الثالث » والملك « سيتى الأول » والملك « رمسيس الثانى » والملك « رمسيس الثالث » .

٣ - الأثاث الجنائزى الذى عثر عليه بمقبرة « سن جيم » وعائلته فى سنة ١٨٨٦ [المقبرة رقم ١ من مقابر النبلاء بمنطقة « دير المدينة » بغرب الأقصر] . ومن المعروف أن بعض القطع الأثرية من هذه المقبرة قد هربت إلى خارج مصر ، وهى معروضة الآن فى متحف متروبوليتان بنيويورك ومتحف برلين .

٤ - مجموعة المومياوات والتوابيت الخاصة بكهنة آمون فى الأسرتين ٢١ ، ٢٢ . وقد عثر عليها بمنطقة « الدير البحرى » بغرب الأقصر سنة ١٨٩١ . وكان عددها ١٥٣ قطعة أثرية ، وقد قامت الحكومة المصرية فى عصورسابقة باهداء أوبيع بعض هذه القطع فى الخارج .

٥ - الأدوات والقطع الأثرية التى عثر عليها بمقابر ملوك وأعضاء العائلات المالكة

فى عصر الدولة الوسطى ، وقد عثر على تلك الآثار سنة ١٨٩٤ م . وهى تخص الملوك والأميرات والأمراء « حور » و « نوب - حتب تى - خرد » و« خنوميت » و « ست حتحور » و« إيتا » و « مريت » و« ست حتحور يونيت » .

٦ - الأدوات والقطع الأثرية التى عثر عليها بمقبرة الأمير « ماحربرى » [من الأسرة الثامنة عشرة] . وقد اكتشفت سنة ١٨٩٨ بوادى الملوك بغرب الأقصر .

٧ - مجموعة الأدوات والقطع الأثرية والمومياوات الملكية التى عثر عليها بوادى الملوك سنة ١٨٩٨ مدفونة كلها فى مقبرة واحدة هى مقبرة الملك « أمنحوتب الثانى » . وقد أعيد دفن هؤلاء الملوك فى تلك المقبرة بعد أن تعرضت مقابرهم الأصلية للسرقة والنهب فى العصور القديمة . وتخص هذه المومياوات الملوك « أمنحوتب الثانى » و« تحوتمس الرابع » و« أمنحوتب الثالث » و « مرنبتاح » و « سيتى الثانى » و« سبتاح » و« رمسيس الرابع » و « رمسيس الخامس » و « رمسيس السادس » ومومياوات لثلاث نساء وطفل .

٨ - الأثاث الجنائزى الذى عثر عليه بمقبرة « يويا » و« تويا » [جد وجدة أخناتون لأمه] . وكذا بقايا مجموعة الأدوات والقطع الأثرية التى عثر عليها بالمقابر الملكية الخاصة بكل من « تحوتمس الثالث » و« تحوتمس الرابع » و « أمنحوتب الثالث » و« حور محب » . . وقد عثر على تلك المجموعات سنة ١٩٠٦ وماقبلها .

٩ - مجموعة الكنوز والأدوات والقطع الأثرية التى عثر عليها بمقبرة الملك « توت عنخ آمون » التى اكتشفت بوادى الملوك بغرب الأقصر سنة ١٩٢٢ . وقد عثر على أكثر من ٣٥٠٠ قطعة أثرية ، وعدد القطع المعروضة لجمهور المتحف ١٧٠٠ قطعة فقط ، أما بقية القطع فمحفوظة بمخازن الآثار فى كل من القاهرة والأقصر .

١٠ - الأثاث الجنائزى والقطع الأثرية التى عثر عليها بمقبرة الملكة « حتب حرس » [أم الملك خوفو صاحب الهرم الأكبر بالجيزة] . وقد اكتشفت المقبرة سنة ١٩٢٥ قرب الجهة الشرقية للهرم الأكبر .

١١ - مجموعة الأدوات والقطع الأثرية التى يرجع تاريخها إلى عصر « العمارنة »

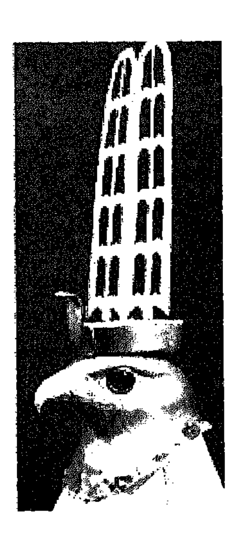
والخاصة بالملك « أخناتون » وزوجته الملكة « نفرتيتى » وأعضاء العائلة المالكة ، وبعض النبلاء وكبار موظفى الدولة . وقد عثر على قطع تلك المجموعة تباعاً فى الحفائر الأثرية التى أجريت فى « تل العمارنة » و « الأشمونين » والأقصر ومنف ، وذلك فى الفترة مابين عامى ١٩١٢ - ١٩٣٣ .

١٢ - القطع الأثرية التى عثر عليها بمقبرة النبيل والموظف الأعلى « حماكا » الذى عمل فى خدمة الملك « أوديمو » فى عصر الأسرة الأولى . وقد اكتشفت تلك المقبرة بسقارة وتم العثور على تلك القطع تباعاً فى الفترة مابين عامى ١٩٣١ - ١٩٣٦ م .

١٣ - الأدوات والقطع الأثرية التى عليها سنة ١٩٣٩ م بمنطقة تانيس بشرق الدلتا بمقابر بعض الملوك والنبلاء من الأسرتين ٢١ ، ٢٢ .

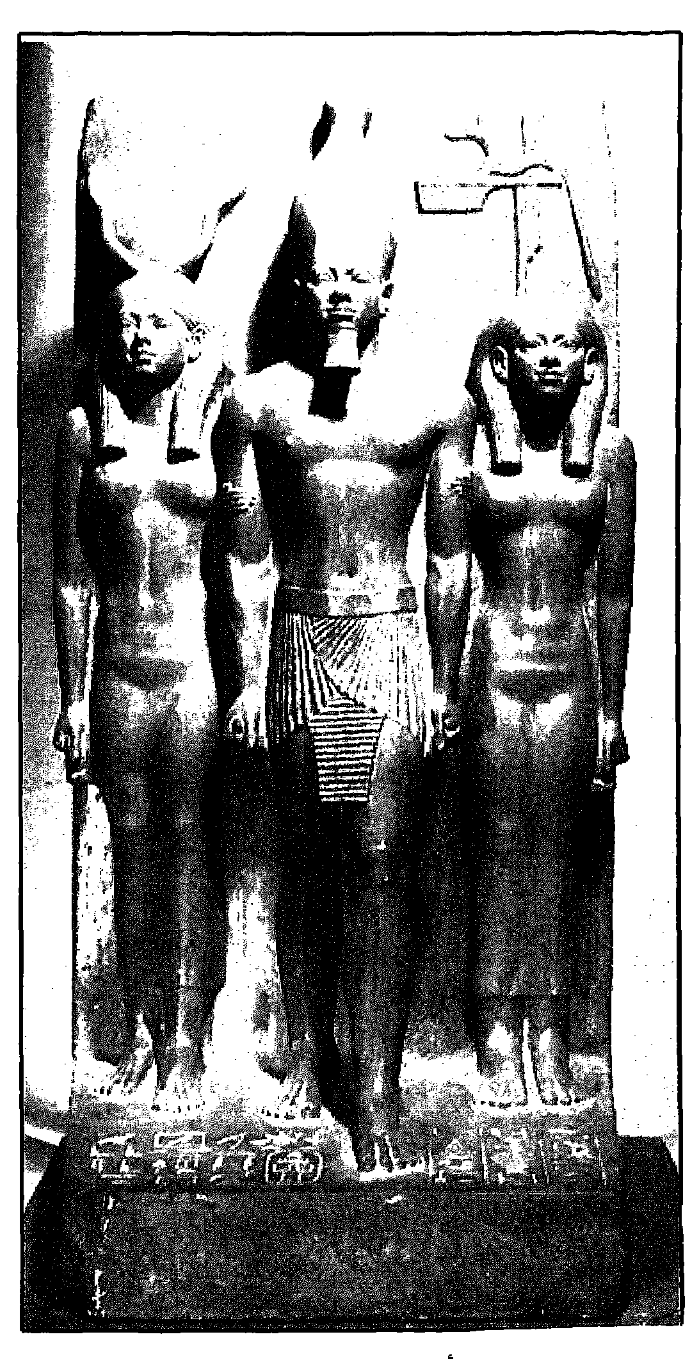
١٤ـ المجموعات والقطع الأثرية الكثيرة التى اكتشفت بمعرفة بعثات الآثار المصرية والأجنبية فى مناطق الجيزة وسقارة وحلوان وأبو بللو وأتريب وبوبسطة وهليوبوليس وأسوان والنوبة والصحراء الشرقية والصحراء الغربية وشبه جزيزة سيناء .

١٥ - القطع والمجموعات الأثرية التى كانت تحتفظ بها القصور الملكية المصرية ، والقطع الأثرية الأخرى التى أهديت إلى المتحف أو قام المتحف بشرائها .

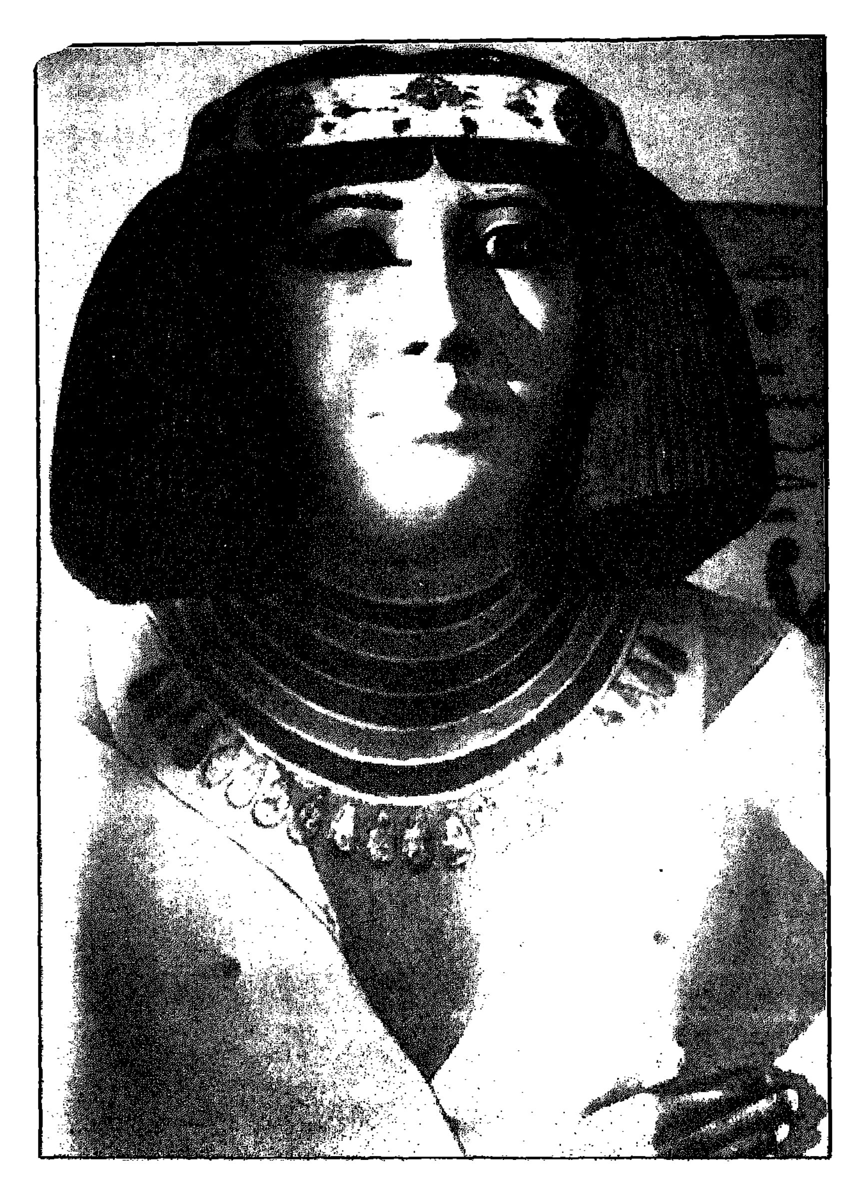




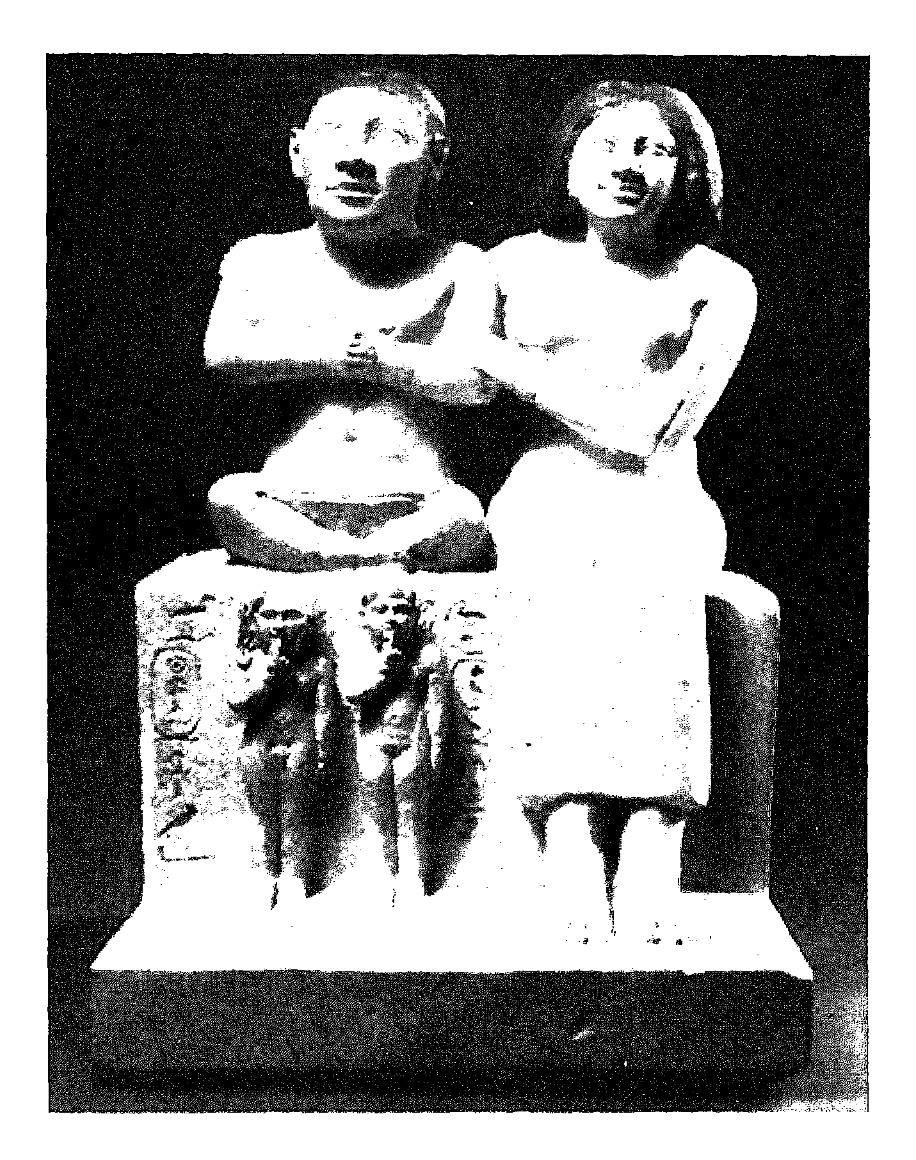
من معروضات المتحف هذا التمثال الرائع للملك «خفرع» [الأسرة الرابعة] وهو منحوت من حجر الديوريت الصلب وارتفاعه ١٦٨ سم .



تمثال ثلاثى للملك «منكاورع» [الأسرة الرابعة] واقفا فى حماية الإلهة حتحور و إله الوجه القبلى ، وارتفاعه ٩٣ سم – من معروضات المتحف المصرى



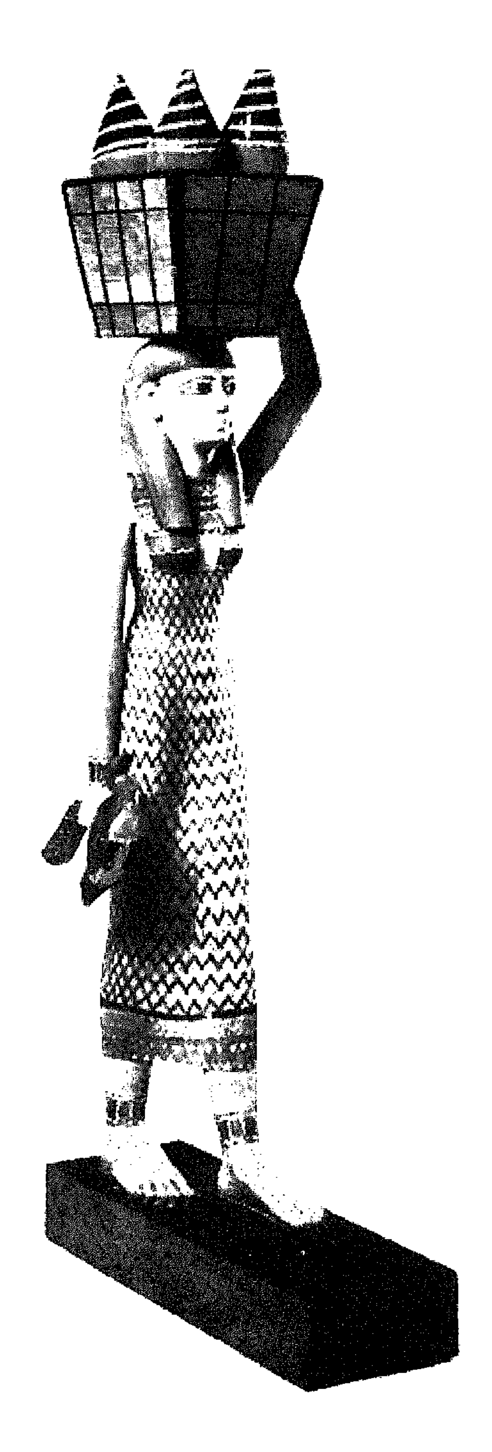
تفصيل من تمثال الأميرة «نفرت» الذى يرجع تاريخه إلى بداية عصر الأسرة الرابعة . . وهو من أهم التماثيل التى تجذب أنظار زوار المتحف المصرى إلى عذوبة جمال المرأة المصرية القديمة .



تكوين تشكيلى رائع لتمثال جماعى منحوت من الحجر الجيرى الملون ارتفاعه ٣٤ سم وعرضه ٢٢,٥ سم وسمكه ٢٥ سم . ويرجع تاريخه إلى أواخر عصر الأسرة الرابعة وبداية عصر الأسرة الخامسة [حوالى عام ٢٤٧٥ ق م] وقد عثر عليه عالم الآثار « يونكر » عام ١٩٢٧ م فى منطقة الجيزة . والتمثال للقزم « سنب » وزوجته وأولاده . وكان « سنب » يشغل وظيفة عليا بالقصر الملكى وهى الإشراف على خزائن الملابس الملكية كما كان يشغل وظيفة كاهن بالمعبدين الجنائزيين للملك خوفو والملك جددف رع . وكانت زوجته عضوا بالبلاط الملكى وتحمل لقب كاهنة الإلهة حتحور والإلهة نيت



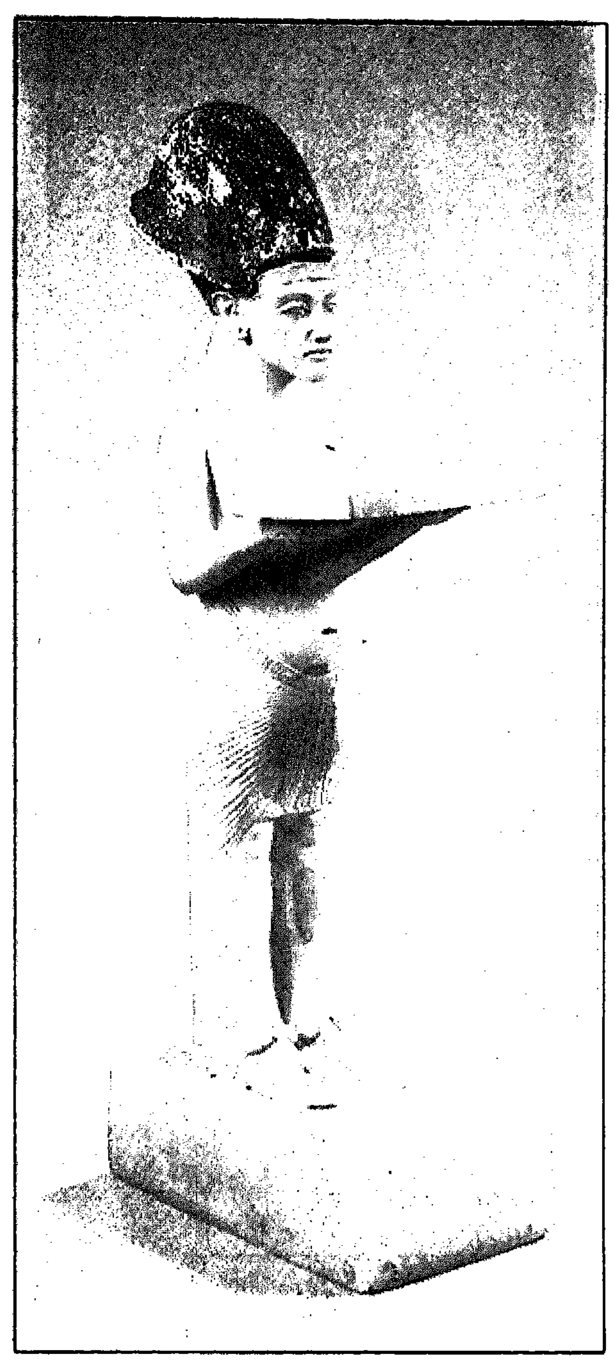
تمثال كبير الكهنة المرتلين « كاعبر » المعروف الآن باسم « شيخ البلد » . وهو منحوت فى كتلة واحدة من خشب الجميز وارتفاعه ١١٢ سم ، ويرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الخامسة وربما فى عهد الملك «أوسركاف » [٢٤٧٥ ـ ٢٤٦٧ ق م] . . وقد عثر عليه عالم الآثار ماربيت عام ١٨٦٠ بإحدى مصاطب سقارة . واسم « شيخ البلد » أطلقه عليه عمال الحفر الذين كانوا يعملون مع ماربيت ، وذلك لشدة الشبه بين ملامح صاحب التمثال وملامح شيخ البلد فى المنطقة



تمثال « حاملة القرابين » . منحوت من الخشب الملون . ارتفاعه ١٢٣ سم وعرضه ١٧ سم . وهو يعتبر من أجمل التماثيل الخشبية التى عثر عليها ضمن ٢٥ نموذجاً من هذه التماثيل التى كانت مدفونة بمقبرة « مكت رع » بطيبة ، والتى عثرت عليها بعثة متحف المتروبوليتان عام ١٩٢٠م . وتتضمن هذه المجموعة الفريدة تماثيل خشبية تمثل تماثيل لنماذج من العمال والحرفيين كالصيادين والنساجين والنجارين وموظفى التعداد والاحصاء . ولا غرابة فى ذلك لأن « مكت رع » صاحب تلك المقبرة كان يشغل وظيفة مستشار التعداد والاحصاء فى عصر الأسرة الحادية عشرة [حوالى عام ٢٠٠٠ ق م]



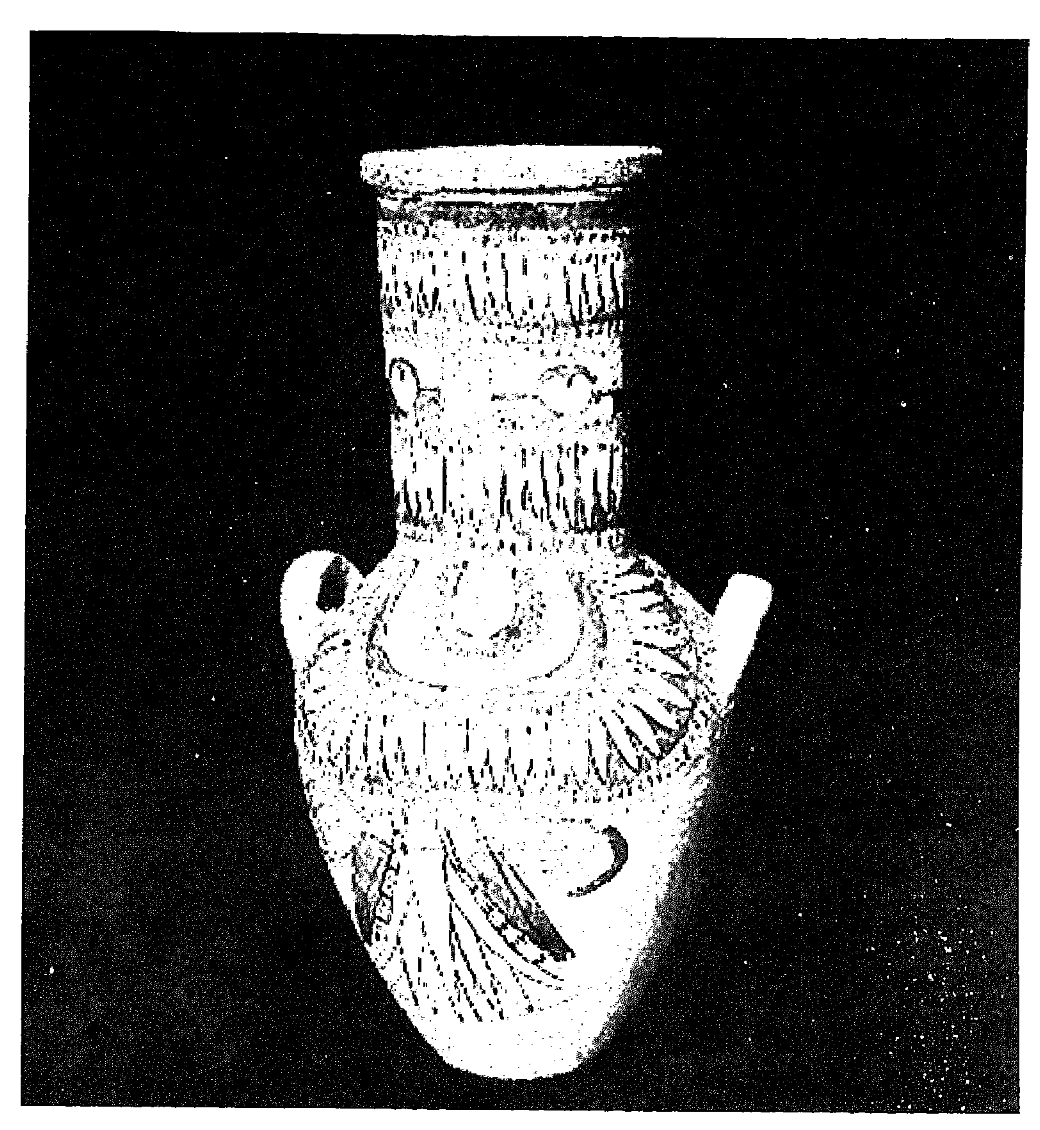
انتشرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة صناعة تماثيل صغيرة من الخشب الملون أو المكسو بصفائح الذهب لسيدات جميلات من الطبقة الارستقراطية الراقية ، للتعبير عن الفخامة والعظمة التى كانت تنعم بها سيدات هذه الطبقة . وتنتشر هذه التماثيل الآن فى معظم المتاحف العالمية . وهذا التمثال من التحف المعروضة بالمتحف المصرى بالقاهرة ، وهو لسيدة اسمها « حنوت ناختو » عاشت فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة [حوالى عام ١٣٠٠ ق م] .



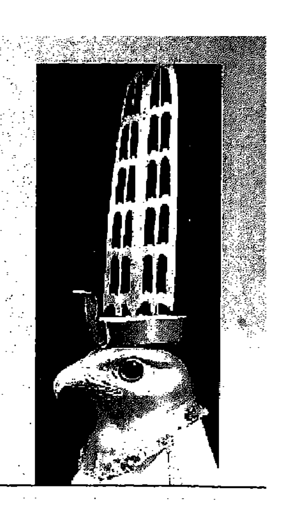
تمثال صغير من الحجر الجيرى الملون يبلغ طوله ٣٥ سم يمثل « اخناتون » أول الموحدين وقائد أول ثورة فى الأدب والفن فى مصر القديمة . وقد اكتشف هذا التمثال عام ١٩١٩ ببقايا أحد البيوت المهدمة بمدينة « آخت أتون » [مدينة تل العمارنة حاليا بمحافظة المنيا]



آنيتان رائعتان من الزجاج المتعدد الألوان . يرجع تاريخهما إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة . وقد بلغت صناعة الزجاج والخزف الملون فى هذا العصر أعلى تطور فى الدقة وجمال التشكيل



آنية من الفخار وعليها زخارف ملونة بالأحمر والأخضر [illegible] والأخضر يبلغ ارتفاعها ٣٢,٢ سم ويرجع تاريخها إلى عصر الرعامسة . وقد عثر عليها عالم الآثار ماسبيرو أثناء اكتشافه لمقبرة "سنجم" بمنطقة دير المدينة عام ١٨٨٦م



الأسـرة الثـامـنـة عشـرة أشـهـر أسـرة مـلـكـيـة فـى تاريـخ العـالـم القـديـم

من ذا الذى يعيش فى عالم اليوم دون أن يكون قد سمع عن « توت عنخ آمون » ؟ . . ومن ذا الذى لايعرف « أخناتون » أول ملك ينادى بأن الله واحد لا شريك له خالق كل شىء ، أو لا يعرف زوجته جميلة الجميلات الملكة «نفرتيتى » . . أو لا يعرف شيئا ولو يسيراً عن الملكة « حتشبسوت » التى حكمت كأعظم الرجال المتمكنين وداعية السلام ورائدة المبادلات التجارية التى تحملها الأساطيل البحرية إلى أبعد شعوب الأرض . . ؟ !

إن من يدرسون « تاريخ الحروب » يعرفون تماماً أن « تحوتمس الثالث » هو أول وأعظم عبقرية عسكرية فى تاريخ العالم القديم . . ويعرفون أنه أول من ابتدع فكرة « مجلس أركان الحرب » وفكرة تقسيم الجيش المحارب إلى قلب وجناحين ، وأول من ابتدع مبادىء الاستراتيجية والتكتيك . . ويعرفون أيضا أن « أحمس الأول » هو أول أبطال حروب التحرير منذ بدأت هذه الحروب على وجه الأرض .

وقد يكون من العسير أن نقدم دراسة تفصيلية للتاريخ العظيم الذى سجله ملوك وملكات هذه الأسرة فى هذه المساحة الضيقة . . ولذلك فليس أمامنا سوى الإيجاز والتركيز فى استعراض المعالم العامة لتاريخ كل ملك من هؤلاء الملوك . .

ولنبدأ أولاً بالاشارة إلى السبب الذى أدى إلى نشوء وقيام تلك الأسرة الملكية الشهيرة فى نحو عام ١٥٥١ قبل الميلاد واستمرت زهاءقرنين ونصف قرن من الزمان ، حتى قيام الأسرة التاسعة عشرة سنة ١٣٠٥ ق م .

● حكاية الهكسوس :

فى القرن الثامن عشرقبل الميلاد . . كانت مصر تنعم بالخيرات الوفيرة التى وفرتها

الاصلاحات المستمرة فى النظم الاقتصادية والزراعية والصناعية التى بدأت منذ نشوء الدولة . .

هذه الخيرات الوفيرة والحياة الرغدة ، أصبحت مطمعاً للبدو الرعاة الذين كانوا يعيشون فى الصحارى والسهول الآسيوية بشرق البلاد . . ولهذا فقد ازدادت أعداد الوافدين والمتسللين من هؤلاء الرعاة . . ثم جاءت بعدهم جحافل وقبائل متعددة فرضت وجودها بالقوة العسكرية . . هؤلاء هم « الهكسوس » أو « الملوك الرعاة » أو «الرؤساء الأجانب » طبقا للترجمة الحرفية لكلمة هكسوس . واستقر هؤلاء الهكسوس فى مصر بأعداد كبيرة ، واستطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم على الدلتا ثم على الوجه القبلى فيما بعد ، وعينوا رئيسهم ملكا على عرش مصر .

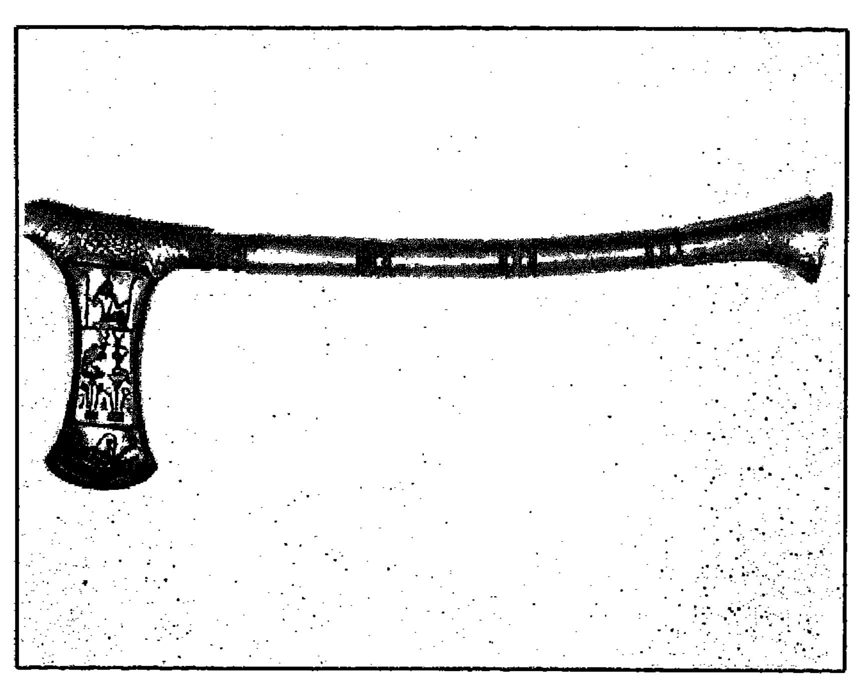
ومارس هؤلاء البرابرة الأجلاف الحاقدون على الحضارة المصرية ، كل ألوان الذل والهوان ضد المصريين بطبقاتهم المختلفة ، وعاملوهم بقسوة ، وأعملوا فيهم القتل والتعذيب . . ثم أخذوا يدمرون ويخربون المعابد والتماثيل والمسلات وجميع الآثار الأخرى التى كانت تذكر المصريين بأمجاد وعظمة ملوكهم السابقين .

وكان لابد من طرد هؤلاء المستعمرين . . وبذلت محاولات سقط فيها شهداء كثيرون على رأسهم بعض الملوك المصريين الذين اشتركوا فى معارك الحرب ضد الهكسوس اشتراكا فعليا . . إلى أن تم القضاء عليهم نهائيا وطردهم إلى خارج البلاد . .

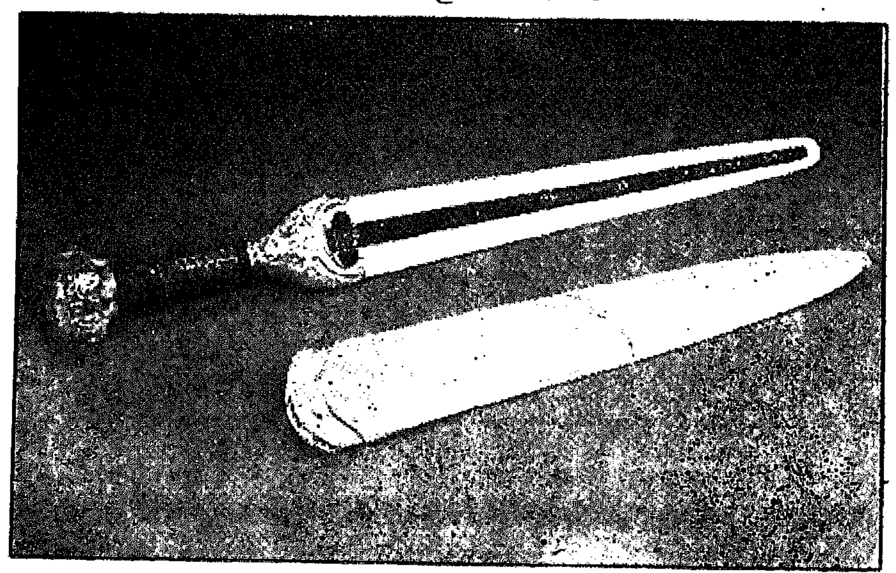
● أحمس : أول أبطال التحرير فى العالم :

كان تعداد جيش التحرير المصرى تحت قيادة هذا البطل يبلغ نحو ٤٨٠ ألف محارب من الضباط والجنود الفرسان والمشاة . . وكان هذا الجيش يشع حماساً ووطنية ويحارب بروح عالية ، إلى أن حقق النصر فى النهاية على المستعمرين الهكسوس ، الذين فروا وتشتتوا فى الصحارى التى قدموا منها من قبل .

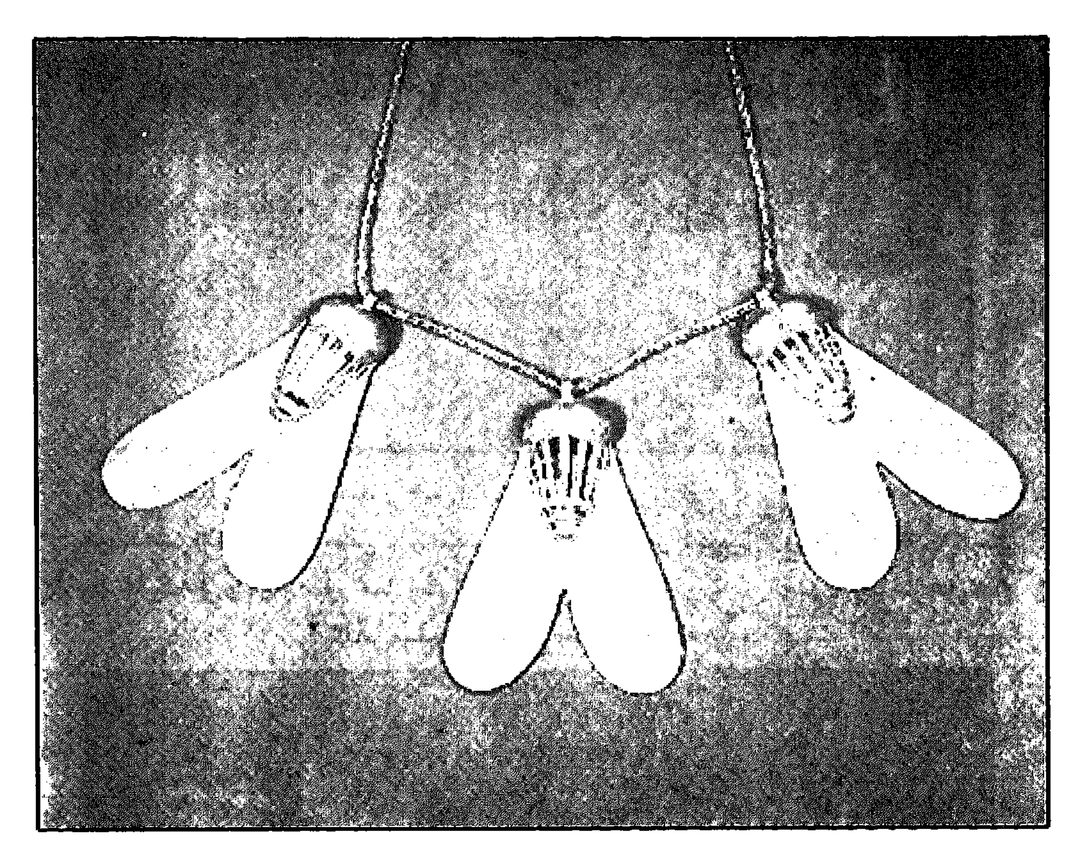
وطاردهم أحمس حتى شمال الصحراء الآسيوية . . ثم توجه بجيشه جنوباً ،وأعاد بلاد النوبة الى الأراضى المصرية بعد أن كانت بعض المناطق النوبية قد أعلنت انفصالها عن مصر أثناء حكم الهكسوس .



الفأس الاحتفالى الرسمى للملك « أحمس الأول » وهو مصنوع من الذهب ، وسبيكة الإلكتروم المكونة من الذهب والفضة ، والنحاس ، والخشب ، ومزين بالأحجار الكريمة . ويبلغ طوله ٤٧,٥ سم وقد نقشت على واجهتيه صور تحمل اسم الملك وتمجد انتصاراته الحربية على العدو . وقد عثر على هذا الفأس بمقبرة الملكة « آح حتب » عام ١٨٥٩ م



الخنجر الاحتفالى الرسمى للملك « أحمس الأول » وقد صنع الخنجر وجرابه من الذهب ، وسبيكة الإلكتروم ، ومزين بالاحجار شبه الكريمة . ويبلغ طوله ٢٨,٥ سم . وقد عثر عليه بمقبرة والدته الملكة « آح حتب »



وسام الذبابة الذهبية ، وهو وسام عسكرى كان يمنح للقادة والضباط الذى أبلوا بلاءً حسناً فى المعارك الحربية ، وذلك تقديراً لشجاعتهم . وقد منح الملك « أحمس الأول » هذا الوسام لوالدته الملكة « آح حتب » تقديراً لدورها الشجاع فى إدارة الدولة اثناء حرب التحرير التى قام بها زوجها « سقنن رع » ضد الهكسوس [الذى استشهد فى المعركة] وتشجيعها لولديها الملك « كاموسى » والملك « أحمس الأول » الذى طرد الهكسوس نهائيا من مصر . ويبلغ طول سلسلة الوسام ٥٩ سم ، وطول كل ذبابة ٩ ,ـ سم ويبلغ الوزن الإجمالى للوسام ٢٤٩ جراما من الذهب . وقد عثر العمال التابعون لعالم الآثار ماريت على مقبرة الملكة بمنطقة دراع أبو النجا عام ١٨٥٩ م

كما تمكن أحمس من القضاء نهائياً على جميع الاقطاعيين وحكام الأقاليم الانتهازيين من المصريين الذين كانت تربطهم مصالح مشتركة مع المستعمرين الهكسوس . وهكذا وحد أحمس جميع الأراضى المصرية تحت حكم مركزى عاصمته « طيبة » [الأقصر] . . كما وسع حدود البلاد من ناحيتى الشمال والجنوب ، واستحق بذلك أن يصبح مؤسساً لأسرة ملكية « امبراطورية » جديدة . . هى الأسرة الثامنة عشرة .

● امنحوتب الأول : العادل :

ابن أحمس تولى العرش صغيراً واستمر لفترة تحت وصاية أمه الملكة « نفرتارى » التى ساندت زوجها أثناء حرب التحرير ، وكانت ذات شخصية قوية وعلى دراية عظيمة بأساليب الادارة والحكم مثلها فى ذلك مثل معظم ملكات هذه الأسرة .

وهو الذى بدأ تأسيس الامبرطورية المصرية بفرض سلطة الحكم المصرى على أقاليم ماوراء الحدود فى المناطق الآسيوية والليبية والنوبية .

كما أصدر قانوناً أو دستوراً لحكم العلاقة بين العمال والدولة باعتبارها صاحبة عمل ، فوضع المعايير العادلة للأجور والحوافز ومكافأة المجتهدين ، وضرورة حسن معاملة العمال ومنع السخرة واعتبارها جريمة .

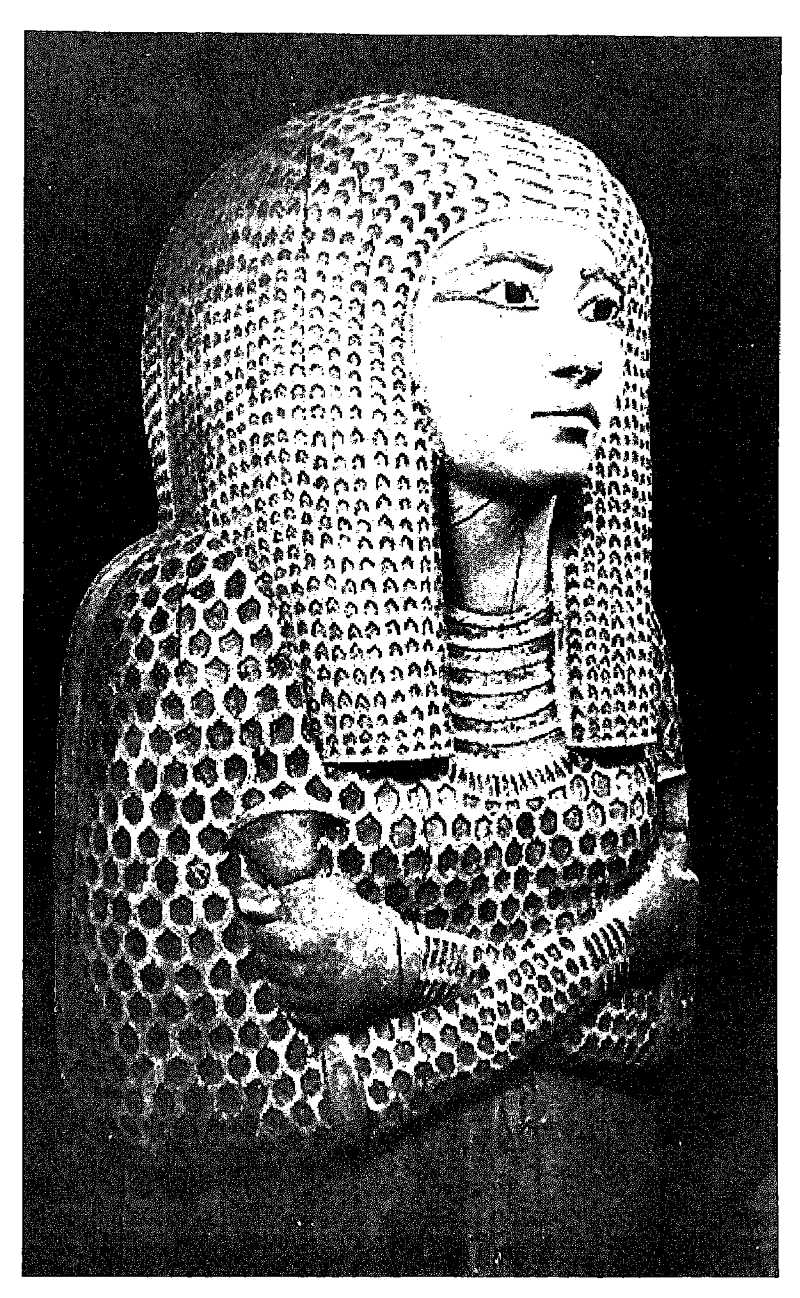
● تحوتمس الأول : المحارب ناشر الحضارة :

فرض الحكم المصرى جنوباً حتى الجندل الثالث ،وفتح الكثير من المناجم لاستخراج الذهب والحديد والنحاس والمعادن الأخرى . .وقام بعدة حملات عسكرية فى فلسطين وسوريا ولبنان ووصل فى زحفه إلى نهر الفرات .

وفى عهده انتشر التعليم بمختلف مستوياته ، وارتقت طبقات كثيرة من الشعب ، وازداد عدد المثقفين ، وبدأ صراع خفى بين المنادين بفكرة « الحرب » لنشر الحضارة المصرية فى البلاد الأجنبية ، والمنادين بفكرة « السلام » القائم على التجارة وحسن الجوار كطريق لتحقيق نفس الهدف .

● تحوتمس الثانى : المتأنق

كان ضعيف الشخصية مهتما بذاته والتمتع بثرائه . . وقد بالغ فى تأنقه لدرجة انه



التابوت الخارجى الضخم الذى كان بداخله التابوت الذى يضم مومياء الملكة « أحمس ميريت آمون » زوجة الملك « أمنحتب الأول » . ويبلغ طول التابوت ٣١٣ سم وعرضه ٨٧ سم . وكان فى الأصل مكسوا بصفائح الذهب ومزينا بالأحجار الكريمة . إلا أن مقبرة الملكة تعرضت للسرقة فى العصور القديمة ، وقام كهنة الأسرة الحادية والعشرين بنقل بقايا التابوت إلى خبيئة الدير البحرى بغرب طيبة وذلك بعد أن نهب اللصوص محتويات المقبرة ونزعوا من التابوت صفائح الذهب والمجوهرات .

كان يطلى أظافر قدميه بالألوان « بيديكير » . . ولذلك فقد سيطرت عليه زوجته الملكة « حتشبسوت » وسيطرت بالتالى على توجيه دفة الحكم فى مصر والبلاد التابعة لها .

● حتشبسوت : سيدة النساء الشريفات :

كان هذا معنى اسمها باللغة المصرية القديمة . . استمر حكمها نحو عشرين عاماً، وانتصر فى عهدها ألتيار الذى كان يمثله حزب الكهنة والمثقفين فى المنافسة التى كانت بينه وبين حزب المؤسسة العسكرية المصرية . وعلى هذا فقد ساد السلام ربوع البلاد ، وخرجت القوافل والأساطيل البحرية التجارية المصرية ، تحمل المنتجات والمصنوعات المصرية إلى البلاد الأجنبية فى أقصى الشمال وأقصى الجنوب ، لتبادلها بمنتجات تلك البلاد .

وشيدت « حتشبسوت » واحداً من أعظم وأفخم الآثار المعمارية التى خلفتها الأسرة الثامنة عشرة ، وهو « معبد الدير البحرى » على الشاطىء الغربى للنيل فى مواجهة الأقصر وهو معبد فريد فى بابه وليس له مثيل فى معابد العالم القديم كله .

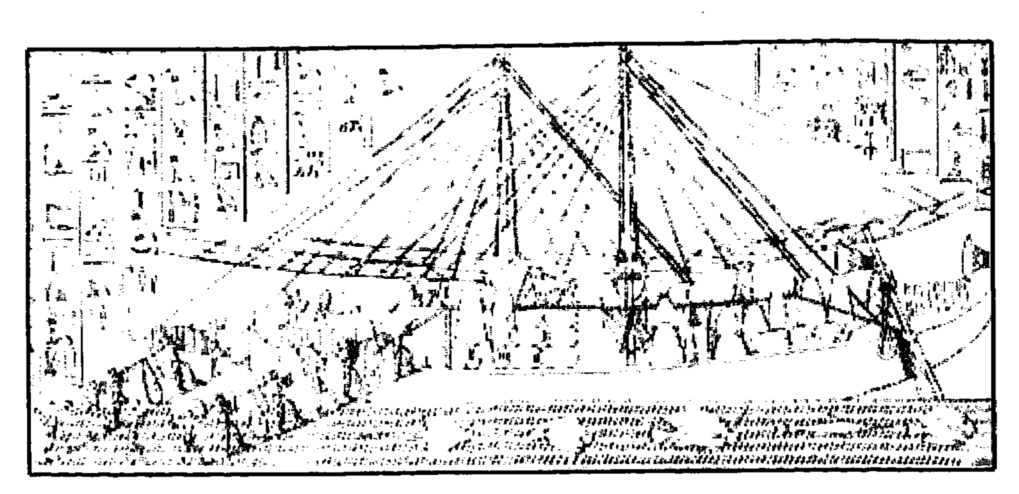
وعلى جدران هذا المعبد العظيم الذى مازال محل إعجاب كل من يشاهده ويرتاد أبهاءه حتى الآن ،دونت الملكة تقريراً تفصليا مدعما بالصور الوصفية لتلك الحملة البحرية التجارية الشهيرة التى أبحرت فيها الأساطيل المصرية إلى بلاد بونت [الصومال أو اليمن أو هما معاً] .

وكانت هذه الحملة مجهزة بمجموعة من الفنانين الرسامين الذين قاموا بدور «الصحفيين » الذين كتبوا وصوروا أدق « ريبورتاج » علمى مصور فى وصف بلاد بونت، سواء من الناحية الطبيعية أو البيئية ، أو من ناحية جغرافيتها البشرية والأجناس المختلفة التى تسكنها ، وتقاليد وعادات الأهالى الذين يعيشون هناك . . هذا بالاضافة إلى دراسة علمية ممتعة لمختلف أنواع الأسماك والأحياء المائية فى البحر الأحمر .

وقد تضمن هذا التقرير الوصفى التفصيلى عرضاً لأنواع الواردات التى عادت بها السفن المصرية من بلاد بونت ، مثل العاج والأبنوس وأنواع الأخشاب الثمينة الأخرى،



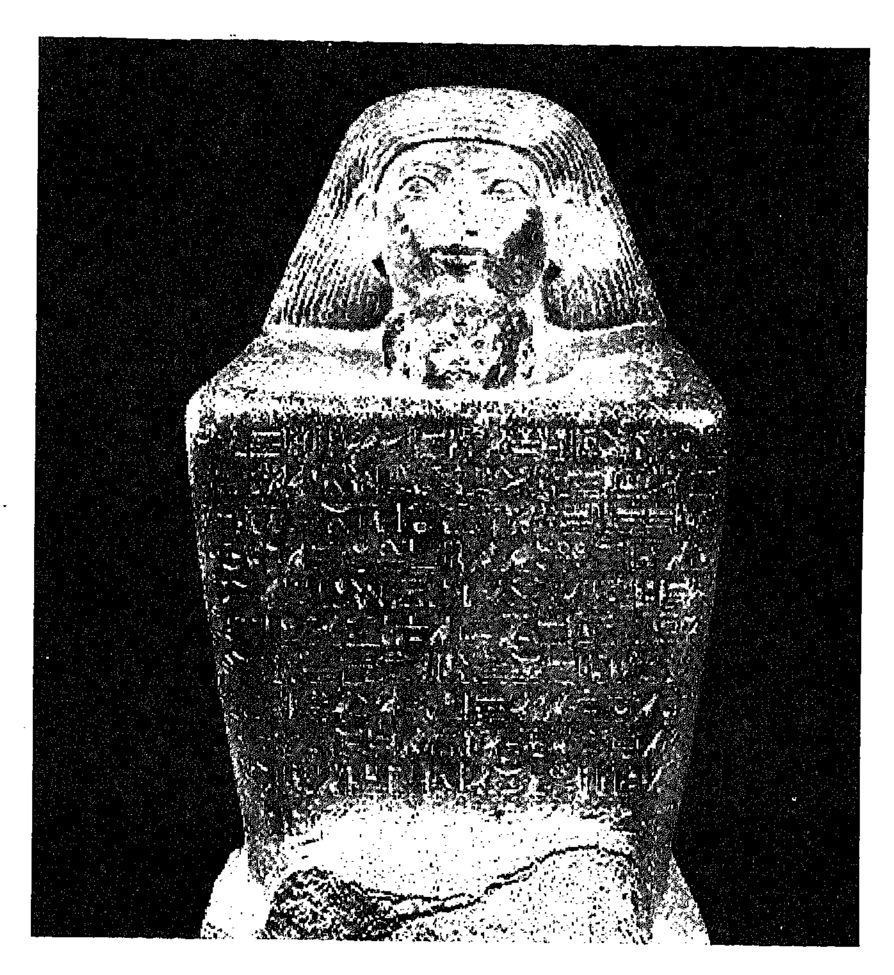
تمثال للملكة حتشبسوت فى الهيئة الكاملة للفراعنة الرجال



منظر من معبد الدير البحر يصور سفينتين مصريتين أثناء شحنهما بمنتجات بلاد بونت



نقش تقليدى يصور الوفود القادمة من البلاد الآسيوية وهى تقدم الهدايا وفروض الولاء والطاعة لفراعنة الأسرة الثامنة عشرة



تمثال من الجرانيت الرمادى لرجل الدولة المهندس سننموت محتضنا الأميرة الطفلة « نفرو رع » ابنة الملكة « حتشبسوت » ويبلغ ارتفاع التمثال ١٣٠ سم واكتشفه عالم الآثار « لوجرين » باحدى ساحات الكرنك عام ١٩٠٤ م . والمهندس « سننموت » كان يشغل أعلى مناصب الدولة فى عهد «حتشبسوت» وهو الذى وضع التصميم الهندسى والمعمارى الفريد لمعبد الدير البحرى ، كما أشرف على تصميم وتنفيذ جميع منشآت الملكة بمعابد الكرنك



صورة كاريكاتيرية لملك بلاد بونت « بارحو » وزوجته الملكة « آتى » . والصورة كانت ضمن النقوش الجدارية بمعبد الدير البحرى التى تصور لنا جميع مراحل الرحلة البحرية التى أرسلتها الملكة حتشبسوت حوالى عام ١٤٨٢ ق م إلى بلاد بونت لمبادلة المنتجات المصرية بمنتجات بلاد بونت من الذهب والفضة والمر والبخور . ويبلغ طول الصورة ٤٩,٣ سم وعرضها ٤٥ سم . وبالرغم من الروح الكاريكاتيرية التى عبر بها الفنان المصرى عن ملكة بونت إلا أنه لم يغفل الجانب الواقعى حيث يظهر بوضوح أن الملكة كانت مصابة بداء الفيل

وجلود الفهود وسبائك الذهب والفضة ، وأحمال من البخور والعطور والتوابل والقرفة والأعشاب الطبية ،و شتلات أشجار البخور التى نقلت بجذورها . . وكذلك «التوتيا» المستعملة فى صناعة كحل العيون ، فضلا عن مجموعة كبيرة من الحيوانات الحية تشمل الزراف والكلاب والنسانيس .

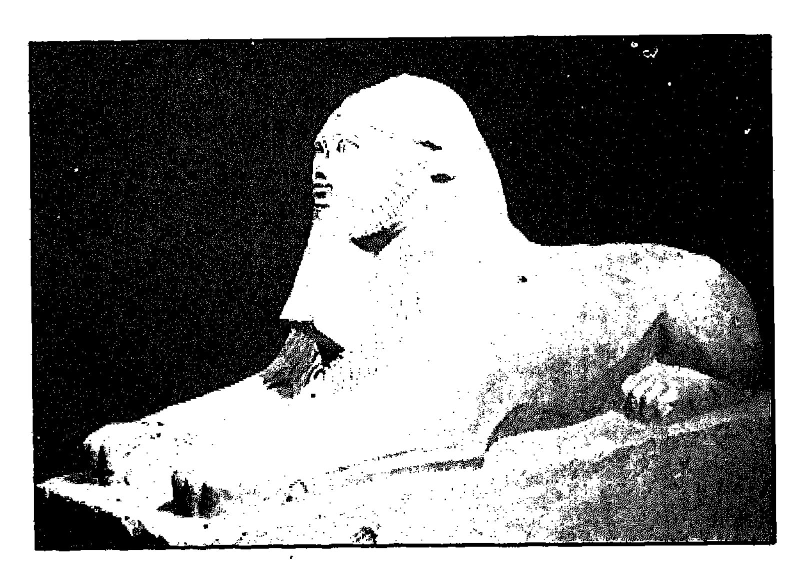
● تحوتمس الثالث : الامبراطور وأول فاتح عظيم فى تاريخ العالم :

بعد ٧٥ يوماً فقط من توليه عرش مصر بدأ فى الزحف بسلسلة من الحملات العسكرية المجهزة أحسن تجهيز ، بلغت ١٦ حملة واستمرت نحو ٢٠ سنة متواصلة ويحلو لبعض المؤرخين العسكريين أن يعقدوا بعض المقارنات التاريخية لإثبات مدى التماثل والتطابق بين الخطط الحربية التى وضعها « تحوتمس الثالث » ، والخطط الحربية التى طبقها بعض دهاة العسكريين فى الامبراطورية البريطانية .

يقولون ان الخطة الحربية البارعة التى اتبعها هذا الملك العظيم فى عبور ممر« عرونا » بالمناطق السورية ، هى نفسها الخطة التى اتبعها القائد العسكرى الانجليزى « اللنبى » وفاجأ بها جيش الاتراك فى سنة ١٩١٨ م أثناء الحرب العالمية الأولى ، أى بعد العهد الذى وضعت فيه الخطة الأصلية القديمة بنحو ٣٤٠٠ سنة!

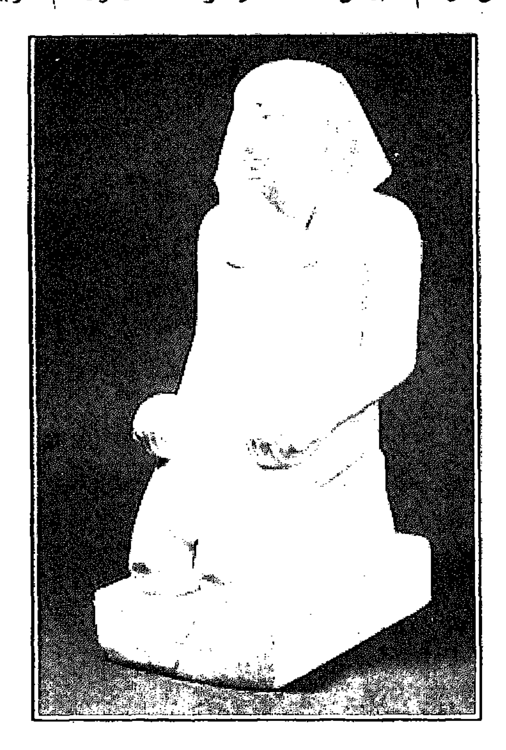
ويقولون أيضا أن الخطة الحربية التكتيكية التى نقل بها « تحوتمس الثالث » سفنه الحربية نقلاً برياً ، وهى مجزأة كقطع وأجزاء قابلة للتركيب السريع والتجهيز الفورى ، وذلك حتى يتمكن من العبور بها فى نهر الفرات والوصول بحملاته العسكرية إلى بلاد النهرين « العراق » لضمها ضمن مناطق نفوذ الامبرطورية المصرية ، هى التى أوحت إلى الفيلد مارشال مونتجومرى بخطة نقل سفن العبور الحربية براً حتى وصل بها إلى الأماكن المحددة لعبور قواته نهر الراين أثناء الحرب العالمية الثانية .

ويقولون كذلك أن خطة هذا الفرعون العظيم فى أخذ أبناء أمراء وحكام البلاد التى فتحها كرهائن ، وإرسالهم معززين إلى مصر لتنشئتهم وتعليمهم بالمدارس المصرية ، وتربيتهم طبقا للتقاليد والعادات والثقافة والأخلاق المصرية ، ليصبحوا مجهزين سياسيا لحكم بلادهم حين يؤول الأمر إليهم ، وفى أعناقهم هذا الدين الحضارى تجاه مصر . .



تمثال من الحجر الجيري للملكة حتشبسوت في هيئة أبي الهول

تمثال صغير من الرخام الأبيض للملك تحوتمس الثالث وهو يقدم القرابين للآلهة .



هذه الخطة طبقتها أيضا الامبراطورية البريطانية أثناء استعمارها للهند ، حين أجبرت أبناء الأمراء والحكام الهنود على الالتحاق بالكليات الانجليزية التى كانت تعلمهم الثقافة البريطانية وتنشئهم على تمجيد بريطانيا العظمى .

ويجمع المؤرخون العسكريون على أن « تحوتمس الثالث » هو أول قائد حربى فى التاريخ وضع خطة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين ، وكان لديه « مجلس أركان حرب» يتشاور معه فى وضع تلك الخطط الحربية الفذة .

وإلى جانب العبقرية العسكرية التى كان يتمتع بها ، كان يتمتع أيضا بشخصية قوية تتميز بالنبل الرفيع والرجولة والعدالة والتدين والصدق . وكانت سياسته الداخلية فى حكم البلاد تقوم أساساً على إقرار النظام العام ورفاهية الشعب .

ومن المعروف تاريخياً وأثرياً أن « تحوتمس الثالث » هو صاحب المسلة المنصوبة الآن على ضفاف نهر التيمس بلندن ، والمسلة الأخرى المنصوبة فى نيويورك . . وذلك بالرغم من أن كلاً من الانجليز والأمريكان يطلقون خطأ اسم « مسلة كليوباترا » على كل مسلة من هاتين المسلتين .

● أمنحوتب الثانى : المقاتل الشجاع :

إبن تحوتمس الثالث . . واصل حروب أبيه لتدعيم الحكم المصرى فى آسيا وافريقيا . . واشتهر بقدرته الفائقة على التدريب الحربى والرياضة وأعمال الفروسية .

● تحوتمس الرابع : الدبلوماسى :

فى عهده أوقفت مصر سياسة الحملات العسكرية التأديبية ضد المناطق والشعوب الخاضعة لسلطانها ، واتبعت سياسة سلمية تقوم على عقد المحالفات الثنائية بين مصر وغيرها من الدول والأقاليم التابعة لها . وتبوأت مصر بالتالى مكان الصدارة الأولى فى التاريخ الدبلوماسى ، حيث اعتبرت أول دولة تقوم بتدوين وتسجيل المعاهدات الدولية التى تتضمن البنود القانونية والسياسية التى اتفق عليها الحليفان وتراضيا عليها .



تمثال من حجر الشيست الرمادى يمثل الملك الرياضى المحارب « أمنحوتب الثانى » الذى واصل معارك وفتوحات والده « تحوتمس الثالث » فى آسيا

● امنحوتب الثالث والملكة « تى » :

وصلت الامبراطورية المصرية فى عهده إلى قمة الثراء والغنى ، وانصرف الجميع وهو على رأسهم إلى حب التمتع بمناعم الحياة ولذائذها . . أما زوجته الملكة « تى » فقد كانت فتاة جميلة من الشعب ، وهى إبنة يويا وتويا اللذين عثر على مقبرتهما الهامة بوادى الملوك . ويجمع المؤرخون على أن تلك الملكة كانت من أعظم نساء التاريخ المصرى ذكاء وقوة شخصية وعزيمة ، فقد جمعت كل زمام الأمور فى يدها بعد انصراف زوجها إلى لذائذه ، وأصبحت المتحكمة وصاحبة الكلمة العليا فى تسيير أمور الحكم فى الامبراطورية الواسعة ، سواء فى داخل البلاد أوفى خارجها .

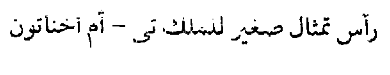
وقد حدث تقدم هائل فى نظم التعليم ، حيث كانت الدراسة تنقسم إلى مرحلتين : مرحلة المدرسة أو « بيت الحياة » كما كانت تسمى فى ذلك العهد ، ومرحلة « الدراسة العليا » التى يتعلم فيها النابهون مزيدا من العلوم واللغات الأجنبية .

وازدهر الأدب ، وظهرت اتجاهات جديدة فى فنون العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية ، تمثلت فى الآثار العظيمة التى تركها « امنحوتب الثالث » وأهمها : معبد الأقصر بجماله وجلاله الفائق ، وتمثالا ممنون بضخامتهما وشهرتهما التى طبقت آفاق المعمورة فى الزمن القديم والزمن الحديث على حد سواء .

● اخناتون : أول الموحدين :

يقول عالم المصريات الكبير « ج . هـ . برستيد » أن اخناتون هو أول من وحد الله فى هذاالعالم . . وقد عقد كثير من المؤرخين مقارنات تحليلية بين نصوص الأشعار والأناشيد التى أبدعها اخناتون فى عبادة الإله الواحد « آتون » وبين نص « المزمور رقم ١٠٤ »من مزامير النبى داوود المذكورة فى التوراة ، فوجدوا تشابها وتماثلا وتطابقا بين الكلمات والجمل والمعانى وترتيب الأبيات . ونظراً لأن الثابت أن اخناتون يسبق تدوين التوراة زمناً وتاريخاً بنحو خمسمائة عام أو يزيد ، فلم يجد هؤلاء المؤرخون مناصاً إلا الاعتراف بأن اخناتون بالفعل هو أول الموحدين بالله علنا ، وأول من دعى إلى عبادة إله واحد لاشريك له خالق كل شىء





رأس تمثال صغير للملك تى - أم اخناتون



تمثال صغير للملك أمنحوتب الثالث والد اخناتون



تمثال من الحجر الرملي لأخناتون . . عثر عليه بحفائر الكرنك - معروض حالياً بالمتحف المصرى .



تمثال من حجر الكوارتزيت لم يتم صنعه للملكة نفرتيتى - عثر عليه فى الاستديو الخاص للفنان «تحوتمس» بحفائر تل العمارنة

وبدراسة الأناشيد والأشعار التى ألفها اخناتون كطقوس لعبادة الإله الواحد « آتون» الذى كان يرمز إليه بقرص الشمس تمتد منه أيا د بشرية تمنح الحياة لكل مافى الوجود من كائنات ، يتبين لنا أن هذا الفرعون العظيم كان يرى الله فى « القوى المجردة » التى خلقت كل موجود فى هذا الوجود « والتى ترزق الفرخ وهو فى داخل البيضة . . وتبعث الحياة فى قلب البذرة فيخرج النبات من جوف الأرض » .

هكذا أمر اخناتون بمنع عبادة أى إله من الآلهة المتعددة التى كانت تعبد فى مصر، وقضى بذلك على سلطة الكهنة ورجال الدين الذين كانوا يدعون أنهم حلقة الوصل بين الانسان والإله .

ونقل اخناتون عاصمة مصر من طيبة [الأقصر] إلى مدينة جديدة هى « آخت آتون» وتسمى حالياً « تل العمارنة » وهى تقع على على الضفة الشرقية لنهر النيل بمحافظة المنيا . كما أحدث ثورة هائلة فى الأدب وفنون العمارة والنحت والتصوير، فقد كسرجمود القواعد الصارمة التى ظلت تحكم الفن المصرى القديم لآلاف السنين السابقة على عهده ، ووضع محلها ابتكارات جديدة تعبر عن الاتجاهات الواقعية ، والرؤية الفنية التى تمجد فكرة « الحياة فى الحقيقة » وهى جوهر الفلسفة الآتونية .

وتظهر هذه الاتجاهات الجديدة فى الفن بكل وضوح ، فى الآثار الجميلة التى وصلت إلينا من عهد اخناتون ، ولعل إشهرها تمثال رأس الملكة نفرتيتى زوجة اخناتون، وتمثال رأس الملكة تى أمه ، وتماثيل اخناتون نفسه . كما تظهر أيضا فى جميع النقوش التى تصور الملك ونفرتيتى مع بناته الأميرات الست فى حياة عائلية يرفرف عليها الحب والسعادة والسلام .

● توت عنخ آمون : أشهر ملك فى العالم :

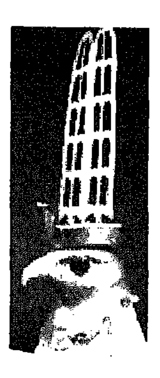
أصبح من المسلم به الآن فى علوم الآثار ، أن قيام « هوارد كارتر » باكتشاف مقبرة توت عنخ آمون بوادى الملوك بغرب الأقصر ، يعتبر أهم وأعظم الاكتشافات الأثرية فى القرن العشرين ، كما تعتبر المقبرة بما فيها من محتويات ، أعظم كنز علمى عثر عليه الانسان حتى الآن .

لقد ذاعت شهرة هذا الملك الصغير منذ لحظة اكتشاف مقبرته فى جميع انحاء المعمورة . . بل إن أجهزة الإعلام والصحافة والثقافة فى جميع أنحاء العالم أيامئذ ، لم يكن لها شاغل أهم من أخبار هذا الملك الذى مات منذ نحو ٣٣٠٠ سنة ، فغطت أخباره على أخبار جميع الملوك الأحياء فى جميع ممالك الأرض !

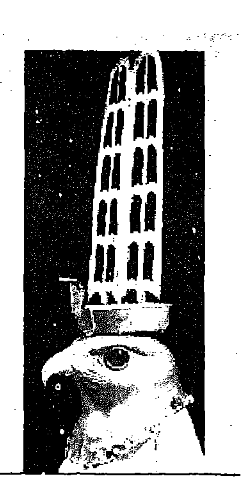
هذه الكنوز الضخمة من الذهب والقطع الأثرية الفنية البديعة التى أذهلت العالم ، والتى مازال يقف أمامها انسان القرن العشرين فاغراً فاه من الاعجاب والدهشة ، جعلت المؤرخين وعلماء الآثار يتساءلون : إذا كانت كل هذه الكنوز قد دفنت مع توت عنخ آمون ، وهوملك صغير ضئيل الشأن جدا إذا قورن بغيره من أجداده الملوك العظام من نفس أسرته (الأسرة الثامنة عشرة) . . فماذا كان حجم الكنوز والتحف الفنية التى دفنت مع هؤلاء الملوك لتتناسب مع عظمتهم وثرائهم ومكانتهم فى تاريخ البلاد . . ؟ !

● غروب شمس الأسرة :

مات « توت عنخ آمون » وعمره لم يتجاوز ١٩ سنة ، فى ظروف تؤكد أن شمس الأسرة الثامنة عشرة قد مالت وأوشكت على المغيب . . وتولى الحكم بعده الملك « آى » وهو من رجال الدولة المخضرمين ولكنه لم يكن سليل ملوك هذه الأسرة ، وحكم لفترة قصيرة بالنظر إلى كبر سنه ، فخلفه أحد الضباط العظام فى الجيش المصرى وهو القائد الحربى « حور محب » ليكون حلقة الوصل بين آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة وأول ملوك الأسرة التالية لها . . وهو « رمسيس الأول » . . وهكذا بدأ فى مصرعصر جديد أطلق عليه المؤرخون « عصر الرعامسة » . . ولذلك قصة أخرى . . .







أعظم كشف أثري في القرن العشرين
كنوز توت عنخ آمون

فى عام ١٩٢٢ م كان العالم يفور بأحداث جسام . . فى كل قارات العالم تفاقمت المشاكل المحلية والمشاكل الدولية . . ونشبت حروب وثورات واضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية فى كل مكان . .

وكانت الأخبار تنتقل بين أركان المعمورة بسرعة البرق . . فقد انتشرت أسلاك التلجراف . . وظهر الراديو فانتشرت الأخبار بلا أسلاك . . وكثر ظهور الصحف ووسائل الإعلام الأخرى بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ الانسان .

وفجأة تغير كل شىء . . وتوقف الجميع فى حالة انتباه، وامتلأت أسماع الناس فى جميع أنحاء الدنيا بخبر يهز النفوس تعجباً واندهاشاً . . خبر العثور على أعظم كشف أثرى فى التاريخ . . أعظم كنز عثر عليه الانسان . . كنز تركه لنا ناس كانوا يعيشون منذ نحو ثلاثة وثلاثين قرنا من الزمان . . وأصبح الجميع يتكلمون عن ملك مصرى صغير اسمه « توت عنخ آمون » . . !

● **الملك الغامض :**

لم يكن اسم الملك توت عنخ آمون مجهولاً قبل اكتشاف مقبرته ، بل عرفه علماء الآثار قبل الاكتشاف بفترة طويلة . . فقد وجد اسمه منقوشاً على بعض أحجار معبد الأقصر، وبعض الأحجار الأخرى التى أعيد استعمالها فى مبانٍ أخرى فى عصور تالية على عصره .

كما وجد اسمه الملكى « نب خبرو رع » واسمه المعروف «توت عنخ آمون » منقوشين على أحد النصب التذكارية بمعابد الكرنك .

كذلك فقد ذكر اسمه فى بعض الكتابات والنقوش الجدارية فى مقابر بعض كبار الموظفين والمعاونين الذين خدموا الدولة فى عهده. وكانت هناك مجموعة من القطع الأثرية معروضة بمتحف متروبوليتان بنيويورك، وجد على بعضها اسم توت عنخ آمون منقوشاً بوضوح .

معنى ذلك أن علماء الآثار كانوا متأكدين من وجود ملك يحمل هذا الاسم . . وأن هذا الملك ينتمى إلى الأسرة الثامنة عشرة حيث تشير الدلائل إلى ذلك .

وبالرغم من هذا الوضوح الذى كان يبلغ درجة اليقين ، فقد كان الغموض يحيط بموضوع هذا الملك من كل ناحية . . وعلى سبيل المثال فلم تكن له مقبرة معروفة . . ولم يكن اسمه مذكوراً ضمن قوائم الملوك الذين حكموا مصربمن فيهم ملوك الأسرة الثامنة عشرة التى ينتمى إليها . . فقد كتبت هذه القوائم فى عصور تالية ، وأغفلت تماماً ذكر اسم توت عنخ آمون ، كما أغفلت اسم سلفه الملك اخناتون ، واسم الملك آى الذى تولى العرش بعده .

وكان السبب فى إغفال ذكر أسماء هؤلاء الملوك الثلاثة ، هو انتماءهم إلى الأزمة الدينية التى سببتها دعوة اخناتون إلى عبادة إله واحد لاشريك له خالق كل شىء ، والتى أدت إلى إغلاق جميع المعابد التى كانت مكرسة لعبادة الآلهة المصرية المتعددة التى كانت تعبد فى جميع أنحاء البلاد .

وازداد الأمر غموضاً حين قرر بعض كبار علماء الآثار أن « وادى الملوك » لم تعدفيه مقابر لم تكتشف . . فقد تم الكشف عن جميع المقابر التى دفن فيها ملوك الدولة الحديثة . . وأن جميع هذه المقابر قد فتحت ونهبت فى العصور التاريخية القديمة والوسطى ، وأصبحت خالية من أية آثار عدا ما تتضمنه من نقوش جدارية . وعلى هذا فليس من المتوقع أن تؤدى الحفائر الأثرية التى تجرى فى وادى الملوك إلى العثور على مقابر ملكية جديدة .

● كارتر وكارنارفون :

ومع ذلك ظلت الحفائر الأثرية تجرى فى وادى الملوك . . كان « هوارد كارتر ١٨٧٣

- ١٩٣٩ » واللورد « هربرت كارنا فون ١٨٦٦ -١٩٢٣ » الذى كان يقوم بتمويل تلك الحفائر يواصلان البحث عن خبايا الوادى على أمل العثور على مقبرة ذلك الملك الغامض .

استمرت الحفائر سبع سنوات متوالية . . من سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩٢٢ دون أن يتم العثور على المقبرة . . وأوشك اللورد كارنارفون على اتخاذ قراره بالتوقف عن تمويل الحفائر الأثرية التى لم تسفر عن شىء . ولكن كارتر رجاه أن يستمر فى التمويل حتى نهاية موسم واحد وأخير . . بل وعرض على اللورد أن يتكفل هو بدفع تكاليف الحفائر فى هذا الموسم على أن يحتفظ اللورد بترخيص الحفر الصادر باسمه . . ووافق اللورد كارنافون فى النهاية على أن يستمر فى التمويل على أن يكون هذا الموسم هو الموسم الأخير فى تلك العملية .

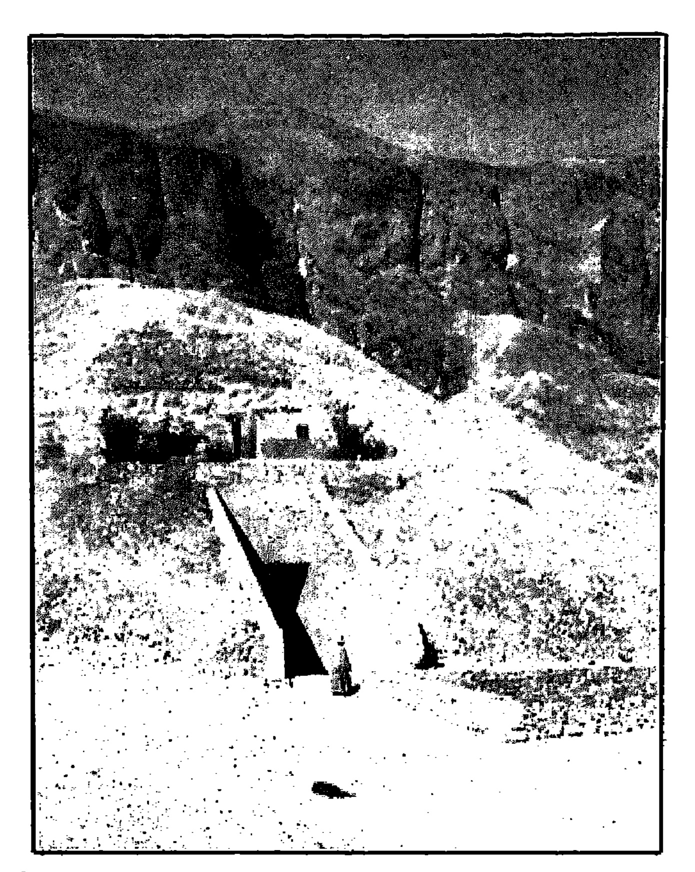
وهكذا واصل كارتر عمليات الحفر بالقرب من نقطة كان قد أوقف الحفر فيها منذ عام ١٩١٧ ، ثم عاد إليها فى عام ١٩٢٢ باعتبارها آخر نقطة فى عملياته . . وكانت هذه النقطة شديدة القرب من مدخل مقبرة الملك رمسيس السادس .

وفى الرابع من نوفمبر جاءت ضربة الحظ وتحقق الأمل . . فى هذا اليوم عثر عمال الحفر على إحدى الدرجات الحجرية ، فتوقف الحفر فوراً لإبلاغ كارتر بهذا الخبر وانتظار ماسوف يقرره فى هذا الشأن .

وفى اليوم التالى واصل كارتر عمليات الحفر والتنظيف ورفع الرديم إلى أن ظهرت ست عشرة درجة تنتهى بباب مغلق . . وعندئذ أدرك كارتر أنه توصل إلى مقبرة لم يفتحها أحد من قبل .

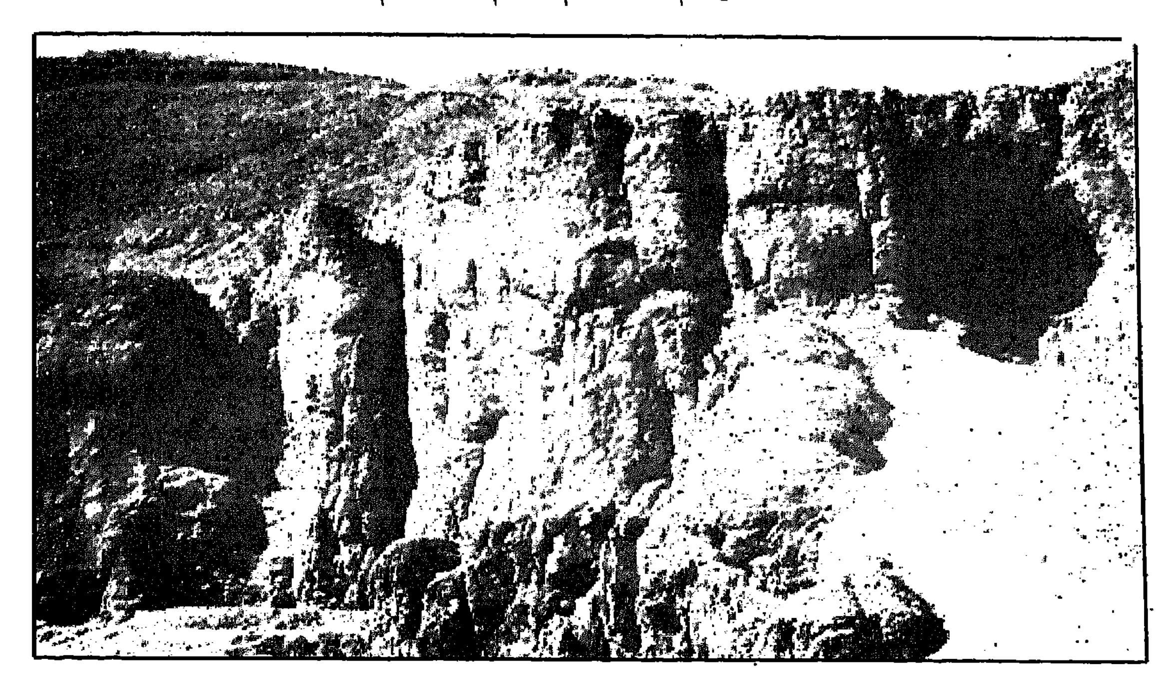
وأبرق كارتر إلى اللورد كارنارفون فى انجلترا ليحضر فوراً إلى مصر ليقوم بافتتاح المقبرة المكتشفة .

وحضر اللورد ومعه ابنته إلى الأقصر . . وفى السادس والعشرين من نوفمبر ١٩٢٢ واصل عمال الحفر عملياتهم إلى أن وصلوا إلى باب آخر مماثل للباب الأول . . وكان هذا الباب الثانى مغلقا وعليه ختم يحمل اسم الملك توت عنخ آمون !



مدخل مقبرة توت عنخ أمون

فى مثل هذه الصخور الجبلية المحيطة بوادى الملوك ، حفر ملوك الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ مقابرهم فى الفترة من عام ١٥٦٧ ق م إلى عام ١٠٨٥ ق م .



وهكذا تحقق الحلم . . وذاع الخبر الذى هز أركان الدنيا . . !

● مناورات التحايل على القانون :

ومنذ لحظة اكتشاف هذه المقبرة بدأت مناورات التحايل على قانون الآثار الذى كان سائداً فى تلك الفترة .

كان القانون ينص على بعض القواعد المجحفة الخاصة بتوزيع مايتم الكشف عنه من الآثار بين المكتشفين وبين « مصلحة الآثار » كممثلة للحكومة المصرية وباختصار شديد كان القانون ينص على مايلى :

* إذا تم العثور على مقبرة سليمة تماماً ولم يتوصل إليها اللصوص فى العصور التاريخية القديمة تصبح محتوياتها جميعاً من حق مصلحة الآثار المصرية

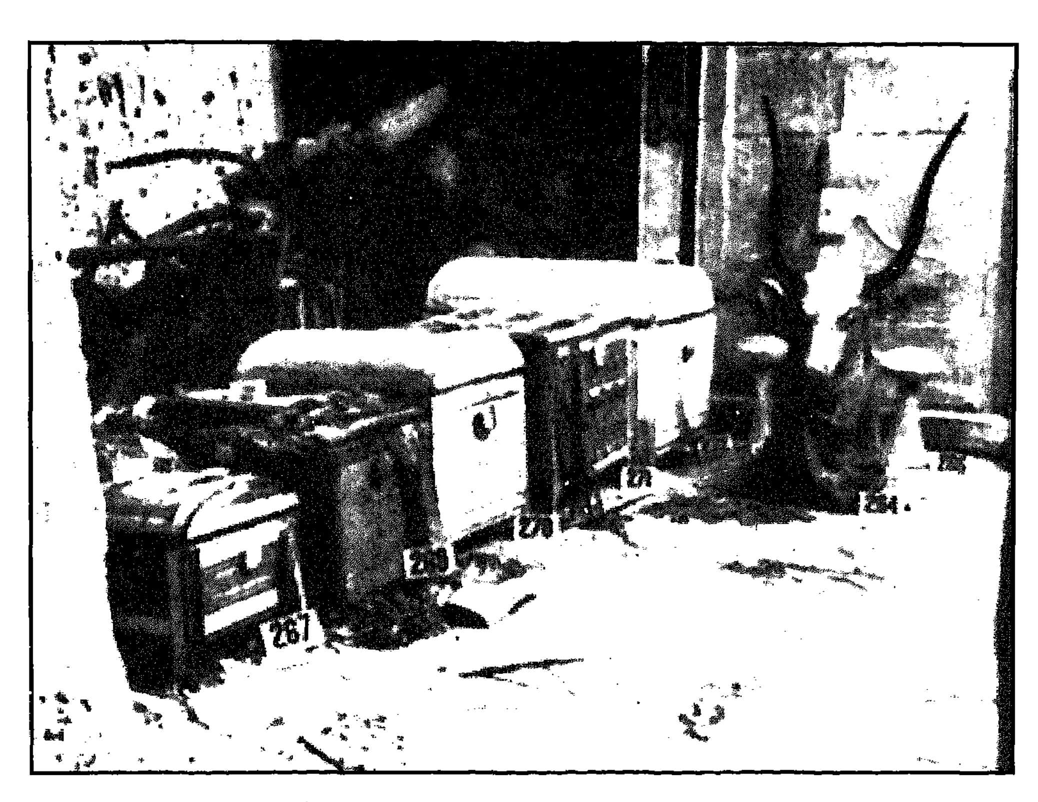
* وإذا كانت المقبرة التى تم العثور عليها قد سرقت جزئياً فى العصور القديمة فتصبح المومياوات والتوابيت من حق مصلحة الآثار وحدها . . وتقسم الآثار الأخرى مناصفة بين المكتشفين ومصلحة الآثار .

* وفى جميع الأحوال تصبح مومياوات وتوابيت الملوك والملكات والأمراء والأميرات ورجال ونساء البلاط الملكى وكبار الكهنة من حق مصلحة الآثار وحدها .

كانت هذه هى أهم أحكام ذلك القانون . . فماذا سيكون الوضع القانونى بالنسبة لمقبرة توت عنخ آمون ومايحتمل أن تحتويه من كنوز ؟ . . هاهى المقبرة أمام الجميع مغلقة الأبواب وعليها أختام الإغلاق تحمل اسم الملك المدفون فيها . . ومعنى ذلك كما هو ظاهر ، أن المقبرة لم تمس من قبل ولم يتوصل إليها لصوص الماضى . . وبمعنى آخر فإن جميع المحتويات ستصبح من حق مصلحة الآثار المصرية طبقا للقانون .

ومن هنا بدأت سلسلة رهيبة من المناورات التى أدت إلى نشوب الخلافات والمتاعب بين كارتر وكارنارفون من جانب وبين مصلحة الآثار المصرية من جانب آخر .

حاول كارتر بكل طريقة أن يثبت أن اللصوص القدماء كانوا قد تسللوا إلى المقبرة فى العصور القديمة وسرقوا بعض محتوياتها وذلك بعد فترة وجيزة من دفن الملك . وادعى



التقطت هذه الصورة لبعض الموجودات التى عثر عليها بمقبرة توت عنخ آمون فور اكتشافها ـ وهى من مجموعة مماثلة للصور الفوتوجرافية المحفوظة بمتحف المتروبوليتان .

أن أمر هؤلاء اللصوص قد انكشف ، وتوقفت بالتالى عملية السرقة ، وقام المسئولون بإعادة إغلاق المقبرة و إعادة وضع الأختام الملكية على أبوابها .

وشاعت تلك الحكاية التى أذاعها كارتر وكارنارفون وترددت الأسانيد والدلائل التى استند كارتر إليها لتدعيم رأيه فى تعرض مقبرة توت عنخ آمون للسرقة فى العصور القديمة فى مختلف وسائل الإعلام فى مختلف أنحاء العالم . . وكادت تلك الأسانيد والدلائل أن تصبح من الحقائق الواقعة فى كثير من الكتب والمراجع التاريخية والأثرية التى تناولت بالتحليل والبحث حكاية اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون .

وبطبيعة الحال فقد كان الهدف الذى يهدف إليه كارتر بهذه الحكاية هو إثبات أن المقبرة التى اكتشفها قد تعرضت للسرقة من قبل ، ليثبت بالتالى حقه فى اقتسام الكنوز التى تحتويها المقبرة مع مصلحة الآثار المصرية .

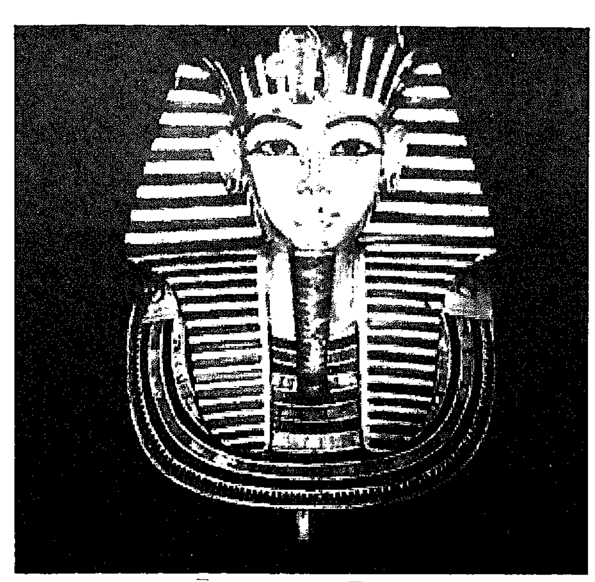
ولهذا فقد بدأ كارتر واللورد كارنارفون يتصرفان وكأن المقبرة من أملاكهما الخاصة . . وقاما بمجموعة من المناورات لمحاولة إبعاد المسئولين فى مصلحة الآثار المصرية عن شئون المقبرة بقدر الإمكان . . بل ولإبعاد رجال الصحافة الدولية والصحافة المصرية عن تناول أخبار المقبرة . . وذلك بعد أن باعا حق نشر أخبار المقبرة لجهة إعلامية واحدة هى صحيفة التايمز اللندنية .

بل وقام اللورد كارنارفون أيضا بعقد صفقة مالية بينه وبين متحف متروبوليتان بنيو يورك ليتولى خبراء المتحف جميع عمليات تصوير القطع الأثرية التى كانت مكدسة بحجرات المقبرة تصويراً فوتوجرافياً ، كما باع حق التصوير السينمائى لإحدى شركات السينما الأمريكية .

ونشرت إحدى وكالات الأنباء البريطانية موضوعاً وصفت فيه سيطرة كارتر واللورد كارنارفون على محتويات المقبرة وصفاً ساخراً بأنها : « شركة توت عنخ آمون ليمتد » !

●معلومات وأسرار :

ولكن . . وبالرغم من كل المناورات التى قام بها كارتر واللورد كارنارفون عن سرقة



القناع الذهبى الذى كان يغطى رأس مومياء « توت عنخ آمون » وهو مصنوع من الذهب ومزين باللازورد والعقيق والكوارتز والأوبسيديان والفيروز والزجاج الملون . ويبلغ طوله ٥٤ سم وعرضه ٣٩,٣ سم ووزنه ١١ كيلو جراما



التابوت الذهبى للملك « توت عنخ آمون » وهو مصنوع من الذهب الخالص ومزين بمجموعة من الأحجار شبه الكريمة والزجاج الملون . ويبلغ طوله ١٨٧,٥ سم ووزنه ١١٠,٤ كجم

بعض آثار المقبرة فى العصور القديمة . . يبقى أمامنا سؤال حائر : هل سرقت المقبرة فعلاً قبل افتتاحها رسمياً وعلنياً لأول مرة . . ؟ !

الإجابة على هذا السؤال تأخرت لأكثر من نصف قرن . . وكانت الإجابة للأسف بالإيجاب . . نعم لقد سرقت بعض آثار مقبرة توت عنخ آمون فور اكتشافها . . وتمت السرقة بمعرفة كارتر واللورد كارنارفون .

فى أوائل الثمانينيات ظهر كتاب علمى يؤكد هذه الحقيقة . . وكان الكتاب يحمل عنوانا مثيراً هو : « توت عنخ آمون . . قصة لم تنشر من قبل » ومن تأليف أحد علماء الآثار الأمريكيين واسمه « توماس هوفنج » الذى كان يعمل مديراً لمتخف متروبوليتان . . وهو المتحف الذى عهد إليه اللورد كارنارفون بحق تصوير وتسجيل وتنظيف وترميم جميع القطع الأثرية التى عثر عليها بالمقبرة .

درس مؤلف هذا الكتاب جميع الوثائق والمستندات المتعلقة بالقطع الأثرية المنسوبة إلى مقبرة توت عنخ آمون والتى كانت ضمن معروضات المتحف . . وأثبت بالأدلة القاطعة أن المتحف قد اشترى هذه القطع التى سرقها كارتر وكارنارفون ليلة دخولهما المقبرة لأول مرة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٢ .

وتقول المعلومات المسجلة أن اللورد كارنارفون وابنته وكارتر ومساعده كالندر قد أحدثوا ثقباً فى باب المقبرة لينظروا خلاله إلى ماتحتويه المقبرة من آثار .

ولكن الحقيقة أن الثقب الذى أحدثه كارتر لم يكن صغيرا ، بل كان كافياً لدخول هؤلاء الأربعة إلى داخل المقبرة لفحص محتوياتها من الكنوز . . حيث رأوا آلافاً من القطع الأثرية من كافة الأشكال والأحجام . . وكان أغلبها كما هو معروف مصنوعاً من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة .

وامتدت الأيدى وسرقت ماسرقت من القطع الصغيرة التى يسهل إخفاؤها وتهريبها .

● الكنز :

كانت جميع حجرات المقبرة مكدسة عن آخرها بالقطع والتحف الأثرية . . ولذلك

فلم يكن من الغريب القول الذى شاع فى جميع وسائل الإعلام العالمية بأن هذه الآثار هى أعظم كنز عثر عليه الانسان فى التاريخ .

أكثر من خمسة آلاف قطعة . . تماثيل مرمرية أو خشبية مغطاة بصفائح الذهب أو مصبوبة كلها من الذهب الخالص . . ونماذج لمراكب وجعارين وأوانى وأَسِرّة وحوامل للرأس وكراسى عادية وكراسى للعرش . . وأضرحة وتوابيت من الذهب . . وحلى ومصوغات ومجوهرات على شكل عقود وأساور وحلقان وخلاخيل وصنادل وخواتم وياقات وقلادات صدرية ، وكلها مصنوعة من الذهب أو الفضة ومرصعة بالعاج والزجاج الملون والفيانس والفيروز والعقيق واللازورد وغير ذلك من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة . . وعربات حربية وأقواس ورماح وسهام وآلات موسيقية ومراوح من ريش النعام . . بل وباقات من الزهور كانت آخر ماوضع فى تلك المقبرة .

كان كل شىء يدل على الفخامة والروعة والأبهة والثراء والفن المبهر والذوق الرفيع .

● **الشهرة العالمية :**

وانتشرت أخبار هذا الكنز العظيم فى جميع أنحاء المعمورة ، وأصبح اسم توت عنخ آمون على ألسنة جميع قراء الصحف ومستمعى الإذاعات فى جميع أركان ودول العالم . . وأصبحت أخبار هذا الملك الصغير الذى مات منذ نحو أربعة وثلاثين قرنا تغطى على أسماء وأخبار الرؤساء والزعماء والملوك الأحياء فى جميع أمم الأرض .

أما هنا فى مصر فقد بلغ زهو المصريين أوجه . . وتفاخروا على شعوب العالم بذلك التاريخ التليد والمجد العظيم الذى صنعه أجدادهم منذ آلاف السنين . . خصوصاً وأن عقد العشرينيات من هذا القرن كان فى أعقاب الحركة الوطنية النشطة التى اندلعت فى ثورة ١٩١٩ .

أطلق اسم توت عنخ آمون على بعض الفنادق . . وعلى محلات بيع الملابس ومحلات الحلوانية وباعة العصير . . وكان محل توت عنخ آمون بميدان العتبة الخضراء من أشهر محلات الحلويات والشربات التى يقبل عليها الشعب المصرى من سكان

القاهرة وزوارها من أهالى الأقاليم . . وبذلك أصبح الاسم متداولا ليس بين المتعلمين وقراء الصحف وحدهم ، بل وبين الناس العاديين ولو كانوا من الأميين .

وكانت عمليات نقل مفردات الكنز الأثرى الذى عثر عليه فى مقبرة توت عنخ آمون من وادى الملوك إلى القاهرة ، من الموضوعات الصحفية الناجحة الجذابة التى تسعى إليها أكبر وأشهر الصحف ووكالات الأنباء العالمية .

وقد بدأ عرض هذه الآثار بالمتحف المصرى بالقاهر ة فى سنة ١٩٣١ . . ويعتبرها الكثيرون من أهم معروضات المتحف التى يحرص على مشاهدتها جميع زوار المتحف من مصريين وأجانب .

● من هو توت عنخ أمون ؟

مثلما كان الغموض يحيط بأسرار مقبرته ، كان يحيط أيضا بسيرته وهويته . . فقد تناقضت آراء المؤرخين وعلماء الآثار وتضاربت استنتاجاتهم فى تحديد شخصية توت عنخ آمون وتقييم عصره والتغييرات والانجازات التى تمت أثناء فترة حكمه .

قال بعضهم انه إبن من أبناء الملك « أمنحوتب الثالث » ويعتبر بذلك أخا للملك أخناتون . وقد أظهرت الدلائل التاريخية والأثرية فساد هذا الرأى وانعدام معقوليته .

ولعل أرجح الآراء التى تكاد تسود الآن بين العلماء والمؤرخين المحدثين ، الرأى المدعم بالأسانيد الأثرية والشواهد والتاريخية والذى يقول أن توت عنخ آمون هو ابن للملك اخناتون ولكن من زوجة أخرى غير نفرتيتى . فمن المعروف تاريخياً وأثرياً أن العلاقة الزوجية بين اخناتون ونفرتيتى كانت علاقة حميمة تقوم على الحب العميق المتبادل بين الزوجين والحياة العائلية المستقرة التى يحيطها الحنان والتعاطف من كل جانب . . وهناك عشرات بل ومئات من المناظر التى تؤكد مظاهر هذا الحب الأسرى بين احناتون وزوجته وبناته . . وهى مناظر فريدة فى تاريخ الفن المصرى القديم من حيث البساطة والمشاعر الانسانية الفياضة .

ومادامت الحياة العائلية مستقرة على هذا النحو بين اخناتون وزوجته نفرتيتى ، فكيف يقدم على الزواج بزوجة أخرى غير زوجته الجميلة المحبوبة وشريكته فى الحكم

وممارسة شئون الدولة وشئون الثورة الدينية التى قاما بها والتى تدعو إلى عبادة إله واحد لاشريك له خالق كل شىء . . وهى الثورة التى أدت إلى الغاء عبادة الآلهة المصرية التقليدية المتعددة ، وإغلاق جميع المعابد التى كانت تعبد فيها تلك الآلهة ؟!

الاجابة على هذا السؤال كانت عسيرة . . إلى أن ظهرت الشواهد الأثرية التى أوضحت ماكان غامضاً فى البداية . . فمن المعروف أن نفرتيتى أنجبت لاخناتون ست بنات ولم تنجب إبنا ذكراً يخلفه على عرش البلاد . وكانت هذه مشكلة سياسية فى المقام الأول تهدد استمرارية خط الإرث الملكى بالانقطاع ، بل وتؤدى إلى انتهاء عصرالأسرة الثامنة عشرة من الأسرات الملكية التى تعاقبت على حكم مصر .

وبالنظر إلى ماعرف عن الملكة نفرتيتى من قوة الشخصية ورجاحة العقل ، فقد سمحت لزوجها بالزواج من زوجة أخرى اختارتها له بنفسها من بين وصيفاتها . . لعلها تنجب له وريثاً للعرش يحل المشكلة . . وكانت هذه الزوجة الثانية امرأة جميلة اسمها «كيا » . . !

وأنجب اخناتون من « كيا » ابنتين أخريين قبل أن تنجب له أخيراً طفلاً ذكراً أسمياه « توت عنخ آتون » [ومعناه الصورة الحية للإله آتون] . وبعد موت اخناتون تشاء ظروف الحكم أن يجلس « توت عنخ أتون » على العرش ولم يتجاوز عمره تسع سنوات . . الأمر الذى استوجب تكوين مجلس للوصاية بعضوية نفرتيتى واثنين من أكبر رجال الدولة والبلاط الملكى وهما : « آى » الذى تولى الملك بعد وفاة « توت عنخ آمون » و«حور محب » قائد الجيوش المصرية والذى تولى الملك بعد موت « آى » . . وقد أسرعت نفرتيتى بتزويجه ابنتها الثالثة « عنخ إس إن باآتون » [ومعناه : التى تعيش من أجل آتون] لكى تؤكد ثبوت حقه فى تولى عرش مصر .

● **كل هذه القلاقل والمشاكل :**

فى تلك الفترة كانت أحوال البلاد الداخلية والخارجية غير مستقرة وتفور بالاضطرابات والخلافات والثورات . . كان هناك صراع هائل نشب بين كهنة الإله «آمون » ومعهم كهنة جميع الآلهة المصرية الآخرين وبين نظام الحكم فى الدولة . . كما



نقش ملون يصور « توت عنخ آمون » فى عربته الحربية يصوب سهامه نحو الأسود
ويصرعها أسداً بعد أسد !

كانت هناك مشكلة أخرى ذات طابع سياسى وإدارى ، نتجت عن انتقال الحكم من العاصمة « طيبة » إلى العاصمة الجديدة « آخت آتون » التى بناها اخناتون فى منطقة تل العمارنة بمحافظة المنيا حالياً .

أما الأقاليم التى كانت تابعة للامبراطورية المصرية فى آسيا وافريقيا ، فقد نشبت فيها القلاقل السياسية والعسكرية وثورات العصيان .

وباسم الملك الصغير ، تم القضاء على معظم المشاكل التى كانت تهدد أمن واستقرار الأوضاع فى البلاد . . ونقلت العاصمة الرسمية إلى «طيبة » مرة أخرى ، بالاضافة إلى تدعيم العاصمة الإدارية والعسكرية التى تقع فى مدينة « منف » عند مفرق الدلتا والتى تتوسط الوجهين البحرى والقبلى .

وأعيد فتح المعابد المغلقة ، وتم إصلاح ما تخرب منها ، وردت إليها كل الأموال والممتلكات التى صودرت فى عهد اخناتون .

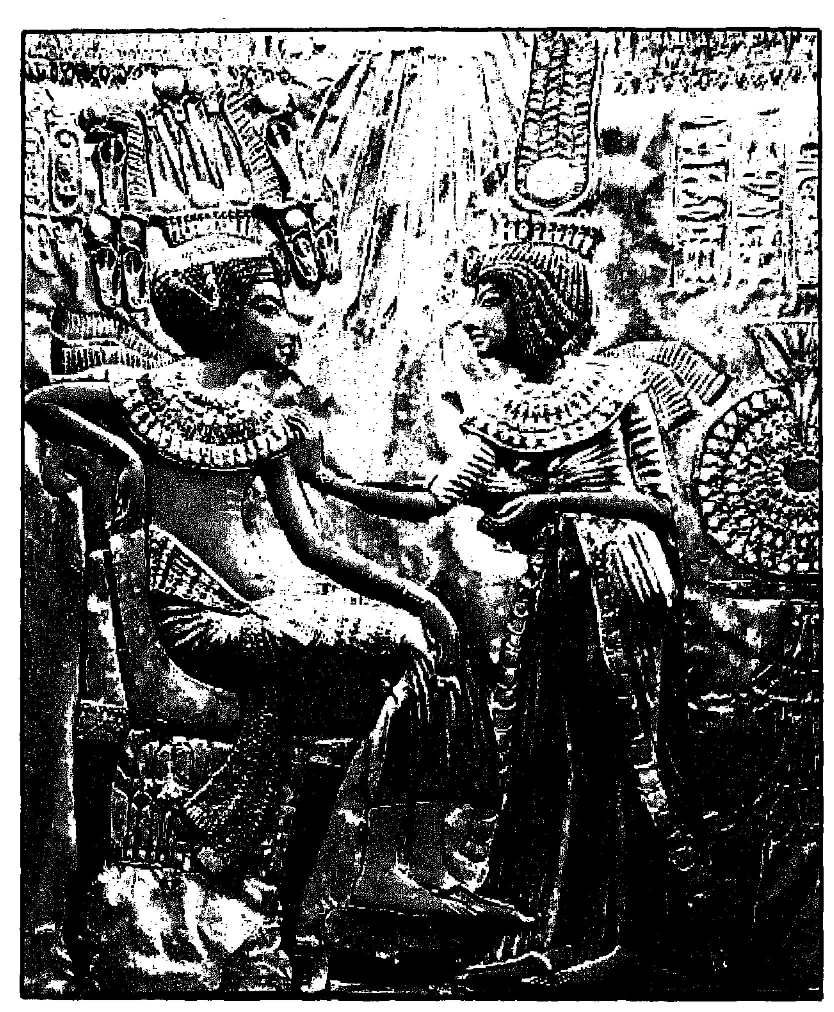
وخرجت الجيوش المصرية وشنت الحملات العسكرية للقضاء على العصيان وإعادة النفوذ المصرى إلى الأقاليم الآسيوية وإلى ليبيا وبلاد النوبة .

وتغير اسم الملك من « توت عنخ آتون » إلى « توت عنخ آمون » . . كما تغير اسم الملكة إلى « عنخ إس إن آمون » . . وذلك إرضاءً لكهنة الإله « آمون » ولتأكيد عودة نفوذهم القديم .

● جلالتى .. ملك البلاد :

وعلى أحد النصب التذكارية التى أقيمت بالكرنك تخليداً لذكرى الملك الصغير نص مكتوب بالهيروجليفية يصف فيه الملك ماكانت عليه أحوال البلاد حين تولى أمرها ، ويذكر فيه مجهوداته فى الاصلاح والتعمير . . ويقول النص :

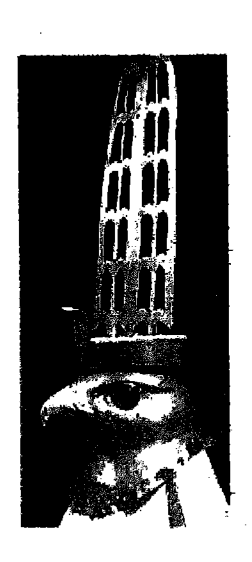
« لقد وجدت المعابد مخربة ، والجيوش المصرية منهزمة فى فينيقيا . . ووجدت الآلهة قد ولت ظهورها للأهالى فى طول البلاد وعرضها . . ولم تعد تسمع نداءهم أو تستجيب لدعائهم . . ولكن لأن جلالتى ملك رصين ومخلد . . وحاكم يعمل على سعادة الآلهة

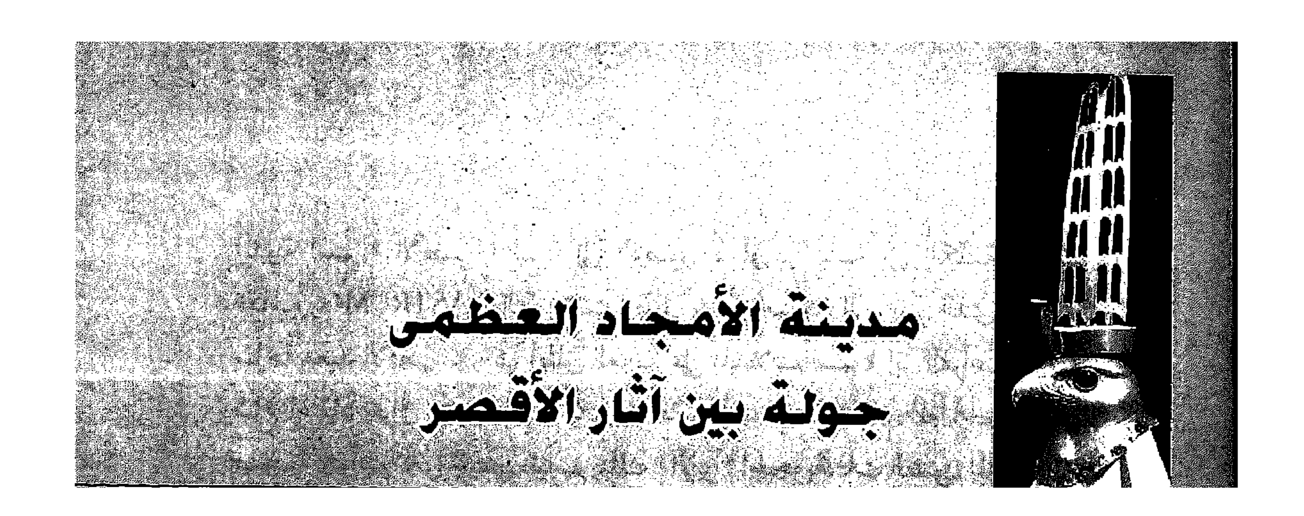


توت عنخ آمون فى كامل زينته الملكية . . بينما تقوم زوجته عنخ إس آمون بتعطير ياقته العريضة المحلاة بالجواهر بدهان عطرى أخذته من الإناء الذى تحمله فى يدها اليسرى .

ويسيطر على أرض مصر . . وتنحنى أمامى البلاد الأجنبية وغيرها إجلالاً وتعظيماً . . فقد أعدت بناء ماهدمته الأزمان الغابرة . . وقضيت على الكذب . . ودعمت الصدق» .

كانت هذه هى أهم أعمال هذا الملك الصغير . . ولكن العمر لم يسعفه للقيام بأعمال أخرى أجل شأناً . . فلم يستمر حكمه سوى تسع سنوات . . ومات وعمره ثمانية عشر عاماً . . ودفن فى تلك المقبرة الصغيرة التى أقيمت على وجه عاجل فى وادى الملوك ، ولكنها ضمت بين جنباتها أهم كنز اكتشفه الانسان فى القرن العشرين !





● ذات المائة باب :

فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وصفها « هومروس » شاعر الإغريق القدماء بأنها : «طيبة ذات المائة باب . . الحصينة المحروسة ذات الحوائط المذهبة » .

شاعت سمعتها فى أرجاء العالم القديم كله . . كانت رمزاً للقوة والنظام والحضارة . . وبيتاً مقدساً لآمون . . ملك الآلهة ورب الأرباب حسب المعتقدات الدينية التى كانت سائدة فى العالم القديم وقبل بزوغ فجر أديان السماء .

لم تسعفنا المصادر التاريخية حتى الآن ، وعلى نحو قاطع ، بالتاريخ الحقيقى لمولد تلك المدينة العظيمة . . ولكن ذكرها ورد فى أقدم عصور التاريخ . . ولم يعرفها المصريون القدماء باسم طيبة . . وهو الاسم الذى أطلقه عليها قدماء الإغريق . . كان المصريون يعرفونها باسم « نو آمون » أى مدينة الإله آمون . . ومنذ بداية ظهور التقسيم الإدارى للدولة المصرية القديمة ، كانوا يعتبرونها عاصمة للإقليم الرابع من أقاليم مصر العليا . . وهو الإقليم الذى كانوا يطلقون عليه اسم « واست » OUASET. . أى إقليم الصولجان أو إقليم العرش . . ثم أصبحوا يطلقون هذا الاسم على المدينة نفسها . . تماماً مثلما يطلق سكان الأقاليم والمحافظات المصرية المعاصرة اسم مصر على مدينة القاهرة .

وفى الحقبة اليونانية الرومانية من تاريخ مصر شاع اسم طيبة THEBESوثبت ، حتى جاء الفتح الاسلامى وتغلغل العرب فى صعيد مصر ، وبهرتهم آثار المدينة وبقايا مبانى معابدها الضخمة التى ظنوها قصوراً دارسة كان يسكنها الفراعنة ، فأطلقوا على

المدينة اسم « الأقصر » نسبة إلى القصور ، أوربما نسبة إلى الكلمة اللاتينية «كاستروم»CASTRUM التى كانت تطلق على المعسكر الرومانى الذى كان يحتل ساحة معبد الأقصر . . كما أطلق العرب على المسلات اسم « إِبَر الفراعنة » بعد أن شاع اعتقاد خرافى بأن الفراعنة كانوا ضخام الأجسام سخطهم الله أحجاراً وتماثيل ضخمة ، وأنهم كانوا يخيطون ثيابهم بتلك « الإبر » الحجرية ذات السنون المدببة . . كما أطلقوا اسم « الكرنك » على تلك المعابد التى كانت مكرسة للثالوث الطيبى « آمون وموت وخونسو » وغيرهم من الآلهة الأخرى .

وكلمة « كرنك » تصحيف لكلمة س خَوَرْنَق» . . وهى كلمة فارسية كانت تطلق على قصر « النعمان الأكبر » بالعراق . . وقد حرفت تلك الكلمة فأصبحت « خَرنَق » بمعنى قصر .

● **ذات الحظ الحسن :**

تدل الشواهد الأثرية والتاريخية على أن الأقصر تعتبر واحدة من أقدم المدن التى شيدتها الحضارة الانسانية على وجه الأرض . . فقد عثر فيها على آثار ترجع إلى عصر ماقبل الأسرات [أى قبل عام ٣٢٠٠ ق م] . ولكن التاريخ هيأ لها مناسبتين أدتا إلى ازدهار المدينة حتى تصدرت مدن العالم القديم كلها .

المناسبة الأولى حين خرج منها الملك « منتوحتب الثانى » ليوحد أوصال الدولة المصرية حين تفككت وانقسمت إلى أقاليم مستقلة بعد سقوط « الدولة القديمة » بنهاية عصر الأسرة السادسة [حوالى عام ٢١٥٥ ق م] . . واستمر هذا التفكك السياسى والإدارى حتى قام « منتوحتب الثانى » باعادة توحيد الأقاليم المصرية . . وبدأ عصر «الدولة الوسطى » الذى شمل الأسرات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة .

وفى عصر الدولة الوسطى أصبحت المدينة المركز الرئيسى لعبادة الإله آمون . . وأطلق عليها المصريون ألقاباً جليلة مثل : « المنصورة أو المنتصرة » . . و « الوصية على كافة مدن الأرض » . . وشاعت أساطير شعبية ودينية تقول أنها كانت موطن بداية خلق العالم وظهور الحياة .

وبالرغم من أن الدولة الوسطى قد أنشأت عاصمة إدارية جديدة لمصر فى منطقة «اللشت » قرب الفيوم ، إلا أن الأقصر ظلت مع ذلك عاصمة مقدسة لها كل التبجيل والتقدير والاحترام .

أما المناسبة الثانية ، فحين خرج منها « أحمس الأول » ليقود أول حرب تحريرية فى تاريخ العالم ، فطرد الهكسوس المحتلين الأجانب ، وأعاد مصر للمصريين ، وبدأعصر « الدولة الحديثة » [حوالى عام ١٥٥١ق م] . . وجعلها عاصمة رسمية ودينية للديار المصرية . . وأصبحت أكبر وأهم وأغنى مدينة فى مختلف أرجاء العالم القديم بأسره .

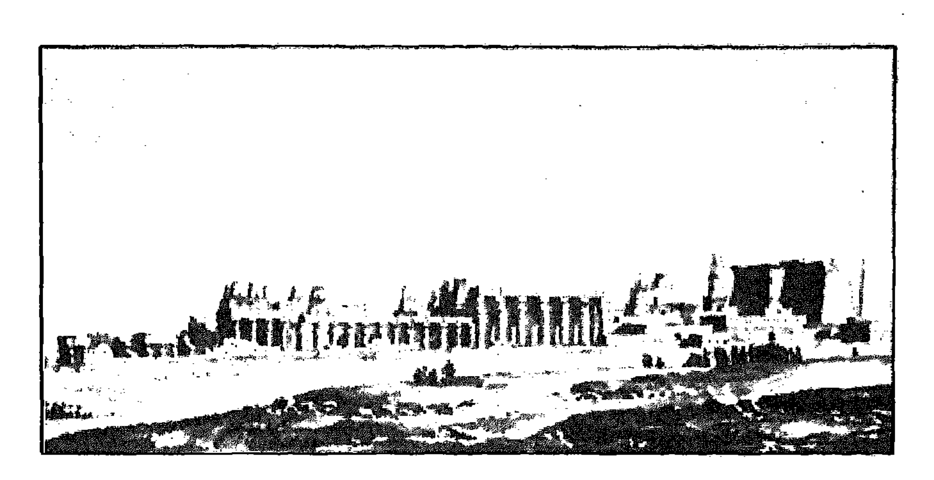
وبالرغم من أن الدولة الحديثة قد اتخذت من مدينة « منف» بشمال البلاد قرب مفرق الدلتا عاصمة إدارية وعسكرية ، إلا أن فراعنة هذه الدولة كانوا يقيمون فى الأقصر معظم أيام السنة ، وشيدوا فيها قصورهم الكبرى ، وجعلوها مقراً رسمياً مباركا لكافة الأعياد الدينية والوطنية ، وأقاموا فيها أضخم معابد الدنيا ، وحفروا قبورهم فى جبالها ووديانها الغربية .

● معبد الأقصر :

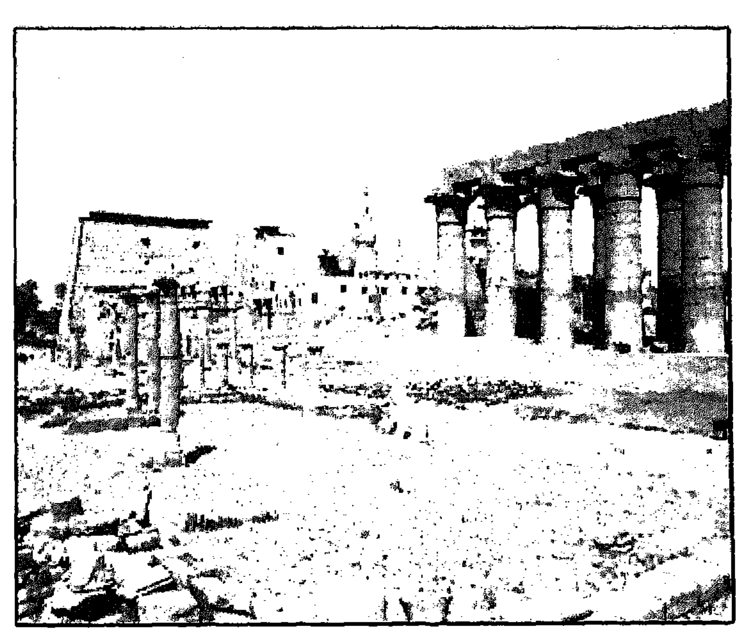
أول مايلفت نظر زائر المدينة الحديثة ، ذلك المعبد الضخم الشاهق المطل على النيل، والذى اصطلح على تسميته باسم « معبد الأقصر » .

اختار الملك « أمنحوتب الثالث » والد أخناتون [الأسرة الثامنة عشرة] هذا الموقع الفريد وشرع فى بناء هذا المعبد على أنقاض معبد قديم ، وكرسه لعبادة الإله آمون فى صورة الإله « مين » إله الخصب . . وتقول النصوص القديمة أن « أمنحوتب الثالث » قد بنى هذا المعبد « على أرض مكسوة بالفضة ووضعه على فراش من بخور! » .

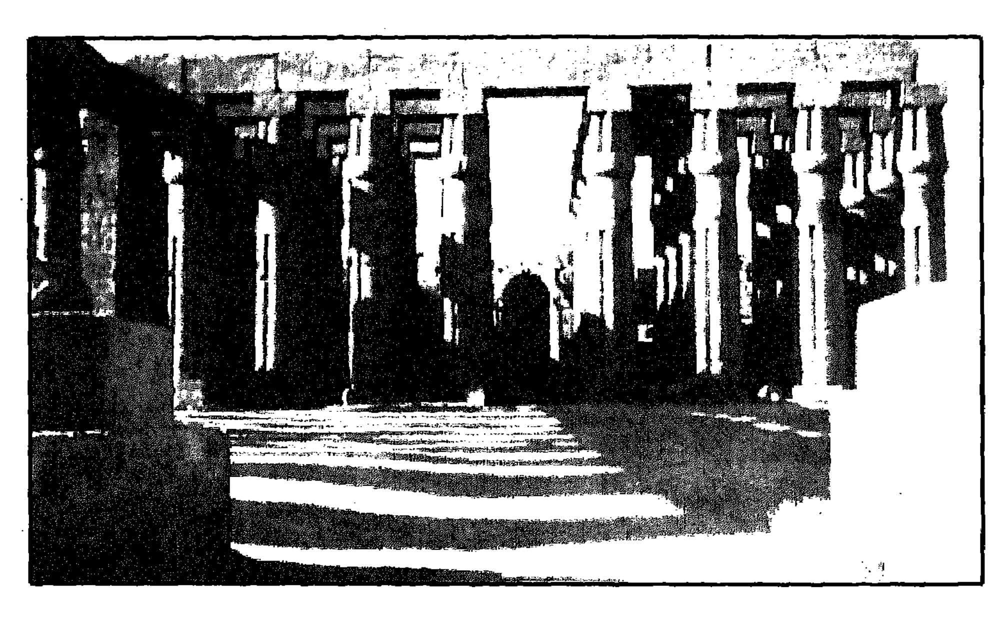
وكان الملك المحارب العظيم «تحوتمس الثالث » [الأسرة ١٨] قد قام بتوسيع وترميم المعبد القديم واضافة بعض المنشآت إليه ، إلى أن تم المعبد واكتمل بناؤه فى عهد الملك « رمسيس الثانى » [الأسرة ١٩] الذى شيد الفناء الأمامى للمعبد وأحاطه بالأعمدة الجميلة الضخمة ، وزينه بتماثيل من الكوارتزيت والجرانيت وجعل المدخل على هيئة



معبد الأقصر كما رسمه « دمينيك فيفان دينون » أحد فنانى الحملة الفرنسية



مئذنة جامع « أبو الحجاج الأقصرى » وسط بنايات معبد الأقصر



قاعة الأعمدة التى شيدها الملك امنحوتب الثالث بمعبد الأقصر ـ وقد استعملت هذه القاعة ككنيسة فى القرن الخامس الميلادى

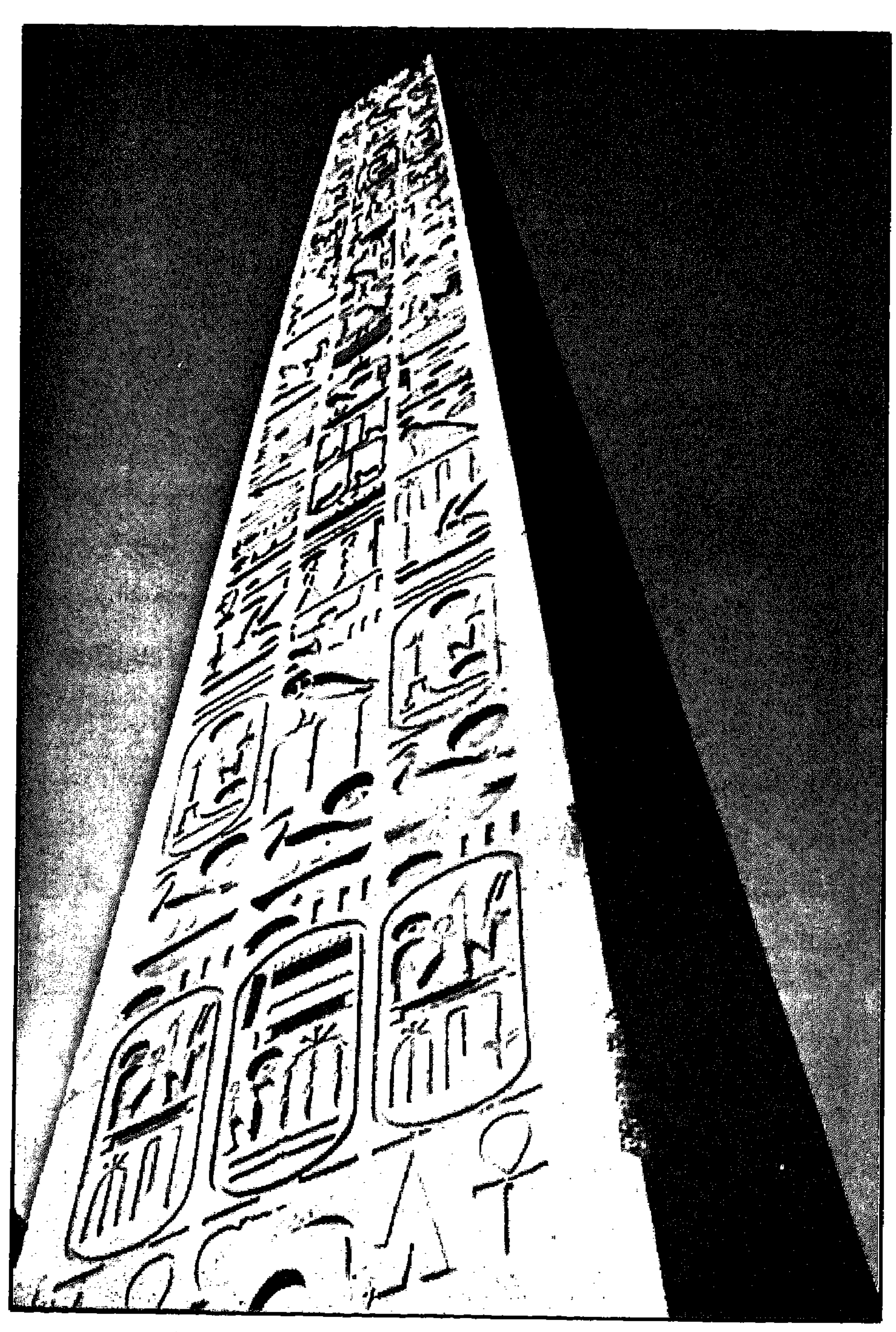
صرح عظيم يتكون من بنائين شاهقين أمام كل منهما تمثال جرانيتى للملك جالساً على عرشه، ويبلغ ارتفاع كل تمثال نحو خمسة عشر مترا ونصف المتر ، بالإضافة إلى قاعدة من الجرانيت يبلغ ارتفاعها نحو متر أو أزيد قليلا . . وبجوار تمثالى الملك نرى بقايا أربعة تماثيل أخرى لزوجته الجميلة « نفرتارى » وابنته الفائقة الجمال « مريت آمون » .

أمام بنائى الصرح شيد رمسيس الثانى مسلتين ترتفع كل منهما إلى خمسة وعشرين مترا . . لم تبق بالمعبد منهما إلامسلة واحدة ، أما المسلة الأخرى ، فقد نقلها الفرنسيون إلى فرنسا عام ١٨٣٣ م ، وأقامها المهندس الفرنسى « ليباس » فى وسط ميدان «الكونكورد » بباريس فى احتفال صاخب فى اكتوبر١٨٣٦ م . . ومازالت المسلة المصرية تتوسط الميدان الباريسى حتى الآن ، تقف شامخة بالنص الهيروجليفى المكتوب عليها : « رمسيس . . قاهر كل الشعوب الأجنبية . . السيد على كل من لبس تاجاً . . المحارب الذى هزم الملايين من الخصوم والأعداء . . والذى خضع العالم كله لسلطانه، ومعترفاً بقوته التى لاتقهر . . » .

ويؤكد هذا النص العبقرية الحربية التى كان يتمتع بها « رمسيس الثانى » باعتباره واحداً من أعظم وأشهر الفاتحين فى تاريخ العالم القديم، ولوكانت باريس موجودة فى أيامه ، لكان بالقطع قد فتحها وضمها إلى امبراطوريته الواسعة المترامية الأرجاء ، ولكان من المؤكد انه كان سيقيم فيها مسلة عظيمة تسجل هذا الحدث ، وربما فى نفس المكان الذى توجد فيه مسلته الآن بميدان الكونكورد !

ولذلك فقد كان من الطبيعى أن يزين رمسيس الثانى جدران المعبد بالمناظر والنصوص التى تحكى لنا أخبار فتوحاته ومعاركه الحربية بالاضافة إلى نقوش أخرى لمناظر الاحتفالات الدينية .

وأمام صرح البوابة يمتد طريق الكباش مزيناً على الصفين بمجموعة من تماثيل أبى الهول برؤوس آدمية ورؤوس كباش، وهو طريق طويل كان يمتد حتى يصل إلى مدخل معابد الكرنك . . وتحكى لنا الشواهد الأثرية كيف كانت سفينة آمون التى كانت تحمل تمثاله المقدس تخرج من قدس أقداس معبده بالكرنك ، محمولة على أكتاف الكهنة ،



مسلة رمسيس الثانى وتظهر عليها الخراطيش الملكية التى تحمل أسماءه وألقابه .

متجهة إلى معبد الأقصر ، مخترقة هذا الطريق وسط جموع الشعب حتى تصل إلى مقر الاحتفال السنوى بعيد « الأوبت » الذى كان يعنى « عيد الحريم الجميل » .

ومن الغريب أن معبد الأقصر ظل محتفظاً بأداء وظائفه الدينية مهما اختلفت شعائر الأديان على مدى آلاف السنين . . فمنذ أقيم لتكريس عبادة آمون ظل موطناً من المواطن الرئيسية لتلك العبادة حتى العصر اليونانى . . ثم تحول إلى معبد ومعسكر فى العصر الرومانى . . ثم تحول إلى كنيسة فى العصر القبطى . . ثم أقيم فيه جامع أبى الحجاج الأقصرى فى العصر الاسلامى .

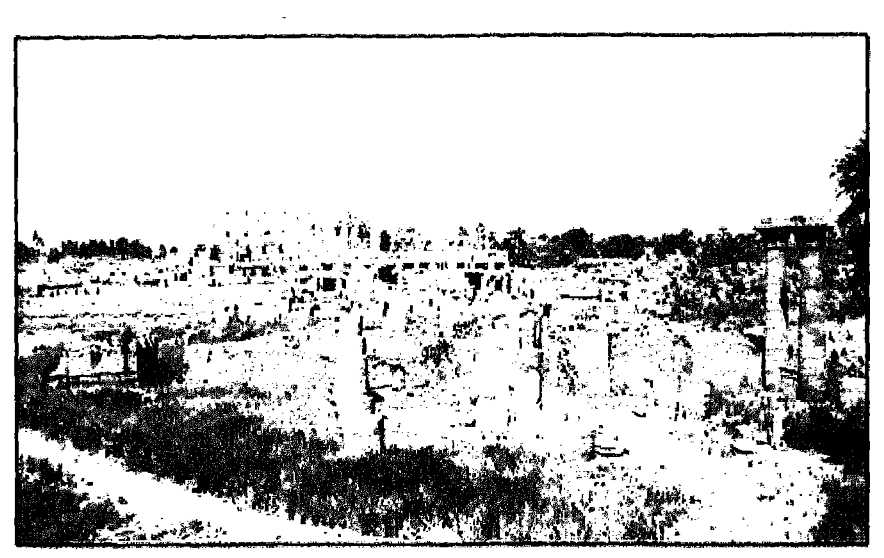
ومن الغريب أيضا عند الاحتفال بمولد أبى الحجاج تخرج من الجامع سفينة محمولة على عربة وسط احتفال الجموع الشعبية المعاصرة . . وهو احتفال يذكرنا باحتفال المصريين القدماء بعيد « الأوبت » . . عيد الحريم الجميل . . !

● الكرنك .. أكبر معابد الدنيا :

كان قدماء المصريين يطلقون عليه اسم « المكان الحسيب » . . ويعتبرونه أكرم بيوت العبادة وأقدسها . . ولاغرو فى ذلك فبداخله عرش آمون رب الأرباب وملك الآلهة القدماء . . حيث يلجأ إليه الفراعنة العظام للاستشارة وتلقى الوحى ، قبل خروجهم على رأس الحملات الحربية لتوسيع رقعة الامبراطورية المصرية ، أولتأديب الدول المجاورة التى تضمر لمصر شراً . . وظل الكرنك لقرون طويلة رمزاً لوحدة مصر الدينية والسياسية . . وكان الناس يحجون إليه باعتباره المزار الدينى الأقدس .

ومن الأخطاء الشائعة أن نقول « معبد الكرنك » فالصحيح أن نقول « معابد الكرنك» . . فالكرنك ليس معبداً واحداً بل هو مجموعة متكاملة لمعابد عدة ،أكبرها المعبد المكرس لعبادة الإله آمون . . وهو معبد ضخم واسع تبلغ مساحته نحو ثلاثين فدانا .

وفى الجهة اليسرى من الكرنك يقع معبد «مونتو» إله الحرب ، وهو على شكل مستطيل يغطى مساحة قدرها فدانين ونصف فدان . . وفى الجهة المقابلة يقع معبد



منظر عام لمعبد آمون بداخل معابد الكرنك
وتظهر فيه بقايا ساحة الاحتفالات التى بناها تحتوتمس الثالث



، منظر عام من الجانب الغربى لمعابد الكرنك كما كانت تبدو عام ١٨٣٨
حين رسمها الفنان الانجليزى «دالإيد روبرتس» .

الإلهة « موت » زوجة الإله آمون ويرمز إليها بأنثى النسر ، وتبلغ مساحته نحو تسعة فدادين .

وبالاضافة إلى الاتساع العظيم الذى يتميز به المعبد المكرس لعبادة آمون ، وهواتساع أكبر من مساحة « نوتردام دى بارى » وملحقاتها . . يتميز هذا المعبد بأنه يضم أكبر عدد من الأعمدة بين جميع معابد العالم القديم والعالم الحديث على السواء .

غابة من الأعمدة العالية الضخمة اصطلح على تسميتها أثرياً باسم « قاعة الأعمد العظمى » . . تضم ١٣٤ عموداً يبلغ ارتفاع كل عمود منها نحو ٢٣ متراً ويعلو كلاً منها تاج مستدير يبلغ محيطه نحو ١٥ متراً وتكفى مساحة دائرته لوقوف ٥٠ رجلاً .

وحتى ندرك مدى ضخامة الجهود التى بذلها الفراعنة فى تشييد وإقامة تلك القاعة العظمى ، نشير إلى أن بناءها قد بدأ فى عهد أمنحوتب الثالث ، ثم تواصل فى عهد حورمحب [آخر ملوك الأسرة ١٨] . . ثم استمرت أعمال البناء والتشييد والزخرفة فى عهود رمسيس الأول ثم سيتى الأول ثم رمسيس الثانى [من ملوك الأسرة ١٩] .

وكان معبد آمون بالكرنك يتضمن عدداً من المسلات التى أقامها أو أقيمت لذكرى الملك تحوتمس الأول [الأسرة ١٨] والتى كانت ترتفع إلى نحو ٢٣ متراً ويبلغ وزن الواحدة منها نحو ١٤٣ طنا ، وكانت أعلى تلك المسلات المسلة التى أقامتها ابنته الملكة حتشبسوت تخليداً لذكراه ، وهى المسلة الوحيدة التى مازالت قائمة من بين تلك المسلات .

وهناك أيضا قاعة أخرى للأعمدة المستطيلة الشكل تضم صفين من الأعمدة الضخمة بواقع ٣٢ عموداً لكل صف . وتدل بعض الشواهد الأثرية التى يرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادى على أن هذه القاعة قد استخدمت ككنيسة فى العصر القبطى .

وفى الجهة الجنوبية من معابد الكرنك تقع « البحيرة المقدسة » التى تمتد نحو ١٢٥ متراً . وقد ذكر هيرودوت أن كهنة آمون كانوا يجرون فيها طقوس العبادة الليلية . . كما تقع بقايا مبنى يقال انه « مقبرة أوزيريس » . . ثم نرى سلسلة الصروح الجنوبية . .



صورة من كتاب وصف مصر لقاعة الأعمدة بمعبد آمون رع بالكرنك . وقد قام عالم الآثار الانجليزى « سير نورمان لوكيار » بدراسة مقاييس وزوايا هذه القاعة وأثبت أن من المؤكد أن قدماء المصريين كانوا يستعملون هذه القاعة لأغراض فلكية حيث أنها منطبقة تماماً على خط غروب الشمس اثناء الانقلاب الصيفى

ومعبد إله القمر « خونسو » وهو الابن الشرعى للإله آمون والإلهة موت . . ثم نرى صرح « يورجيتس » ومعبد « أوبت » ومعبد « نوت » ومعبد «بتاح » ومعبد « مونت » وبوابته الأثرية الرائعة . . ثم يبدأ « طريق الكباش » الذى كان يمتد حتى معبد الأقصر.

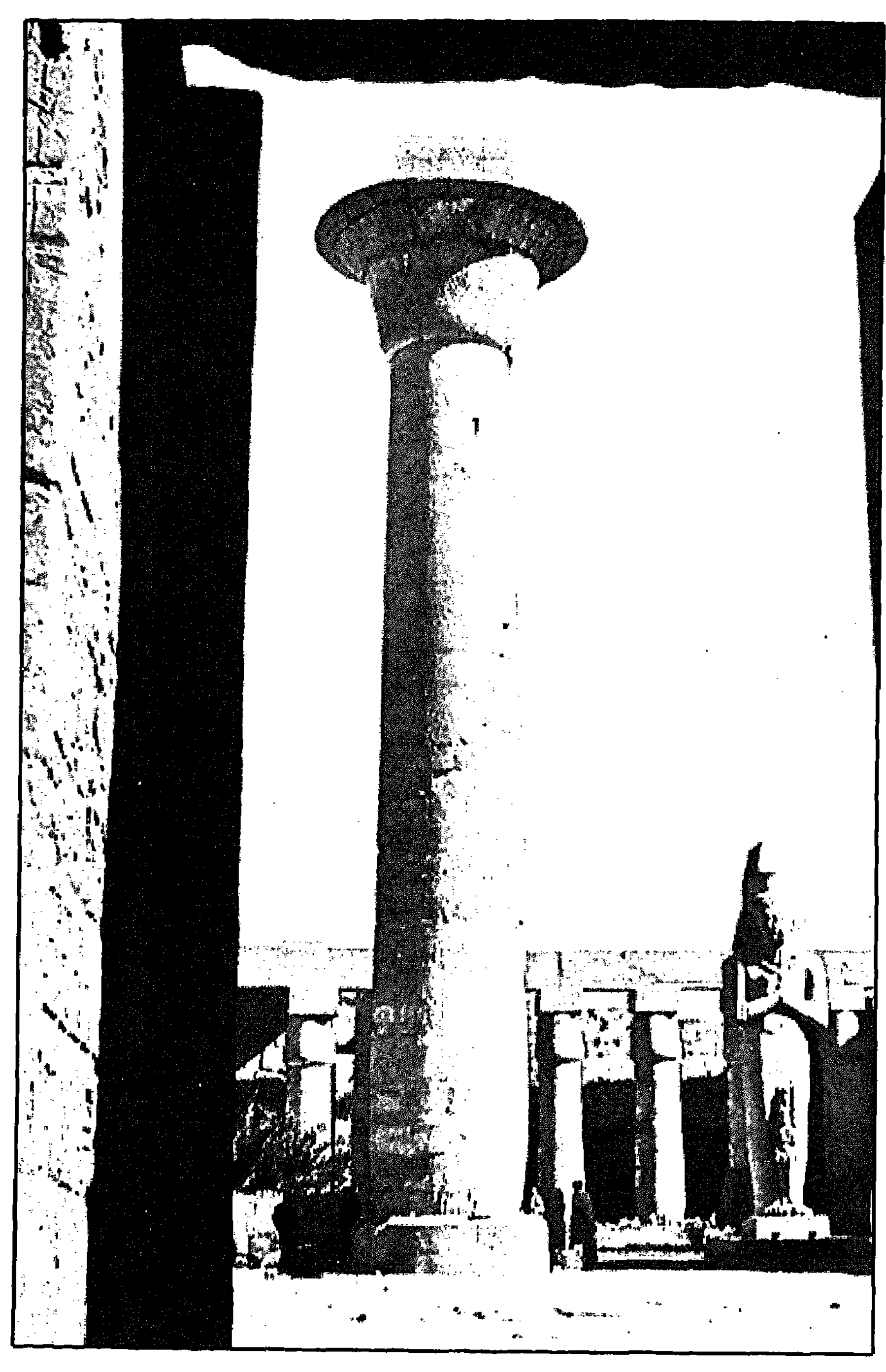
وتدل الشواهد الأثرية على أن عدداً كبيراً من الفراعنة قد ساهموا فى بناء وتشييد المنشآت العديدة فى أرجاء الكرنك . . بدءاً من فراعنة الأسرة الثانية عشرة حتى فراعنة آخر الأسرات . . وعلى سبيل المثال نشير إلى عمود طهرقا الذى يرتفع نحو عشرين مترا ويرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الخامسة والعشرين [عام ٦٨٠ ق م] . وعدد من التماثيل والمنشآت التى أقامها ملوك الأسرة السادسة والعشرين . . بل ان « فيليبوس آرهيدايوس » وهو أخ للاسكندر الأكبر قد أقام تذكاراً يخلد به ذكرى تتويج أخيه فرعوناً على مصر .

ولكى ندرك مدى ضخامة حجم العمل فى معابد الكرنك ، نشير إلى النص الأثرى الذى يرجع تاريخه إلى الأسرة التاسعة عشرة والذى ذكر احصاءً لعدد العاملين فى معبد آمون وحده . . وكان عددهم ٨١.٣٢٢ فرداً من الكهان والحراس والعمال والفلاحين ، كما ذكر حصراً بالثروات الطائلة التى كان يمتلكها المعبد من ذهب وفضة ومجوهرات وأراض زراعية وعبيد ومصانع ومخازن .

وإذا كان الكرنك قد ظل قائما منذ آلاف السنين ، فسوف يظل لآلاف أخرى من السنين خير شاهد على عظمة وخلود الحضارة المصرية التى ضربت جذورها فى أعماق الزمن .

● عبور النيل .. إلى كنوز الغرب :

وإذا كانت طيبة الشرقية حافلة بتلك المجموعة الرائعة من التكوينات المعمارية الدينية الضخمة ، متمثلة فى معبد الأقصر ومعابد الكرنك ، ففى طيبة الغربية كنوز هائلة من المعالم الأثرية التى ذاعت شهرتها فى العالم أجمع . . ولكن علينا أولاً أن نعبر النيل لنصل إلى هناك .



عمود الملك طهرقا بالكرنك



بقايا طريق الكباش الذى كان يصل بين شاطىء النيل ومدخل معبد الكرنك .

● معبد الدير البحرى :

أول ماسوف نراه هناك هو المعبد الجنائزى الذى بنته الملكة حتشبسوت والذى عرف عالمياً باسم معبد الدير البحرى .

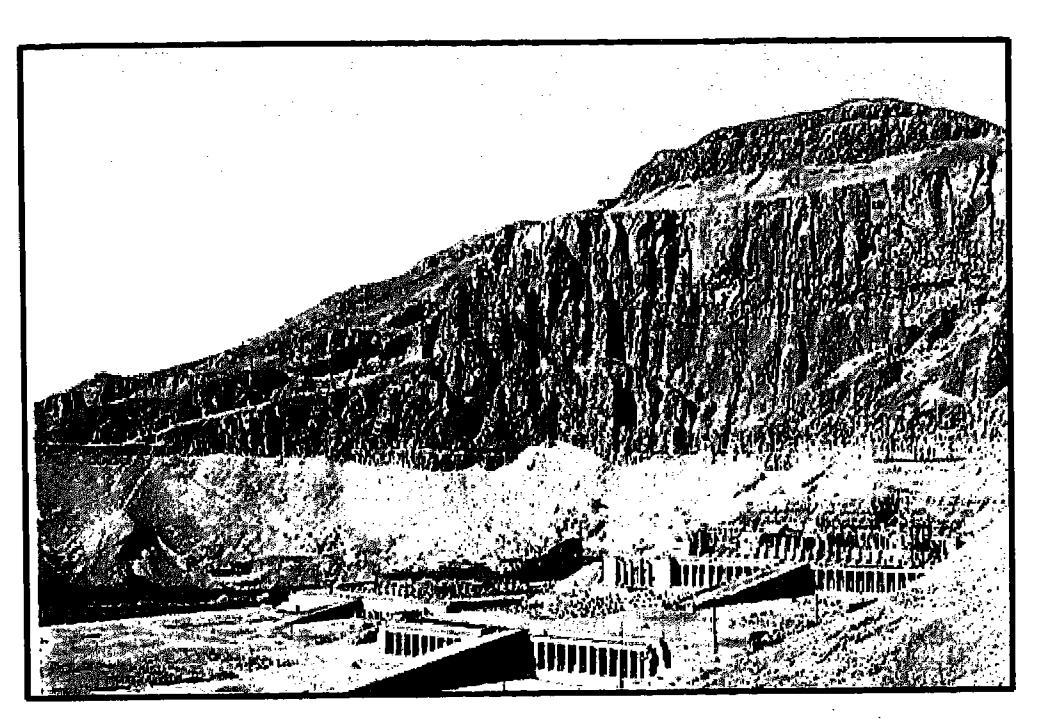
ويجمع علماء الآثار على اعتبار هذا المعبد إحدى قمم العمارة المصرية القديمة ، ويمثل ثورة حقيقية فى علم الهندسة المعمارية . . وضع تصميم هذا المعبد الفريد وأشرف على بنائه المهندس « سننموت » الذى كان المستشار الأول للملكة فى كل الأمور . . وتمثلت عبقريته فى جميع الوظائف الرفيعة التى كان يشغلها . . فقد كان مديراً للحقول والمخازن الملكية ، ومديراً عاماً لأملاك العائلة المالكة ، ومشرفاً على جميع الأعمال الهندسية والمعمارية التى شيدت بأمر حتشبسوت سواء فى معابد الكرنك أو منشآت غرب طيبة ، ومشرفاً عاماً على عمليات تقطيع الصخور ونقل المسلات الضخمة ، بل وبلغت عبقريته إلى حد اختراع بعض الكتابات الرمزية المعقدة بعد أن قام بأبحاث متعمقة فى أصول الكتابة الهيروجليفية .

وفضلاً عن التفرد المعمارى لهذا المعبد الذى ليس له مثيل فى معابد العالم القديم كله ، فإن جدران هذا المعبد العظيم وأبهاءه مزدانة بنقوش ومناظر ونصوص فريدة لعل أهمها التقرير التفصيلى المدعم بالصور الوصفية لتلك الحملة البحرية التجارية الشهيرة التى أبحرت فيها الأساطيل المصرية إلى بلاد « بونت » [يقال انها الصومال أو بلاد اليمن أوهما معا] .

وفى البدايات المبكرة لظهور المسيحية فى مصر ، اتخذ بعض الرهبان من معبد حتشبسوت ملاذا للعبادة والانزواء ، وأطلقوا عليه اسم « الدير الشمالى » ومن هنا جاء اسم « الدير البحرى » الذى اشتهر به المعبد شهرة عالمية .

● مدينة هابو :

لأن مدينة هابو - التى تقع فى المنطقة الجنوبية من طيبة الغربية - كانت تضم مجموعة متكاملة من المنشآت الدينية والمدنية ، وكان كثير من هذه المنشآت ضخماً



معبد الدير البحرى الذى أقامته الملكة حتشبسوت بالبر الغربى للأقصر . . معبد فريد فى نوعه ، وضع تصميمه المعمارى المهندس سننموت ، ولا يوجد له مثيل فى العالم القديم كله .

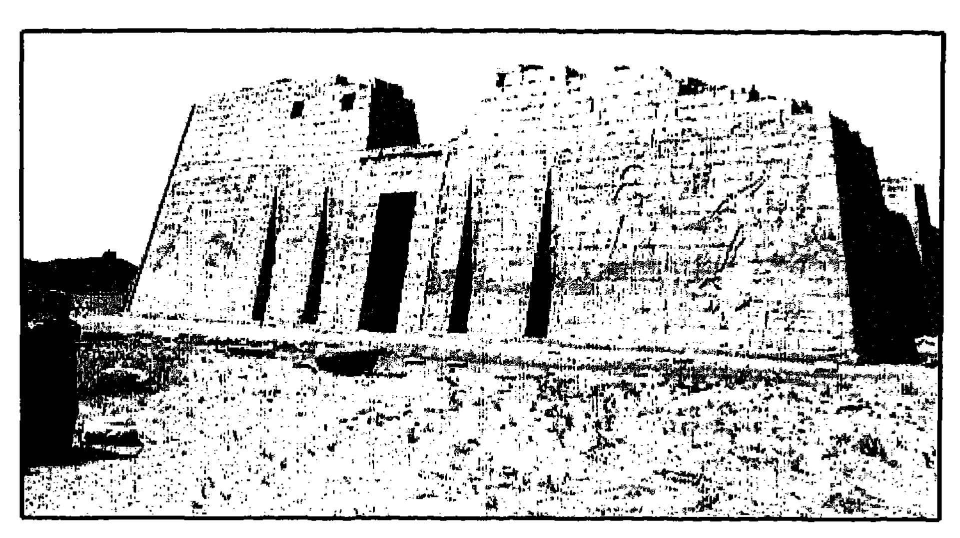
وعظيم الارتفاع ، فقد ظلت على مدى مئات السنين تستعمل كمحجر للأحجار الجاهزة للبناء لكل من كان يريد البناء من الأهالى أو من الجهات الحكومية . ولذلك فقد خُرّبت المدينة تخريباً شديداً ، ومع ذلك فقد ظلت الكثير من المبانى والمنشآت الدينية والمدنية تشهد على مدى الجلال والضخامة والعظمة حين كانت المدينة تعيش أزهى عصورها .

ومن أضخم آثار مدينة هابو المعبد الجنائزى الذى بناه الملك رمسيس الثالث [الأسرة العشرون حوالى عام ١١٩٥ ق م] . . وأهم ماتتميز وتتفرد به عمارة هذا المعبد شرفته العالية التى بنيت فوق مدخله الذى يأخذ شكل وطراز القلاع السورية . . كما تتميز حوائطه وجدرانه الخارجية والداخلية بمناظر ضخمة تمثل الحياة الدينية والمعارك الحربية ضد « شعوب البحر » التى كانت تشن غاراتها على الحدود المصرية ،فتصدى لهم هذا الملك الشجاع الذى يعتبره المؤرخون آخر الفراعنة المحاربين العظام ، ودخل معهم فى معارك حربية طاحنة سواء فى ليبيا أوفى شمال الدلتا أو فى حدود مصر الشرقية ، فحاربهم حتى دحرهم وانتصر عليهم براً وبحراً .

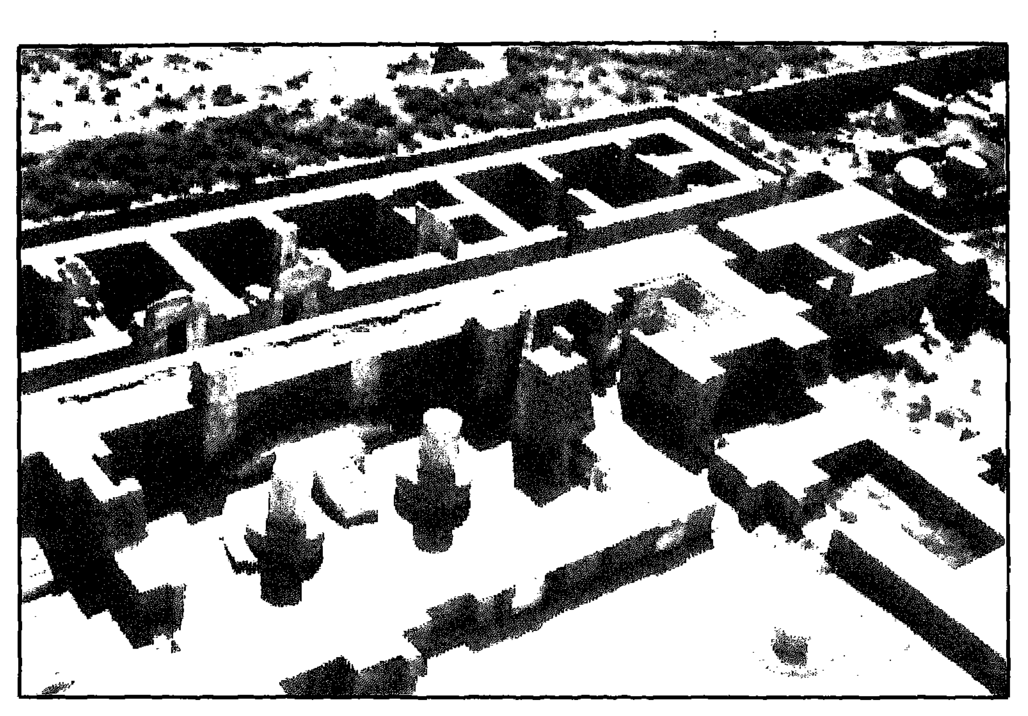
ويلاحظ زائر مدينة هابو على الفور ذلك الطابع الحربى المكثف لمعظم النقوش الجدارية التى تعلو حوائط وجدران معظم المبانى والمنشآت الضخمة . . ويلاحظ أيضا مبنى القصر أو الجناح الملكى الذى كان يقيم به رمسيس الثالث أيام الاحتفالات الدينية والمناسبات الرسمية .

وقد دلت الاكتشافات الأثرية الحديثة على وجود العديد من البيوت والقصور الصغيرة التى بناها النبلاء وعلية القوم وكبار الموظفين بجوار القصر الملكى . . ولكن من المؤسف أن معظم هذه المبانى قد تهدمت ونهبت أحجارها فكادت أن تندرس تماماً ولم يعد قائماً منها بشكل معقول سوى البيت الذى كان يعيش فيه المفتش العام لجبانة طيبة .

كذلك فقد تم العثور على بقايا مبان يعود تاريخها إلى بدايات العصرالقبطى . . كما



مدخل المعبد الجنائزى [مدينة هابو] فى البر الغربى للأقصر ـ من عهد رمسيس الثالث [الأسرة ٢٠]



بقايا قصر الملك رمسيس الثالث بمدينه هابو

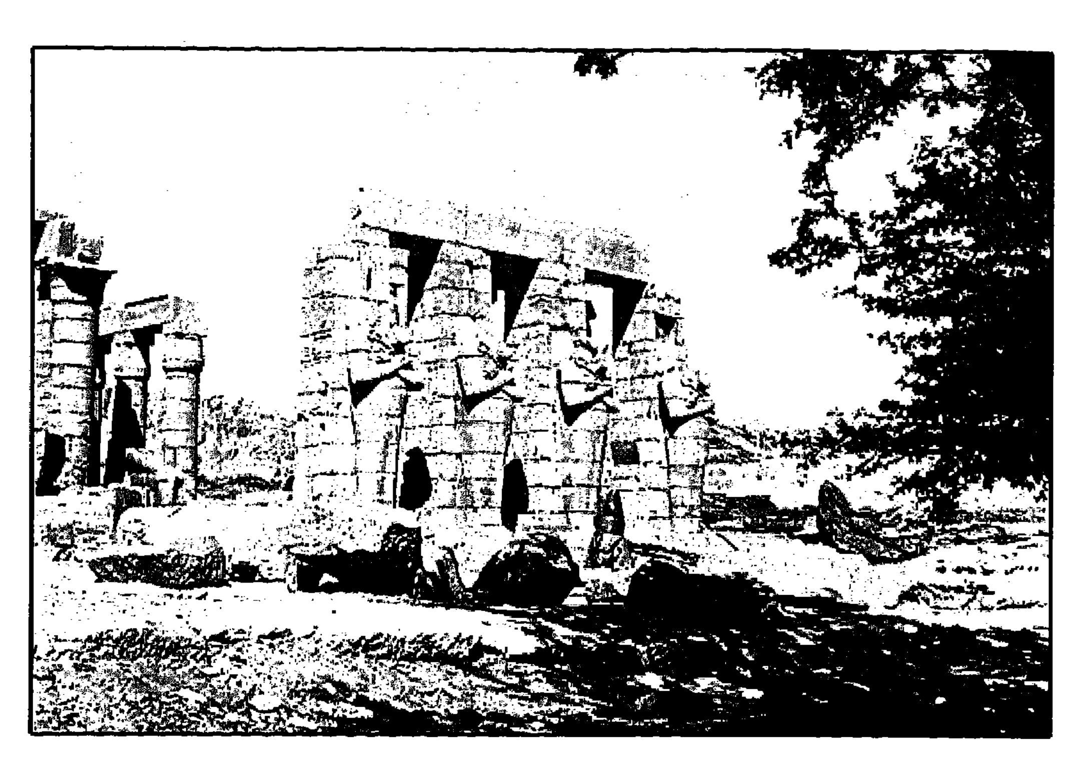
عشر أيضا على كثير من البرديات وقطع الفخار دونت عليها نقوش ونصوص قبطية .

● معبد الرمسيوم :

الرمسيوم هو الاسم اللاتينى الذى أطلق فى القرن التاسع عشر على آثار المعبد الجنائزى الضخم الذى بناه« سيد البنائين » الملك رمسيس الثانى [الأسرة التاسعة عشرة حوالى عام ١٣٠١ ق م] والذى أطلق على هذا المعبد اسم « مقر ملايين السنين » . . وعندما زار المؤرخ « ديودور الصقلى » مصر فى القرن الأول قبل الميلاد انبهر بضخامة هذا المعبد وضخامة التماثيل الكبرى التى كانت مقامة فيه . . وذلك بالرغم من أن المعبد قد تعرض فى عصور سابقة إلى كثير من أعمال الهدم والتخريب ، خصوصاً تلك الأعمال البربرية التى قام بها الملك الفارسى« قمبيز » عند غزوه لمصر حوالى عام ٥٢٥ ق م . ومع ذلك فقد ظلت أطلال وبقايا هذا المعبد العظيم باقية حتى الآن لتشهد على عمل معمارى ضخم كان يتميز بالروعة والجلال الذى تميزت به كل أعما ل رمسيس الثانى. ويدلنا التمثال المحطم للملك على مدى ضخامته حين كان قائما . . فهو منحوت من كتلة واحدة من الجرانيت الرمادى المائل إلى الصفرة ، ويمثل الملك رمسيس الثانى جالساً على عرشه بارتفاع يصل إلى ١٨ مترا فإذا أضيف إليه التاج المكسور فيصل ارتفاعه إلى ٢٣ مترا . ويبلغ عرض التمثال عند الكتفين ٧ أمتار ، ويصل طول إصبع السبابة إلى نحو متر واحد . . أما وزن التمثال كاملاً فيصل إلى نحو ألف طن . ولنا أن نتصور مدى الجهد الجبار للأعمال التنفيذية الخاصة بنقل هذه الكتلة من محاجر الجرانيت باسوان حتى إقامتها تمثالاً فى الموضع المخصص له بهذا المعبد .

وتتضمن جدران المعبد نقوشا لمناظر دينية وحربية مختلفة تصور معارك الملك ضد الحيثيين فى عقر دارهم ، وتصوره وهو يقود جيشه ليدك حصونهم وقلاعهم . . بالإضافة إلى مناظر أخرى للملك وهو يقدم القرابين للآلهة أو وهو يمارس الطقوس الدينية الخاصة بالآلهة آمون ومين وبتاح وغيرهم .

وبالاضافة إلى الوظيفة الدينية التى كان يقوم بها هذا المعبد ، فقد كان يؤدى وظيفة



معبد الرمسيوم الجنائزى . . بناه رمسيس الثانى فى البر الغربى بالأقصر



تمثالان ضخمان لرمسيس الثانى فى الهيئة الاوزيريسية بمعبد الرمسيوم

فنية على درجة كبيرة من الأهمية . . حيث كان معهداً للتدريس وتدريب الكتاب والفنانين على أعمال الكتابة والنقش والرسم والنحت والحفر والتلوين .

● تمثالا ممنون .. ومعابد أخرى :

ومن المعابد الأثرية الباقية بمناطق طيبة الغربية المعبد الضخم الذى بناه الملك «منتوحتب الثانى » فى مكان مجاور لمعبد الدير البحرى . . ولما كان هذا الملك من ملوك الدولة الوسطى ، فقد تميز معبده بالملامح العامة التى كانت سائدة فى عمارة الدولة القديمة ، مع تباشير الطرز المعمارية التى سادت فيما بعد فى عصرالدولة الحديثة .

كذلك فهناك معبد آخرشيده « تحوتمس الأول » فى مكان قريب من الذى اختاره «رمسيس الثالث » لتشييد معبده فى مدينة هابو .

وإذا كانت آثار هذين المعبدين مازالت باقية وشاهدة ، فقد اندرست تماماً جميع الآثار التى تدل على وجود المعبد العظيم الفخم الذى شيده الملك « أمنحوتب الثالث » فى منطقة السهل الواسع الذى يقع بين ضفة النيل ووادى الملوك . . ولم يعد باقياً من هذا المعبد سوى التمثالين الضخمين للملك أمنحوتب الثالث . . وهما التمثالان اللذان شاعت تسميتهما باسم « تمثالى ممنون » واللذان اعتبرا من عجائب الدنيا فى العالم القديم .

وقد أشرف على بناء وتصميم هذين التمثالين مهندس عبقرى من أبناء الشعب المصرى ، ولد بمدينة إتريب بالقرب من مدينة بنها اسمه « أمنحوتب بن حابو » . . وقد أقام كلاً منهما منحوتاً من كتلة واحدة من الحجر الرملى المستجلب من منطقة الجبل الأحمر بالقرب من القاهرة . . أى من مكان يبعد عن مكان إقامة التمثالين بنحو ٧٠٠ كيلو متر .

ويبلغ ارتفاع كل تمثال نحو ١٥ متراً بدون القاعدة . . وفى عام ٢٧ ق م ، حدث زلزال هز شرق طيبة وغربها وأثر على الكثير من آثارها كما أدى إلى انشطار التمثال الشمالى إلى نصفين عند وسطه ، الأمر الذى أدى بالتالى إلى إحداث فعل داخلى ينتج عن التغيرات التى تحدث للرطوبة عند تغير درجة الحرارة فى الفجر وعند بزوغ

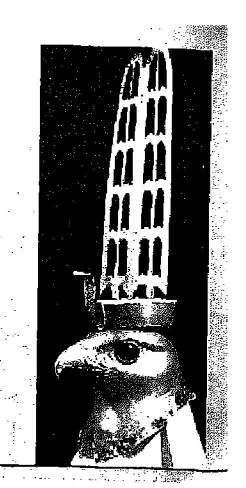
الشعاعات الأولى لشمس الصباح . . فكانت تخرج من التمثال ذبذبات صوتية منغمة حارت فيها عقول السامعين .

وسرعان ما انتشرت سمعة هذه الظاهرة فـى أرجاء العالم القديم . . وتلقفها شعراء الاغريق والرومان القدامى وحكوها فى شكل اسطورةمن الشعر الملحمى البليغ . . تقول أن التمثالين للبطل الاثيوبى « ممنون » الذى سقط شهيداً فى حروب طروادة ، فحزنت عليه أمه « أورورا» ربة الفجر ذات الأصابع الوردية حزناً شديداً . . واستأذنت الإله «جوبتر » لتقوم بزيارة ابنها كل صباح يوم جديد . . وفى هذه الزيارة كانت تصدر آهات الأنين كالأنغام الموسيقية الحزينة التى يسمعها الناس .

وكان من نتيجة ذيوع هذه الظاهرة والاسطورة المرتبطة بها وفود الآلاف من الحجاج والزوار من كافة المناطق التابعة للامبراطورية الرومانية فى أوربا وافريقيا وآسيا لسماع تلك الموسيقى السحرية . . وكتب الشعراء مزيداً من القصائد ، كما كتب عنها معظم المؤرخين القدماء وعلى رأسهم سترابون ، وبوسانياس ، وتاكيتوس ، ولوسيانوس ، وفيلوستراتس . . كما زارهما من أباطرة الرومان هادريان وسبتيموس سيفيروس الذى أمر باصلاح التمثالين فاختفى صوت الموسيقى .

ولم يبق لنا فى تلك الجولة بين آثار طيبة الغربية سوى زيارة كنوز وادى الملوك ووادى الملكات ودير المدينة ومقابر النبلاء . .





بيبان الملوك .. وبيبان الحريم

ومازلنا فى أعماق التاريخ نجوب ديار الخلود . . فى مدينة الأمجاد العظمى التى خلدت ذكرى الملوك العظام . . أولئك الذين تغلبوا على الزمن بأعظم مابناه الانسان القديم . . حين كان يتعبد ويسبِّح . . وحين كان يموت ويذهب فى ذمة الإله . .

وعزمنا على الرحيل إلى وادى الملوك ووادى الملكات فى غرب النيل قبالة الأقصر . ولكن قبل أن نعبر النيل من ضفاف الشرق ، تقع الأعين على مبنى حديث جميل الطراز، ثرى المحتويات ، حافل بالكنوز . . فلندخل لنرى مافيه . .

● زيارة سريعة لمتحف الأقصر :

اسمه الرسمى : متحف الفن المصرى القديم بالأقصر . . وضع تصميمه المعمارى - الخارجى والداخلى - الدكتور مهندس محمود الحكيم . وقد بدىء فى بنائه عام ١٩٦٤ ، وانتهى البناء عام ١٩٦٩ ، ثم ظهرت عدة عقبات ادارية وفنية عطلت عمليات تزويد المتحف بالمعروضات ، إلى أن تم الافتتاح أخيراً فى عام ١٩٧٥ .

وبمجرد الدخول إلى أول صالة من صالات المتحف وأبهائه ، سيلمس الزائر على الفور أنه أمام عرض فنى حديث ومبتكر ، ويختلف تماماً عن طريقة عرض الآثار والتحف فى سائر متاحف الآثار المصرية الأخرى .

هناك آلاف القطع الأثرية ، وكلها مما تم العثور عليها فى مناطق معبدى الأقصر والكرنك وسائر أنحاء الضفة الغربية لهذه المدينة فى مناطق الدير البحرى ووادى الملوك ووادى الملكات ودير المدينة والمناطق الأثرية الأخرى بغرب طيبة ،مثل العساسيف ودراع أبو النجا وخوخة والجرنة وشيخ عبد الجرنة وجرنة مرعى وغيرها من المناطق الأخرى .

وبالإضافة إلى جماليات العرض المتحفى ، يتميز متحف الأقصر باتباع أسلوب العرض العلمى لما يحتويه من قطع أثرية تمثل مختلف العصور ، بدءاً من عصور ماقبل التاريخ [أى قبل عام ٣٢٠٠ ق م] ، ومروراً بجميع العصور التاريخية المصرية [العصر العتيق والدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة والعصر اليونانى الرومانى - الجريك رومان - والعصر القبطى والعصور الاسلامية حتى عصر المماليك] .

ومن العسير أن نلم بكل محتويات المتحف ، وكلها تستلزم التأنى فى المشاهدة ، ولايكفيها ذلك الوقت الضيق فى تلك الزيارة السريعة . ونكتفى بعرض بعض التحف التى تعطينا فكرة موجزة عن معروضات هذا المتحف الذى يقدم المعلومات التاريخية والأثرية فى إطار من المشاهدة الجذابة الممتعة .

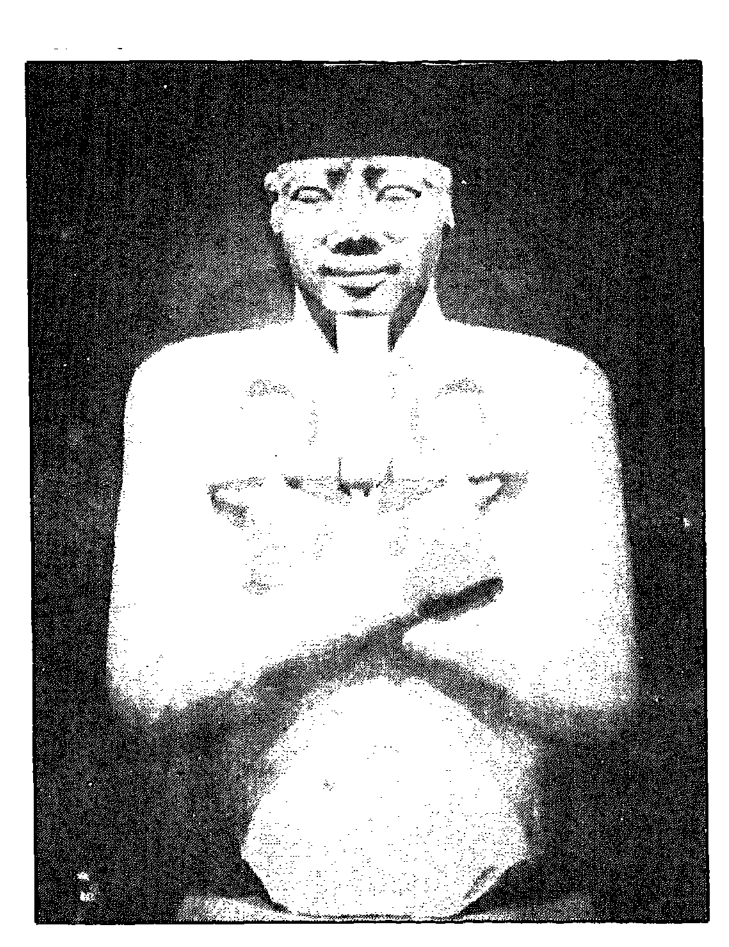
* مجموعة من الأوانى ذات أشكال مختلفة مصنوعة من الفخار الملون ، يرجع تاريخها إلى عصور ماقبل التاريخ ، أى قبل عام ٣٢٠٠ ق م ، وتدل على مدى قدرة وذوق الصانع المصرى فى الابتكار والتصميم الفنى منذ تلك الازمان السحيقة فى القدم .

* مجموعة من « الودائع » المصنوعة من الخزف والبرونز التى عثر عليها مدفونة تحت أساس معبد الملك « منتوحتب الثانى » [من ملوك الدولة الوسطى] وهو المعبد المجاور لمعبد الدير البحرى الذى بنته الملكة « حتشبسوت » [من ملوك الدولة الحديثة] . وكان قدماء المصريين هم أول من ابتكر فكرة دفن بعض «الودائع » التى تمثل العصر تحت أساس مبانى المعابد والمبانى التذكارية الهامة بصفة عامة .

* ومن أجمل معروضات المتحف ذلك التمثال الرائع للملك « تحوتمس الثالث » وهو منحوت من حجر « الشست » المائل للاخضرار . وبالرغم من شدة صلابة هذا الحجر إلا انه كان طوع بنان الفنان المصرى القديم الذى بث فيه كل هذا القدر من الجمال والرقة ، وصوّر فيه أرقى ملامح النبل والعظمة . وقد عثر على هذا التمثال الرائع فى ٨ مايو ١٩٠٤ مدفونا بالخبيئة التى عثر عليها شمال الصرح السابع فى معابد الكرنك . والتمثال متوسط الحجم لايزيد ارتفاعه عن ٩٠ سم .



الودائـــع



تمثال الملك سنوسرت الأول



تمثال الملك تحوتمس الثالث

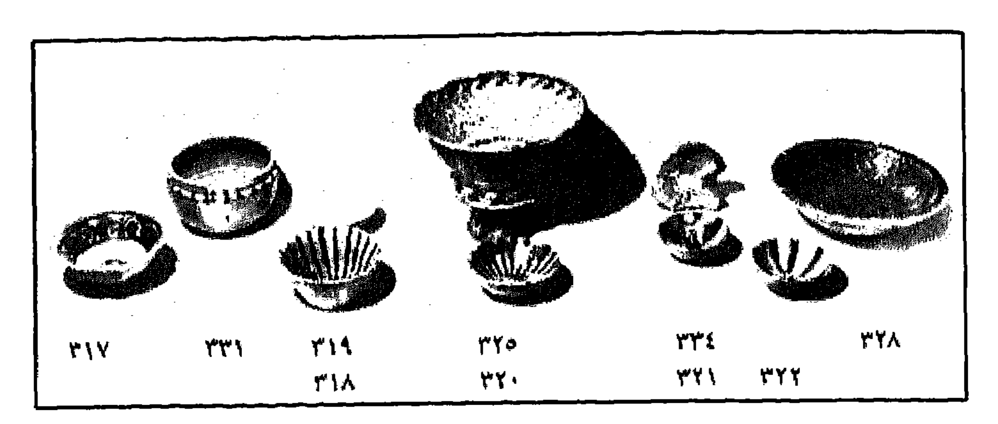




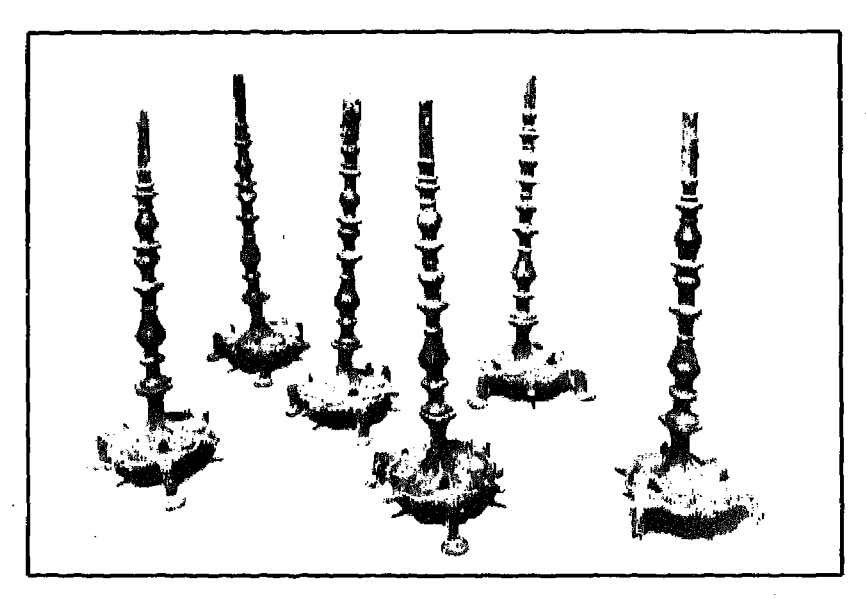


الكرتوناج الأغلفة الكرتونية للسيدة شب إن خنسو





مجموعة السلطانيات الفخارية



مجموعة حوامل المصابيح البرونزية

* مجموعة من السلطانيات الصغيرة التى يرجع تاريخها إلى العصر المملوكى [النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى] - عثر عليها أثناء حفر طريق الكباش [أو طريق أبى الهول] بمعبد الأقصر .

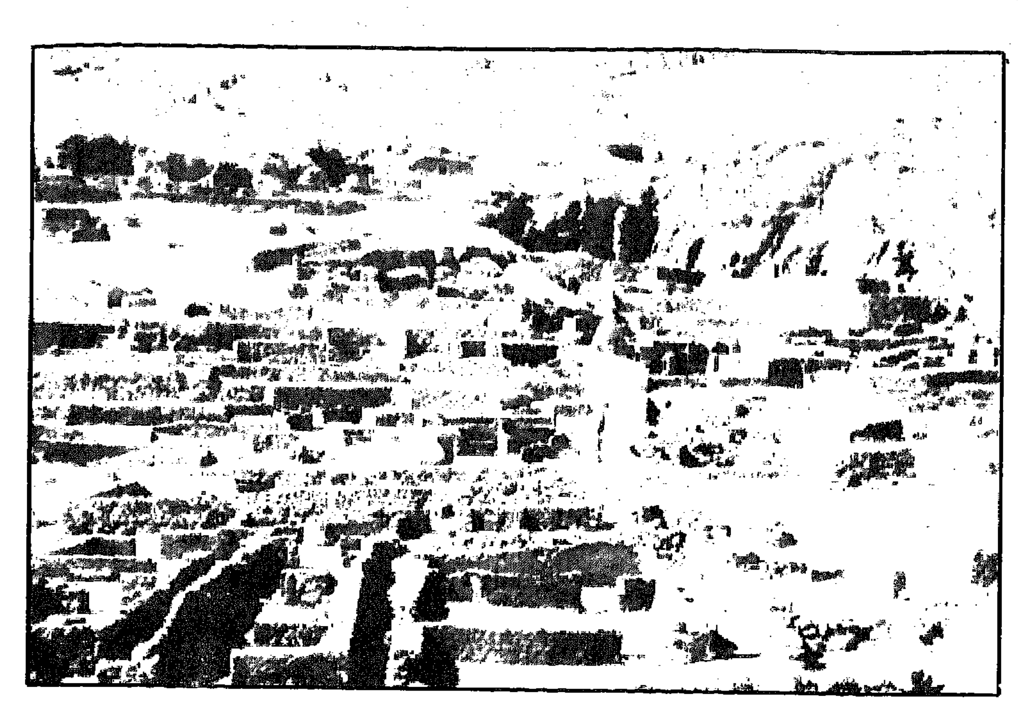
● وادى الملوك .. وتاريخ طويل لأعمال السلب والنهب :

هاهى أرض الغرب الجميل . .
تبتلع الموتى دون أن تفكر فى أن تستريح . .
وتعطى ميلاداً جديداً لنفسها كل حين . .
وإلى الأبد . .
تخيف أرواح الأشرار السيئين . .
وتذهب بأرواح الأخيار الطيبين . . إلى أنهار وحقول « إيارو » [النعيم] . .
لتعيش مع كل الآلهة الطيبين . .
ملايين ملايين السنين . .

وادى الملوك . . ويسمونه أيضا « بيبان الملوك » . . هو واد غير ذى زرع ، يقع بين الجبال الصخرية بغرب طيبة [الأقصر] . بدأ تاريخه بفكرة بائسة طرأت فى ذهن الملك «تحوتمس الأول » [من ملوك الدولة الحديثة - الأسرة الثامنة عشره] حين أراد أن يدفن فى مكان خفى مجهول يتّقى به شر لصوص المقابر . . وهى فكرة تتناقض تماماً مع كل الفراعنة السابقين الذين جلسوا مثله على عرش مصر على مدى ١٧٠٠ سنة قبل عصره . . فهم كانوا يشيدون أهرامهم ومقابرهم فى أماكن ظاهرة ومعروفة ، ويشيدون بجانبها أفخر المعابد الجنائزية التى كانت تدل عليها وتسهل الأمر أمام لصوص المقابر .

وهكذا كلف « تحوتمس الأول » مهندسه المعمارى «إنينى » ليختار له مكاناً قصياً خفياً وسط الجبال بغرب طيبة ليكون مقراً أبدياً للملك حين يموت .

وقام « إنينى » بالبحث بين تلك الجبال الصخرية إلى أن عثر على هذا الوادى الذى يتميز بالهدوء والعزلة ، وشيد فى بطن الجبل أول مقبرة ملكية فى هذا الوادى ، جعلها



منظر عام لبقايا مساكن العمال والبنائين والفنانين والمديرين الذين ظلوا يعملون نحو خمسمائة عام فى حفر وتزيين مقابر الملوك والملكات منذ عهد تحوتمس الأول حتى عهد رمسيس الحادى عشر . وتقع هذه المساكن فى منتصف المسافة بين وادى الملوك ووادى الملكات

على شكل ممر طويل يهبط إليه بعدة درجات ، ويمتد فى عمق الجبل حتى يصل إلى غرفة الدفن حيث يسجى جثمان الملك داخل تابوته الحجرى الذى يضم توابيته الذهبية الأخرى .

وعلى طراز هذه المقبرة ، حفر فراعنة الدولة الحديثة [الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠] مقابرهم فى الجبل الذى يحيط بهذا الوادى ، مع اختلاف وتباين فى طريقة التصميم الهندسى وعدد الحجرات واعمال النقش والزخرفة والتزيين .

ولكن هذه الفكرة التى طرأت فى ذهن « تحوتمس الأول » والتى تبعه فيها جميع فراعنة الدولة الحديثة الذين حكموا مصر من بعده [عدا اخناتون الذى شيد مقبرته بتل العمارنة بمحافظة المنيا . . والملك « امنحوتب الثالث » والملك « آى » اللذين شيدا مقبرتيهما بواد آخر مجاور لوادى الملوك يسمى وادى القرود] كانت فكرة غير صائبة ، فلم يسترح هؤلاء الملوك طويلا فى مدافنهم الخفية كما كانوا يعتقدون ، بل امتدت أيدى اللصوص القدماء الذين كانوا يتسللون ليلاً إلى تلك المقابر ، ويفتحونها عنوة ليستولوا على كل ماكانت تحتويه من كنوز الذهب والفضة والمجوهرات والأثاث الجنائزى الفاخر.

ولحسن الحظ فقد تم العثور على وثيقة تاريخية ترجع إلى عصر الأسرة العشرين تتضمن ملفاً كاملاً للتحقيق ولمحاكمة عصابة من لصوص المقابر الذين اقتحموا مقبرة ملكية ونهبوا ماكان فيها من كنوز وأثاث ، وحطموا تابوتى الملك والملكة ومزقوا أكفانهما ليسرقوا ماكانت تتزين به كل مومياء من حلى ومجوهرات .

وظلت أعمال اقتحام مقابر وادى الملوك على أشدها خلال العصور القديمة ، ليس لأعمال السلب والنهب وحدها ، وإنما بقصد انقاذ الفراعنة أيضا ، فقد كان الكهنة القدماء يقومون بنقل مومياوات الفراعنة المدفونين فى وادى الملوك إلى مقابر أخرى غير مدافنهم الأصلية ، وذلك بقصد حمايتهم وحماية ماتبقى من مقابرهم من عبث اللصوص ، وكانوا يعيدون دفن هؤلاء الفراعنة فى خبيئات خفية أو فى مقابر ملكية أكثر أمنا . . ويكفى أن نعرف أن الفرعون العظيم « رمسيس الثالث » قد أعيد دفنه مرتين متعاقبتين بعد دفنته الأولى بمقبرته الأصلية .

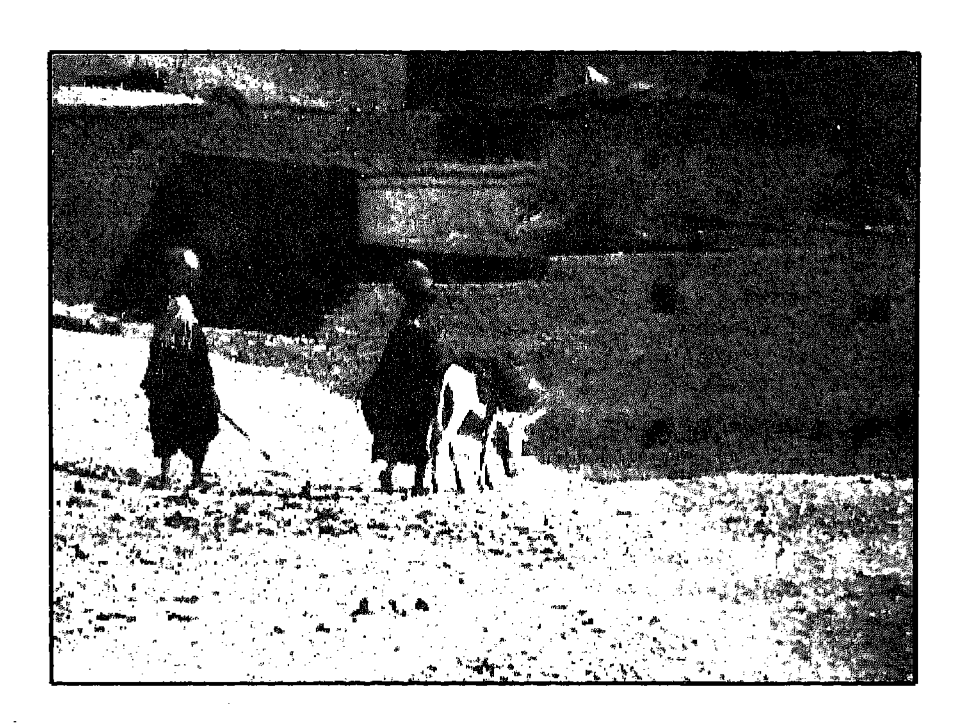
ومع ذلك فقد ظل سكان قرية الجرنة على مدى قرون طويلة يتسللون إلى تلك المدافن الخفية لنهب مافيها من كنوز كانوا يتاجرون فيها ويبيعونها بأبخس الأثمان ، وكانوا يتوارثون حرفة سرقة المقابر وتجارة المسروقات الأثرية جيلاً بعد جيل .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، كانت عائلة عبد الرسول تحتفظ بسر عظيم هو « الخبيئة الملكية » التى تتضمن مومياوات ٣٦ فرعوناً أعيد دفنهم على أيدى الكهنة القدماء فى العصور القديمة داخل مدفن جماعى معزول ومخفى جيدا فى مكان يصعب الوصول إليه .

وفى سنة ١٨٨١ م اكتشف هذا السرعند التحقيق مع أحد أفراد تلك العائلة حيث باح بهذا السر العظيم لأحد المسئولين الرسميين عن الآثار المصرية . . وحين وصل «إميل بروجش بك » نائب مدير المتحف المصرى للآثار بالقاهرة إلى تلك الخبيئة الملكية ودخل إليها وشاهد محتوياتها فى ضوء المشاعل ، رأى منظراً مذهلاً لفراعنة الدولة الحديثة العظام وهم راقدين فى أكفانهم جنباً إلى جنب . . وكانت من بينها مومياوات الملوك العظام « أحمس الأول » بطل التحرير وطارد الهكسوس . .و« تحوتمس الثالث » أعظم الفاتحين العسكريين فى العالم القديم . . و « رمسيس الثانى »الملقب برمسيس الأكبر ، سيد البنائين وسيد العالم القديم .

وفى خلال أسبوع من تلك الواقعة ، قام نحو مائتى رجل بتجميع هذ ه المومياوات الملكية ، ونقلوها عبر الوادى حتى وصلوا إلى شاطىء النيل ، وشحنوها على سفينة نهرية نقلتها إلى متحف القاهرة .

وحين كانت هذه الجنازة الملكية العظمى تُشَيَّع من الضفة الغربية للنيل لتوضع فوق السفينة . . وحين كانت السفينة تسير فى مجرى النيل فى طريقها إلى القاهرة ، كان الرجال يحيون الموكب الرهيب باطلاق بنادقهم فى الهواء . . وكانت النساء يطلقن صراخهن وعويلهن الحزين ، ويهلن التراب على رؤوسهن . . تماماً مثلما كانت تفعل النادبات النائحات اللواتى تملأ صورهن مقابر الفراعنة والنبلاء فى أقدم العصور التاريخية المصرية .



فى قرية القرنة المجاورة لوادى الملوك

وقد تم حصر ٦١ مقبرة فى وادى الملوك ، ومعظمها لملوك الدولة الحديثة [الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠] عدا بعض الاستثناءات البسيطة ، حيث شيدت بعض هذه المقابر لبعض « الأمراء » ذوى المعزة الخاصة ، كما شيدت مقبرة خاصة لحموى الملك «امنحوتب الثالث » وهما « يويا وتويا » والدا الملكة « تى » .

● أشهر المقابر فى وادى الملوك

وبعد نهب جميع هذه المقابر الملكية بوادى الملوك [عدا مقبرة توت عنخ آمون التى وجدت سليمة عام ١٩٢٢] ، ظلت معظم هذه المقابر مفتوحة طوال العصور القديمة، بل وكانت مزاراً سياحياً أثناء العصر اليونانى الرومانى . وخلال العصر القبطى اتخذ المسيحيون بعضها ككنائس أو ملاجىء يختبئون فيها هرباً من الاضطهاد الرومانى . ومن أشهر هذه المقابر الملكية :

● مقبرة رمسيس التاسع :

وبالرغم من التدمير الشديد الذى لحق بها فى العصور القديمة ، إلا أنها تتميز بمناظر ونقوش رائعة من « كتاب الموتى » . . و « كتاب الابتهالات » . . و « كتاب البوابات » . . وكلها من المناظر التى سيلقاها الملك المتوفى أثناء رحلته فى العالم الآخر.

● مقبرة رمسيس السادس :

وهى صغيرة المساحة قليلة العمق ، ولكنها تمتاز بالنقوش الرائعة التى تزين سقفها وتمثل موكب مراكب الشمس وهى تجتاز قسمى السماء فى رحلتى النهار والليل .

● مقبرة توت عنخ آمون :

وهى أشهر مقبرة ملكية فى العالم ، اكتشفها « هوارد كارتر » فى ٤ نوفمبر ١٩٢٢ وقد عثر عليها سليمة ، وبها كل الأثاث الجنائزى الذى دفن مع الملك الشاب . وقد وجدت مومياء الملك مسجاة داخل ثلاثة توابيت . وكان التابوت الخارجى مصنوعاً من الخشب المغطى بصفائح الذهب ، وكذا التابوت الأوسط ، أما التابوت الداخلى فهو مصنوع من الذهب المصبوب ، ويزن نحو ٢٠٠ كجم من الذهب الخالص المزين بالجواهر والأحجار الكريمة وشبه الكريمة .

● **مقبرة تحوتمس الثالث :**

وهى تتميز عن جميع مقابر وادى الملوك برسومها ونقوشها ذات الخطوط التى تحمل طابعاً خاصاً يجعلها مختلفة تماماً عن رسوم ونقوش جميع المقابر الملكية الأخرى .

● **مقبرة سيتى الأول :**

وهى أكبر مقابر وادى الملوك وأكثرها عمقا بداخل صخرالجبل ، وتتميز بكثرة ممراتها وحجراتها وقاعاتها الفسيحة ذات السقوف المحمولة على الأعمدة . وجميع جدارن المقبرة مزينة بأبدع النقوش التى مازالت محتفظة بألوانها .

● **مقبرة امنحوتب الثانى :**

وهى التى عثر عليها عالم الآثار الفرنسـى « لوريه » سنة ١٨٩٨ م ، وكانت تحتوى على الخبيئة الملكية التى تضم مومياوات امنحوتب الثانى وتحوتمس الرابع وامنحوتب الثالث وسيبتاح الثانى ورمسيس الرابع والخامس والسادس وثلاث مومياوات ملكية مجهولة لم يعرف أصحابها .

● **وادى الملكات .. أو بيبان الحريم :**

أما الزوجات الملكيات والأمهات الملكيات وصغارالأمراء والأميرات ، فقد تم دفنهم فى واد آخر يعرف باسم وادى الملكات أو بيبان الحريم ، ويقع خلف « مدينة هابو » على مسافة نحو كيلو متر ونصف كيلو متر جنوب وادى الملوك .

ويتضمن هذا الوادى نحو ٨٠ مقبرة تم اكتشاف أكثرها فى أوائل القرن العشرين ، وكان معظمها مخرباً تماماً وتبدو عليها آثار نيران وآثار أخرى تدل على أنها استعملت كاصطبلات للحمير وزرائب للمواشى فى العصور الغابرة . ومن أهم مقابر وادى الملكات :

● **مقبرة الملكة « تيتى » :**

وهى فيما يبدو كانت زوجة ملكية لأحد فراعنة الأسرة العشرين ، وبالرغم من





من النقوش الجدارية الملونة التيزينت بها مقابر النبلاء

استعمال هذه المقبرة كاصطبل للحمير على مدى مئات السنين ، إلا أن بعض أجزائها مازالت محتفظة بنقوش رقيقة يغلب عليها اللون الوردى .

● مقبرة الأمير « آمون - حر خوبش -إف » :

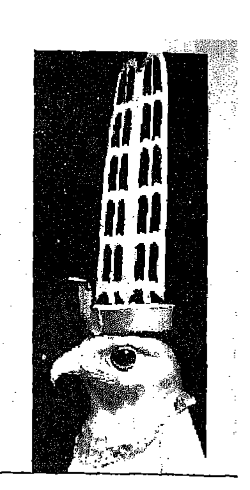
وهو أحد أبناء الملك « رمسيس الثالث » . . وتتضمن المقبرة نقوشا بديعة يغلب عليها اللون الأزرق . ومن أجمل هذه النقوش المنظر الذى يصور رمسيس الثالث وهو يتوسل إلى الإلهة «إيزيس » كى ترعى ابنه المتوفى وتحميه .

● مقبرة الملكة « نفرتارى » :

وهى الزوجة الملكية الرئيسية للملك « رمسيس الثانى » والأثيرة عنده . ومن الواضح أنها كانت على قدر كبيرمن الجمال وقوة الشخصية ، ويبدو ذلك جليا فى تماثيلها الضخمة المقامة على واجهة معبدها المجاور لمعبد زوجها بأبى سمبل ، وفى صورها الرائعة المنقوشة على جدران مقبرتها بوادى الملكات . ومن النصوص التى تثبت مكانتها الرفيعة نص يصفها بأنها « الزوجة الملكية الممدوحة كثيرا . . سيدة الرشاقة وراحة الحب . . ووارثة الوجه القبلى والوجه البحرى . . وماهرة اليدين فى الضرب بالصاجات . . والحلوة الحديث والغناء . . نفرتارى مرن موت . . زوجة الملك العظيمة ومحبوبته . . العائشة مثل السماء أبدا » .

وتعتبر مقبرتها من أجمل مقابر وادى الملكات ، وتتميز عن بقية مقابر الملكات الأخرى بنوع من « الفخفخة » الزائدة عن كل حد ، والجو النسوى الرقيق الذى يفوح من جميع أرجاء المقبرة منذ أول خطوة إلى داخلها ، والذى يُشعر الزائر بصفة مستمرة انه فى مقبرة الزوجة الملكية ، الرفيقة الجميلة ، المفضلة لدى « رمسيس الأكبر . . سيد العالم » كما كان يلقب نفسه .

ومنذ اكتشاف مقبرة « نفرتارى » سنة ١٩٠٤ ، لفتت نقوشها الجدارية البديعة انتباه علماء الآثار وعامة الناس ، وذلك نظراً لأهميتها التاريخية وقيمتها الجمالية النادرة . . ولكنها - للأسف - كانت فى حاجة إلى ترميم دقيق يبرز جمالها وبهاءها . . وقد تم تنفيذ مشروع ضخم اشترك فيه علماء ومتخصصون من المصريين والأجانب قاموا بهذه المهمة ، على أساس من دراسات علمية جادة .



سيد البنائين .. رمسيس الثانى ومعابده فى بلاد النوبة

على سطح المسلة المصرية التى تقف التى تقف شامخة فى ميدان الكونكورد بقلب باريس كلمات مكتوبة بالهيروجليفية تقول : « رمسيس » قاهر كل الشعوب الأجنبية . . السيد على كل من لبس تاجاً . . المحارب الذى هزم الملايين من الخصوم والأعداء . . والذى خضع العالم كله لسطانه ، معترفاً بقوته التى لاتقهر » . وكما ذكرنا من قبل ، يقول بعض المؤرخين الذين درسوا عصر « رمسيس الثانى » وتعمقوا فيه ، أن باريس نفسها لوكانت موجودة على أيامه ، لكان بالقطع قد فتحها وضمها إلى امبراطوريته المترامية ، ولكان من المؤكد انه سيقيم مسلة عظيمة تسجل هذا الحدث ، ربما فى نفس المكان الذى توجد فيه مسلته الآن بميدان الكونكورد .

● اسم رمسيس وألقابه :

يعتبر اسم « رمسيس » تصحيفا يونانيا للاسم المصرى حسب كتابته ونطقه باللغة المصرية القديمة وهو « رع مس سو » أو « رعمسّو » RA,MES,SOU ومعناه « الإله رع هو الذى خلقه» .

أما الاسم الرسمى والشخصى لرمسيس الثانى فهو « وِسِرْ ماعِت رع سِتبن رع » ومعناه الحرفى « رع قوى العدالة ومختار رع ».ويكتب اسم « رعمسيس » عادة بعد حذف العين لتسهيل الكتابة والنطق وليصبح كما درجنا عليه « رمسيس » بدلاً من «رعمسيس » .

وقد أطلقت عليه قديماً وحديثا عدة ألقاب منها « رمسيس الأكبر سيد العالم » ومنها « رمسيس الفاتح » وذلك تعبيراً عن الفتوحات العسكرية التى قام بها والحملات

الحربية التى قادها ، كما أطلق عليه أيضا لقب « سيد البنائين » تعبيرا عن المنشآت المعمارية الضخمة التى أمر بتشييدها أثناء حياته .

ورمسيس الثانى هو ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة التى تولت حكم مصر لفترة تزيد قليلا على مائة سنة ،بدأت عام ١٣٠٥ ق م وانتهت عا م ١١٩٦ ق م . . وهو ابن الملك العظيم « سيتى الأول » والملكة « موت تويا » . وقد شارك أباه فى الحكم منذ كان فتى يافعاً ، حيث أتيحت له فرصة التمرس فى أساليب الحكم فى الدولة بكل مافيها من الشئون الادارية والعمرانية ومباشرة العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية، وتعلم الفنون العسكرية وقياده الجيوش ونتائج الحملات الحربية التى قادها والده فى آسيا وأفريقيا .

● سيد البنائين :

لاجدال فى أن رمسيس الثانى يعتبر من الناحيتين التاريخية والأثرية واحداً من أعظم ملوك مصر القدماء الذين أقاموا العديد من المنشآت المعمارية والمبانى الضخمة والرائعة فى طول البلاد وعرضها . . فما من مجموعة أثرية من الجندل الثانى جنوباً حتى الدلتا ومصب النيل شمالاً إلا وتحمل اسم رمسيس الثانى أو تشير إلى ماصنعت يداه .

هذا بطبيعة الحال بالاضافة إلى آثاره التى تركها فى البلاد الآسيوية . . . وقد يكون من الصعوبة أن يحصر المرء جميع الأعمال والمبانى التى أمر رمسيس الثانى بتشييدها من معابد وتماثيل ومسلات ولوحات تذكارية فى البلاد الآسيوية وبلاد النوبة . .

أما الآثار التى تركها داخل القطر المصرى فإن من الصعب حصرها هى الأخرى ، وإنما نستطيع أن نشير هنا إلى بيان بأهمها لعلنا نتبين مدى الهمة والحرص الزائد من هذا الفرعون العظيم لكى يملأ بلاده كلها بآثار خلدها الزمن :

معبد الكاب . . والتوسعات والانشاءات الإضافية فى معبد الأقصر ومعابد الكرنك . . ومقبرته فى وادى الملوك . . ومعبد الرمسيوم بالضفة الغربية للنيل غرب الأقصر . . ومعبد الإله تحوت فى مدينة منف القديمة . . كمانشير إلى قيامه ببناء مدينة جديدة بأكملها وهى مدينة « بر رمسيس » - أى بيت رمسيس - التى اتخذها عاصمة



تمثال لرمسيس الثانى جالساً فى بداية عهده فى الحكم . وعلى رأسه التاج الحربى الأزرق ويمسك فى يده اليمنى صولجان الملك .

لامبراطوريته ، وتقع فى شمال شرق الدلتا .

وإلى جانب هذه المعابد ، هناك مئات من التماثيل والمسلات واللوحات التذكارية والآثار الأخرى الأقل ضخامة ، ولكنها كانت منتشرة فى جميع أنحاء الامبراطورية على أيامه . ونشير هنا إلى أهم الأماكن المصرية التى عثر فيها على آثار هذا الملك العظيم .

فى سرابيت الخادم بشبه جزيرة سيناء . . وفى قنتير بشرق الدلتا . . وفى مناطق بقرب الاسكندرية . . وفى تل أبو صيفة بجوار مدينة القنطرة غرب . . وتل الفراعين . . وشديا . . وكوم الأبقعين . . وكوم الحصن . . ونبيشة . . وصفط الحنة . . وصان الحجر . . وهربيط . . وتل بسطة . . وتل الربع . . وبهبيت الحجارة جنوبى مدينة المنصورة . . وتل طنبول بجوار السنبلاوين . . وتل مقدام . . ودنديت بجوار ميت غمر . . وبلجاى وتل أم حرب وتل مسطاى من أعمال زفتى . . والبرنوجى من أعمال دمنهور . . وكوم فرين المجاورة للدلنجات . . وكوم القلزم قرب السويس . . وتل المسخوطة . . وتل رطابه . . ومسطرد . . وبهتيم . . ومنطقة الجيزة . . وتل أتريب بجوار بنها . . وزاوية رازين . . وكوم أبو بللو . . ومنطقة القاهرة . . وأهناسيا المدينة . . وكوم العقارب القريب من أهناسيا . . وطهنا الجبل من أعمال المنيا . . والأشمونين . . والشيخ عبادة . . والشيخ سعيد . . ومنطقة أسيوط . . والمطمر . . وطوخ نبت . . وقفط . . ونجع المدمود . . وأرمنت . . والكاب . . وجبل السلسلة . . ومنطقة الأقصر . . ومنطقة أسوان وجزيزة إلفنتين .

أما آثاره التى تركها فى مناطق جنوب أسوان وبلاد النوبة فأهمها مجموعة من المعابد على رأسها « سيد المعابد » فى العالم القديم كله معبد « أبو سمبل » .

● « نوب » يعنى « ذهب » :

كلمة « نوب » فى اللغة المصرية القديمة تعنى الذهب ، كما أن كلمتى « نوب نوفر » تعنيان « الذهب الجيد» .

ومن كلمة « نوب » المصرية القديمة اشتق اسم بلاد « النوبة » التى تمتد على ضفاف النيل من جنوب أسوان إلى منطقة دنقلة بالسودان . وتنقسم هذه البلاد الآن إلى



نقش جدارى بمعبد أبيدوس الذى بدأ بناؤه فى عهد سيتى الأول ، واكتمل فى عهد ابنه رمسيس الثانى، وتظهر فيه إلهة الوجه البحرى وإلهة الوجه القبلى وهما تقومان بتتويج الملك سيتى الأول على عرش مصر

قسمين : النوبة السفلى التى تمتد من جنوب أسوان حتى وادى حلفا بالأراضى المصرية ، والنوبة العليا التى تمتد جنوبا فى أرض السودان .

وقد بدأت الصلات بين مصر والنوبة منذ فجر التاريخ ، ثم توطدت هذه الصلات وازدادت ثباتاً على مدى العصور التاريخية بأكملها حتى أصبحت النوبة جزءاً لايتجزأ من مصر .

وتدل الشواهد الأثرية الثابتة على أن بعض ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة أرسلوا بعثات استكشافية للتوغل فى بلاد النوبة وأطرافها والوصول إلى مناطق أكثر عمقا فى قلب أفريقيا .

وفى عصر الأسرة الثانية عشرة - بالدولة الوسطى - قام ملوك مصر بتشييد الكثير من الحصون والحاميات العسكرية والمعابد الدينية ، بدءاً من جنوب أسوان حتى موقع الجندل « أو الشلال » الثانى من جنادل النيل .

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة - بالدولة الحديثة - امتدت حدود مصر إلى ماوراء الجندل الرابع ، وأسس المصريون مدينة « نباتا » الشهيرة عند جبل برقل ، وجعلوها عاصمة لهذه البلاد ، يقيم بها الحاكم الذى يوفده الفراعنة لمباشرة السلطة المصرية إداريا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا .

وبالنظر إلى الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة النوبية المصرية ، فقد كان الحاكم المصرى على درجة كبيرة من الأهمية والمكانة الرفيعة ، حيث كان يلقب بالعديد من أعلى مستويات ألقاب التمجيد والتبجيل . منها « نائب الملك فى كوش » و « صاحب كوش» [ويلاحظ أن اسم كوش يطلق أيضا على بلاد النوبة] ، كما كان يطلق عليه أيضا لقب « إبن الملك » الذى كان أرفع الألقاب المصرية جميعا .

وقد انتشرت الحضارة المصرية ولغة مصر القديمة وديانتها فى كافة بلاد النوبة وشمال السودان ، وأصبحت عبادة «آمون رع » هى العبادة الرسمية فى تلك البلاد إلى جانب غيرها من العبادات والديانات المصرية الأخرى .

● معابد رمسيس فى بلاد النوبة :

وبالرغم من اهتمامات رمسيس الثانى بتوطيد أركان الامبراطورية المصرية فى المناطق الآسيوية حيث قام بأشهر المواقع الحربية التى خاضها والحملات العسكرية التى قادها فى تلك المناطق ، إلا انه قد وضع النوبة أيضا فى مجال اهتمامه . وعمل جاهداً على توطيد كافة المؤثرات الحضارية المصرية فى بلاد النوبة .

وكانت المعابد الدينية هى أهم تلك المؤثرات ، ولذلك فقد حرص على تشييد بعض المعابد المتميزة على طول مجرى النيل بالنوبة. ونقدم فيما يلى عرضاً مختصراً لتلك المعابد، مع عرض تفصيلى لمعبد « أبو سمبل » الذى يعتبر أهم تلك المعابد جميعاً .

* معبد بيت الوالى :

وهو معبد صغير نسبيا يقع على الضفة الغربية للنيل ، أشرف على بنائه « ميسوى » نائب الملك وصاحب كوش بأوامر من رمسيس الثانى الذى أوفده حاكما للنوبة . وقد بنى هذا المعبد تكريساً لعبادة الإله « آمون رع » وآلهة آخرين .

وكانت الواجهة الأمامية لهذا المعبد مبنية بالطوب والحجارة ، أما الأجزاء الداخلية جميعها فهى محفورة فى قلب الصخر . وتتكون هذه الأجزاء من مدخل وقاعة أمامية كانت مسقوفة فى الأصل ، تليها قاعة الأعمدة التى تنتهى بالمحراب وقدس الأقداس .

وكان المعبد متصلاً فى الأصل بنهر النيل بطريق صاعد مرصوف ومبلط بالحجر ، ولكن هذا الطريق اندثر تماماً .

وفى أثناء عملية انقاذ آثار النوبة تم نقل هذا المعبد إلى موقع جديد بالقرب من السد العالى بأسوان .

* معبد جرف حسين :

ويقع هذا المعبد أيضا على الضفة الغربية للنيل ، وكان اسمه القديم « بر بتاح » أى بيت الإله بتاح ، وذلك لأنه بنى تكريساً لعبادة الإله بتاح وآ لهة آخرين . وأشرف على بنائه «سيتاو » نائب الملك وصاحب كوش الذى عينه رمسيس الثانى حاكما على النوبة

خلال الفترة من السنة الخامسة والثلاثين والسنة الخمسين من حكمه .

وكان المعبد يتكون معمارياً من جزئين مختلفين : الواجهة والجزء الأمامى كان مبنيا بالطوب والحجارة ، بينما كانت الأجزاء الداخلية منحوتة فى قلب الصخر . وكان التصميم الهندسى لهذا المعبد نموذجاً مصغراً من التصميم الهندسى لمعبد أبوسمبل

ولسوء الحظ فقد اندرس المعبد تماماً تحت تأثير التقدم العمرانى الحديث للمنطقة ، وأصبحت بقاياه مغمورة تحت مياه بحيرة ناصر .

*** معبد السبوعة :**

تقع منطقة « السبوعة » على الضفة الغربية للنيل فى منتصف المسافة تقريباً بين أسوان ووادى حلفا . . وفيها معبدان بنيا فى عصر الدولة الحديثة :

– المعبد الأول : بناه « امنحوتب الثالث – والد أخناتون » فى عصر الأسرة الثامنة عشرة . ويتكون من واجهة أمامية مبنية بالحجارة ، وتقع خلفها القاعة الرئيسية للمعبد وكانت جدارنها فى الأصل مزخرفة بالنقوش الملونة . . أما الأجزاء الداخلية للمعبد فهى منحوتة فى قلب الصخر وتتضمن القاعة الداخلية وقدس الأقداس . وقد بنى هذا المعبد فى الأصل لتكريس عبادة الإله « حورس » بمفهومه النوبى ، حيث يختلط هذا المفهوم بمفهوم نوبى آخر للإله « آمون » . . وقد دمرت هذه النقوش فى عصر «أخناتون» الذى محا ذكر الآلهة المتعددة احتراما للإله الواحد الذى كان يعبده . ولكن فى عصر الأسرة التاسعة عشرة قام رمسيس الثانى باعادة وترميم نقوش الإله آمون وأعادها إلى صورتها الأصلية ، كما أقام له بوابة وواجهة جديدة .

– المعبد الثانى : وهو أكبر بكثير من المعبد الأول ، وكان اسمه الأصلى « رعمسيس مرى آمون » لانه كان مكرساً لعبادة الإله آمون . ويقع هذا المعبد على بعد نحو ١٥٠ متراً شمال شرق موقع المعبد الأول . وقد أشرف على بنائه « سيتاو » نائب الملك وصاحب كوش بأوامر من رمسيس الثانى . ومثل المعابد الأخرى يتكون هذا المعبد من جزء أمامى مبنى بالحجارة وجزء خلفى منحوت فى قلب الصخر .

وبعد المرور من بوابة ومدخل المعبد يمر الزائر بثلاث بوابات أخرى ذات أبراج إلى أن

يصل قاعة الأعمدة ، وهى القاعة التى استخدمت ككنيسة فى بداية العصر المسيحى بمصر . وعند هذه القاعة يبدأجزء المعبد المنحوت فى الصخر .

وفى نهاية تلك القاعة نصل إلى قاعة صغيرة تتضمن حجرتين جانبيتين وقدس الأقداس . وكانت بها تماثيل لبعض الآلهة ، أغلب الظن انها كانت للإله آمون رع والإله رع آختى وتمثال لرمسيس المؤلّه . ولكن هذه التماثيل دمرت تماماً .

وفى أثناء عملية إنقاذ آثار النوبة ، نقل معبد السبوعة إلى موقع جديد يبعد بنحو أربعة كيلو مترات غرب موقعه الأصلى .

*** معبد الدّر :**

وهو المعبد الوحيد من المعابد التى بناها رمسيس الثانى فى بلاد النوبة الذى يقع على الضفة الشرقية للنيل ، حيث تقع جميع المعابد الأخرى على الضفة الغربية .. وهو منحوت فى قلب الصخر .

والتصميم الهندسى لهذا المعبد نموذج مصغر للتصميم الهندسى الخاص بمعبد أبو سمبل ، فيما عدا وجود التماثيل الأربعة الضخمة التى تمثل رمسيس الثانى جالساً والتى تميز واجهة معبد أبو سمبل . ويتميز هذا المعبد بنقوشه الجميلة ذات الألوان الزاهية التى مازالت محتفظة ببهائها ورونقها حتى الآن .. وقد بنى فى الأصل تكريسا لعبادة الإله بتاح . وفى قدس أقداس المعبد نرى أربعة تماثيل للآلهة فى وضع الجلوس ، وهم بالترتيب : رع حور آختى ، رمسيس المؤلّه ، آمون رع ، بتاح .

وفى عام ١٩٦٤ أثناء عملية انقاذ آثار النوبة تم تفكيك المعبد ونقله إلى موقع جديد بمنطقة عمادة .

● أبو سمبل ..سيد المعابد :

تحت أكوام من رمال ناعمة جرفتها الصحراء وحملتها الرياح ، توفرت لهذا الكنز المعمارى العظيم كل سبل الحماية من عاديات الزمن واعتداءات الطبيعة وعبث وشرور الإنسان .

وهكذا ظل معبد « أبو سمبل » خالداً على مدى آلاف السنين . . تماماً كما أراد له بانيه منذ ٣٣٠٠ سنة مضت فى مسيرة الخلود والأبد .

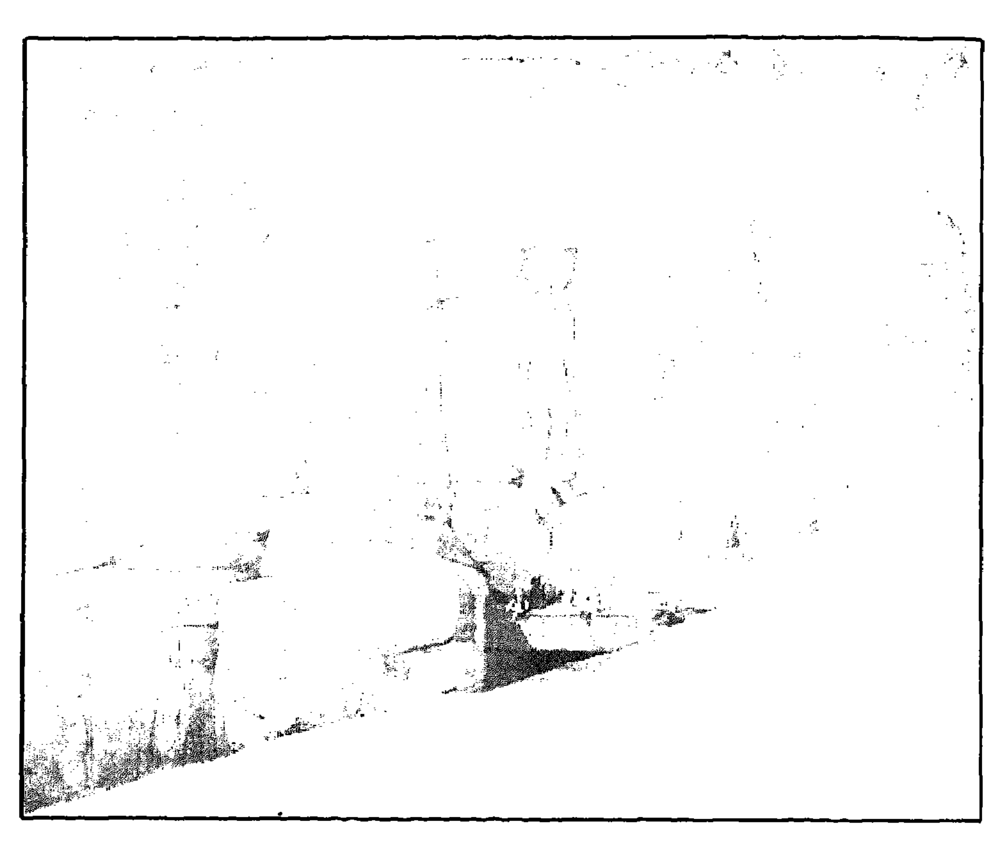
● **كيف اكتشفوه صدفة ؟!**

لعبت الصدفة دوراً عظيماً فى اكتشاف موقع « أبوسمبل » فى المكان والزمان . . ففى العقد الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، وبالتحديد فى عام ١٨١٣ ، كان عالم الآثار الرحالة « بورخارد » BURCKHARDT يقوم برحلته عبر نيل الجنوب ، وساقته الظروف ليتجول فوق ربوة عالية من الصحراء المترامية على الضفة الغربية للنيل ، فلاحظ وجود الجزء العلوى من رأس تمثال ضخم بقيته مدفونة بأكملها فى الرمال . . وكتب العالم الأثرى تقريراً بذلك . وكان هذا التقرير أول اشارة فى التاريخ الحديث عن وجود سيد المعابد فى العالم القديم .

وبعد ذلك بنحو ثلاث سنوات ، قام أحد علماء الآثار المغامرين وهو « جيوفانى بلزونى » GIOVANNI BELZONI بزيارة منطقة هذا الاكتشاف الذى أعلنه «بورخارد » . . وبذل جهوداً جبارة فى إزالة الرمال المتراكمة على الواجهة الأمامية للمعبد حتى اكتشف مدخله إلى قاعاته الداخلية .

وهنا أدرك « بلزونى » أن هذا الأثر الذى اكتشفه « بورخارد » صدفة ، عبارة عن معبد ضخم جديد فى شكله وروعة تصميمه عن بقية المعابد الأخرى التى بناها فراعنة مصر القديمة . وكتب « بلزونى » وصفاً تفصيليا مبدئياً عن بعض العناصر المعمارية لهذا الاكتشاف الأثرى الكبير.

وتوالت بعد ذلك عمليات إزالة الرمال وتنظيف المعبد على مدى سنوات طوال ، بدأها عالم الآثار « لبسيوس » LEPSIUS خلال الأعوام من ١٨٤٢ حتى ١٨٤٥ . . ثم تلاه عالم الآثار « ماريبت » MARIETTE عام ١٨٦٩ . . ثم عالم الآثار «بارسانتى » BARSANTI عام ١٩١٠ . وهكذا تبينت مدى ضخامة هذا المعبد الذى اعتبر من ذلك الحين من أهم وأعظم المزارات السياحية فى مصر.



فى عام ١٨٣٨م رسم الفنان الانجليزى « دافيد روبرتس » هذا المنظر الخارجى لواجهة معبد « أبو سمبل » قبل إزالة الرمال من عليها .

● تحفة المعالم الخارجية :

ربما اشتق اسم « أبو سمبل » من اسم « إيبسامبول » IBSAMBUL الذى أطلق عليه قديما . وعلى أية حال فهو معبد فريد ومتميز فى كل شىء عن بقية المعابد المصرية التقليدية القديمة .

تؤدى بوابة المدخل إلى ساحة أمامية واسعة ، وتؤدى هذه الساحة بدورها إلى شرفة أمامية مرتفعة قليلا عن أرضية الساحة .

وعلى أرضية تلك الشرفة تقوم واجهة المعبد المنحوتة فى قلب الصخر . وترتفع الواجهة نحو ٣٢ مترا ويبلغ عرضها نحو ٣٥ متراً . وتضم الواجهة أربعة تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى فى وضع الجلوس ، واضعاً يديه فوق ركبتيه . ويرتفع كل تمثال منها نحو ٢١ مترا ، ويماثل فى ضخامته ضخامة وفخامة التمثال الجرانيتى الهائل الموجود حطامه الآن فى معبد « الرمسيوم » بغرب الاقصر .

وعلى كل تمثال من هذه التماثيل الأربعة ، نرى خرطوشين أحدهما على صدره والثانى على ذراعه ، وبداخل كل خرطوش كتب اسم الملك بالعلامات والحروف الهيروجليفية .. وتطل من جبهته حية الكوبرا المقدسة التى كانت تعتبر رمزاً للملكية فى مصر القديمة . وعلى رأسه التاجان المصريان التقليديان : التاج الأحمر « دِشرِت » الذى يرمز إلى الوجه البحرى ، والتاج الأبيض « حِدجِت » الذى يرمز إلى الوجه القبلى .

ويعبر وجه كل تمثال عن ملامح الملك فى حيوية الرجولة والشباب ، وهى نفس الملامح الظاهرة فى كل تماثيل رمسيس الثانى الموجودة فى مختلف المناطق الأثرية بمصر.

ونلاحظ على الفور أن التمثال الأول يكاد يكون سليما ، وهو أكثر التماثيل الأربعة احتفاظاً بكماله .. أما التمثال الثانى فقد تأثر بعاديات الزمن ، فتحطم حتى وسط الملك ، وسقطت رأسه بجوار ساقيه .. بينما ظل التمثال الثالث فى حالة جيدة من الحفظ والصون .. أما التمثال الرابع والأخير فيعتبر سليماً فيما عدا بعض أجزاء من الحية المقدسة التى تعتلى جبهة الملك ، وأجزاء من الذراعين والجذع .

وعند قدمى كل تمثال من هذه التماثيل الأربعة ، نرى عدة تماثيل أصغر حجماً تمثل بعضاً من أهل الملك وأعضاء أسرته ، وذلك بالتفصيل التالى :

* فى التمثال الأول من ناحية الجنوب نرى التماثيل التالية بجوار قدمى الملك وحول ساقيه :

- تمثال الملكة « نفرتارى » زوجة الملك بجوار ساقه اليسرى .

- تمثال الملكة « موت تويا » أم الملك وزوجة أبيه الملك سيتى الأول بجوار ساقه اليمنى .

- تمثال للأمير « آمون حرخوبشف » ابن الملك فى المقدمة بين ساقيه .

* فى التمثال الثانى من ناحية الجنوب نرى ثلاثة تماثيل صغرى جوار ساقى الملك على نفس نظام ترتيب التماثيل الصغيرة الملحقة بالتمثال السابق . وتمثل هذه التماثيل الأميرات :

-بنت عانتا .

- نبت تاوى

- والتمثال الثالث لأميرة من بنات الملك ، تحطم الجزء الخاص المكتوب عليه اسمها . ويرى بعض علماء الآثار انه للأميرة « إس نوفر» .

* وعند قدمى التمثال الأول للملك من ناحية الشمال نرى التماثيل الصغرى التالية :

- تمثال الملكة « نفرتارى » بجوار ساقه اليمنى .

- تمثال الأميرة « بكت موت » ابنة الملك بجوار ساقه اليسرى .

- تمثال الأمير « رعمسيس » ابن الملك فى المقدمة بين الساقين .

* وعند قدمى التمثال الثانى للملك من ناحية الشمال ، نرى التماثيل الصغرى التالية بنفس الترتيب السابق :

- تمثال الأميرة « مريت آمون » ابنة الملك .

- تمثال الملكة « موت تويا » أم الملك .

- تمثال الأميرة « نفرتارى » ابنة الملك .

* وفى الجزء العلوى من الواجهة الأمامية لمعبد أبو سمبل ، وفى مكان يتوسط التماثيل الأربعة ، نرى كوة مستطيلة داخلية على شكل محراب صغيربداخله تمثال رمزى للإله رع برأس صقر ومعه رموز أخرى ذات طابع دينى تشير إلى أحد الأسماء الرسمية الدينية للملك رمسيس الثانى وهو « وسرماعت رع » .

* وفى أعلى واجهة المعبد ينتظم صف من قرود « البابون » صورت فى حالة ابتهال وتهليل لقرص الشمس الذى يسطع من الشرق فى كل صباح .

● الزيارة المثلى لسيد المعابد :

حتى ندرك ونتمتع بعظمة وجلال معبد أبو سمبل ، فقد يكون من الأفضل أن تبدأ زيارته عند الفجر حين تكون الشمس لاتزال غائبة وراء الأفق .

وحين تتسلل الخيوط الأولى من هالات الضوء الكونى نحو الشرق ، يمكن للعين أن تلمح الكتلة المعمارية الهائلة المنحوتة بأكملها فى قلب الصخر . . وعندما تعتلى أطراف الحافة الأولى من قرص الشمس خط الأفق الشرقى ، تسقط شعاعات ذهبية فوق صف القرود الذى يزيّن ويزخرف واجهة المعبد عند أعلى خط فيها .

وقد نحتت هذه القرود ممثلة فى وضع الجلوس والابتهال والتهليل لمشرق الفجر الجديد ، ولكى تكون أول من يخبر الفرعون الممثل فى تماثيله العظمى ، بأن الشمس قد عادت من رحلتها الليلية ، وأن يوماً جديداً قد ولد ودوّن فى سجل الخلود بين أترابه من أيام الماضى الأزلى والمستقبل الأبدى .

ورويداً تكسو أشعة الشمس واجهة المعبد بتماثيلها الأربعة التى تمثل رمسيس الثانى جالساً فى مهابة . . وبهذا الضوء الذهبى الرقيق نلمح بوضوح مدى القوة والعظمة والهيبة والجلال الذى ينبعث من هذا الملك العظيم الذى يجلس هادئاً متيقناً من كل

شيء ، والذى تعلو وجهه ابتسامة نبيلة دافئة تعبر عن صبر لاحد له فى مشاهدة خلود كون بأكمله .

وعندما يكتمل ظهور قرص الشمس ملامساً خط الأفق ، تبدأ الأشعة الذهبية فى التسلل عبر مدخل المعبد ، وتنعكس على صفحة الأرضية المنحوتة من الحجر الرملى ، فتعكسها بدورها إلى القاعة الداخلية للمعبد . وفى هذه القاعة نرى ثمانية أعمدة منحوتة من قلب الصخر على شكل تماثيل « أوزيرية » تمثل الملك رمسيس الثانى واقفاً فى هيبة وجلال الإله « أوزيريس » . . ويرتفع كل تمثال نحو تسعة أمتار ، وكأنه ينتظر هذا النور السماوى الذى يضىء وجهه كل يوم جديد .

ونلاحظ على الفور أن سقف هذه القاعة - التى يصل طولها نحو ١٨ مترا وعرضها نحو ١٦ مترا - مزخرف بنقوش ملونة تصور نجوم السماء ونسوراً طائرة والخراطيش التى تحمل اسم رمسيس الثانى وألقابه مكتوبة بالهيروجليفية .

وكذا الحال بالنسبة لجميع جدران القاعة ، فهى مزدانة ومزخرفة بنقوش ملونة جميلة مازالت محتفظة برونقها وبهائها ، بعضها يصور الملك وهو يتعبد فى مواجهة الآلهة المصرية الشهيرة : آمون رع . . رع حور آختى . . بتاح . . حورس . . أتوم . . تحوت . . مين . . خنوم . . حتحور . . إيزيس . . وآلهة آخرين منها إلهتى النوبة ساتيس وأنوكيس .

وثمة نقوش ملونة أخرى تصور بعض المواقع الحربية التى خاضها رمسيس الثانى ضد أعدائه وسيطرته على أسراه من النوبيين والليبيين وبدو الصحراء .

وعلى الجدار الشمالى لتلك القاعة نرى لوحة ضخمة متكاملة ذات موضوع واحد هو معركة « قادش » التى قادها رمسيس الثانى فى السنة الخامسة من حكمه . ويبلغ طول هذه اللوحة ١٨ مترا وارتفاعها ٨ أمتار وتتضمن ١١٠٠ منظر تصور الجيوش المصرية المظفرة التى كان يقودها الملك . . وصفوف المشاه وحاملى الرماح والدروع . . وصفوف الخيالة والفرسان . . والعربات العسكرية . . والملك المنتصر وهو يطلق السهام من فوق عربته المندفعة فى زمام المعركة ، ويندفع بجانبه الأسد الأليف الذى كان يصحبه

«رمزاً » فى المعارك دلالة على بث الرعب فى قلوب الأعداء . . كما نرى صفوف الأسرى مكتوفى الأيدى . . ومناظر تعبيرية أخرى تمثل رمسيس الثانى وهويقبض على بعض الأسرى من شعر رؤوسهم .

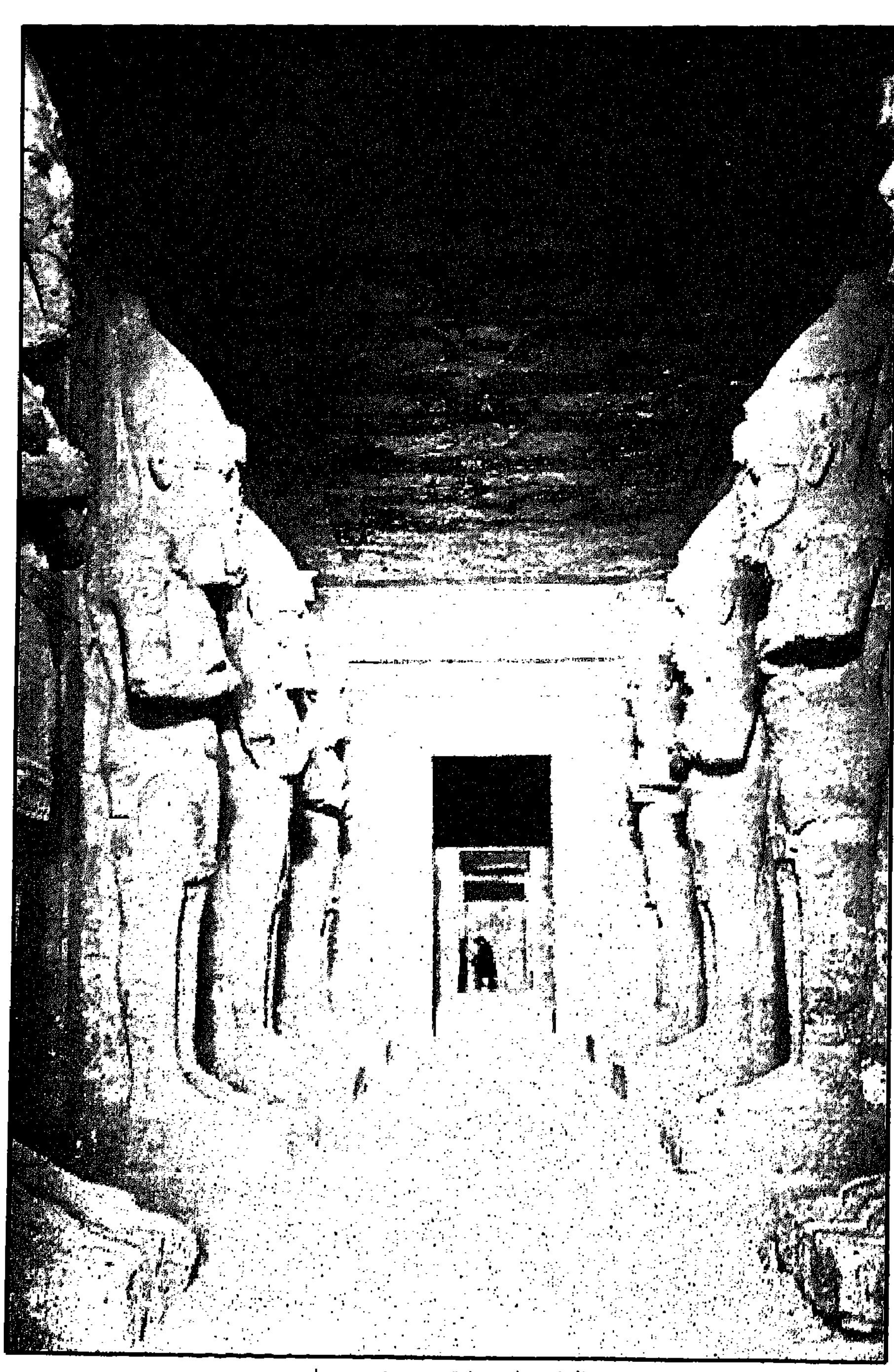
وتعتبرموقعة « قادش » التى قادها رمسيس الثانى ضد جيوش الحيثيين فى مناطق شمال سوريا أكبر معركة خاضها ، كما يعتبرها بعض المؤرخين أكبر معركة حربية بين جيوش نظامية فى تاريخ العالم القديم كله . . وتدل الشواهد الأثرية على أن موقعة «قادش » كانت القاسم المشترك الأعظم فى النقوش والكتابات التى دونها رمسيس الثانى على جدران معابده فى الأقصر والكرنك والرمسيوم والعرابة المدفونة وأبوسمبل . . كما دونت أحداث هذه الموقعة ، نثراً وشعراً فى برديات متفرقة تسجل تقريراً تفصيلياً شاملاً لأحداث الموقعة والمراحل الحربية التى مرت بها والنتائج التى انتهت إليها . . ويدور معظم هذه الوثائق الأثرية حول وصف الشجاعة الفائقة التى أبداها رمسيس الثانى فى تلك المعركة ، والتى قد تصعب على التصديق لشدة المغالاة فى وصفها .

● معجزة فلكية :

ومن هذه القاعة الداخلية يستمر ضوء الشمس فى التسلل إلى قاعة أخرى ، ثم إلى قاعة ثالثة تنتهى بقدس الأقداس الذى يتعمق فى قلب الصخر حوالى ٥٥ مترا . . وقد وضع التصميم الهندسى لقدس الأقداس طبقا لقواعد ومقاسات فلكية غاية فى الدقة ، تتيح لأشعة الشمس أن تدخل إليه مرتين فقط كل عام : فى ٢١ فبراير و٢١ أكتوبر . . ويقول بعض المؤرخين أن اليوم الأول يمثل ذكرى مولده واليوم الآخر يمثل ذكرى تتويج رمسيس الثانى ملكا على مصر (*) .

وفى قدس الأقداس نرى تماثيل لأربعة من الآلهة جالسين على قدم المساواة وهم : بتاح . . آمون رع . . رمسيس المؤله . . رع حور آختى . ويعنى هذا أن رمسيس الثانى وضع نفسه فى صف واحد وعلى قدم المساواة مع ثلاثة من أهم الآلهة التى كانت تعبد فى عهده .

(*) حدث فارق يوم واحد بعد نقل المعبد من مكانه الأصلى .



القاعة الداخلية بمعبد ابو سمبل

● معبد نفرتارى :

وعلى مقربة من الجانب الشمالى لمعبد أبوسمبل الكبير شيد رمسيس الثانى معبداً أصغر حجماً تكريسا لعبادة الإلهة « حتحور » ربة الحب والجمال وحامية المرأة والأمومة ، وأهداه إلى الرفيقة الجميلة « نفرتارى » . . زوجته الملكية .

وعلى الجدارن الخارجية والداخلية لهذا المعبد نقرأ نصاً مكتوباً بالهيروجليفية يحمل الاهداء الرقيق التالى : « رمسيس القوى فى الحقيقة والصدق . . المحبوب من الإله آمون . . يهدى هذا المقر المقدس . . إلى زوجته الملكية نفرتارى . . المحبوبة لديه والمفضلة عنده » .

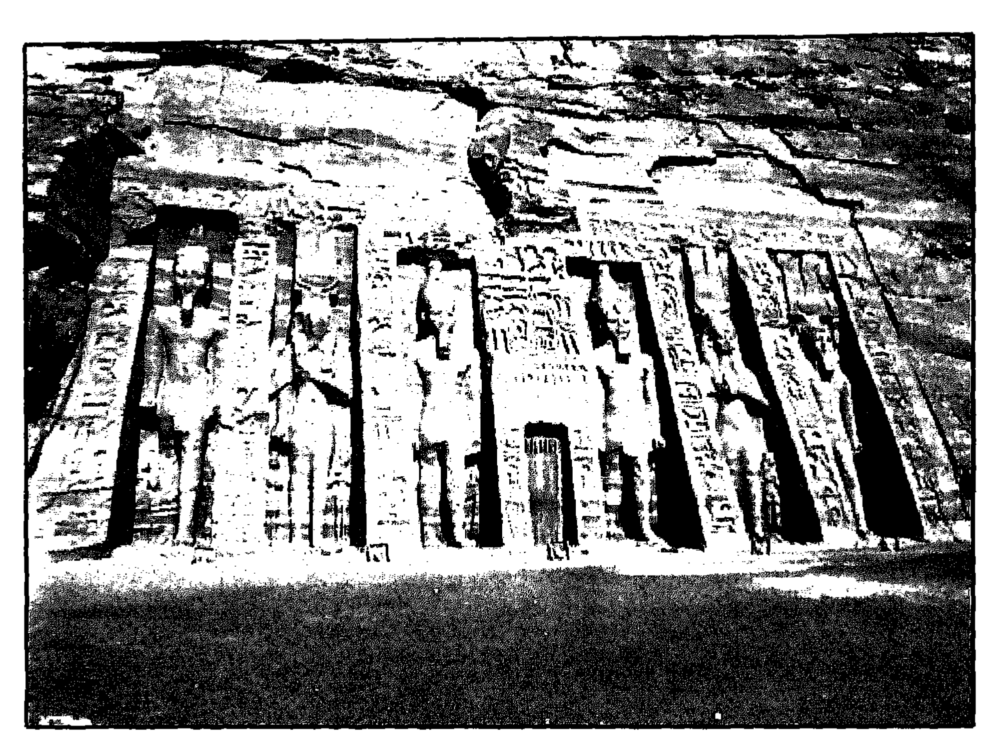
والواجهة الأمامية لهذا المعبد ذات تصميم هندسى مبتكر ، فقد تم نحتها فى صخر الجبل مائلة إلى الخلف ، وتضم ست كوّات . . ثلاث منها على يمين المدخل وثلاث على يساره . وتتضمن كل كوّة تمثالاً يرتفع نحو ١٠ أمتار ، منحوتا فى نفس الصخر وفى وضع الوقوف . . أربعة تماثيل منها للملك رمسيس الثانى ، واثنان لزوجته الملكة نفرتارى . . وتبدو التماثيل كلها فى حيوية نكاد نحس معها أنها على وشك الخروج من بطن الجبل .

وفى تمثالى الملكة نراها واقفة منتصبة القامة بجسمها الأنثوى البديع وفى جلال ملكى مهيب . . وعلى رأسها تاج على شكل ريشتين يتوسطهما قرص الشمس .

وحول قدمى كل تمثال من تماثيل الملك والملكة نحتت تماثيل أصغر حجماً يرتفع كل منها نحو ثلاثة أمتار تمثل الأمراء الذكور يقفون جوار الملك والأميرات الأناث يقفن جوار الملكة .

وتتكون الانشاءات الداخلية لهذا المعبد - وهى محفورة بأكملها فى بطن الجبل - من قاعة رئيسية وحجرات جانبية ومحراب قدس الأقداس . وفى القاعة الرئيسية نرى ستة من الأعمدة التى يطلق عليها علماء الآثار اسم « الأعمدة الحتحورية » لأنها ذات تيجان تمثل رأس الإلهة حتحور .

وعلى جدران القاعة نرى نقوشاً ملونة تمثل الزوجين الملكيين وهما يتعبدان إلى بعض



المعبد المكرس للإلهة حتحور . . أهداه رمسيس الثانى لزوجته نفرتارى . . ويقع المعبد بجوار معبد أبو سمبل الكبير . وتزين واجهته الأمامية أربعة تماثيل لزوجها رمسيس الثانى وتمثالان لها .

الآلهة الرئيسية . . ونقوشا أخرى تمثلهما وهما يؤدبان الأسرى من الليبيين والنوبيين . . كما نرى نقوشاً أخرى تمثلهما وهما واقفين جوار بعض الآلهة للحصول على البركة .

وفى قدس الأقداس عند آخر نقطة فى عمق المعبد ، نرى تمثالاً منحوتا للإلهة حتحور فى شكل بقرة تحمى الملك .

● **صاحب الفضل العظيم :**

كان من الممكن أن تغرق هذه الدرة المعمارية العظيمة المتمثلة فى معبدى أبو سمبل تحت مياه بحيرة ناصر التى تكونت أمام السد العالى . . بل وكان من المقدر أيضا أن تضيع جميع آثار النوبة - وعددها ١٧ معبداً - إلى الأبد وتخسر الانسانية ثروة أثرية لامثيل لها فى العالم كله .

وكان السبيل الوحيد لمواجهة كارثة غرق آثار النوبة هو تسجيلها تسجيلا علمياً وتصوير جميع معالمها فوتوجرافياً للاحتفاظ بتلك التقارير والصوركذكرى أليمة لكنوز أثرية ضاعت وغرقت تحت مياه البحيرة .

ولكن الله هيأ لمصر أحد أبنائها البررة ، صاحب الأيدى البيضاء على الثقافة المصرية الحديثة الاستاذ الدكتور ثروت عكاشة الذى ألهمه الله بفكرة عبقرية عرضها على المسيو « رينيه ماهيه » المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة فى أواخر الخمسينيات . . وتتلخص هذه الفكرة فى فك ونقل وإعادة تركيب آثار النوبة فى مواقع أخرى بعيدة عن مياه البحيرة . وبذلك يتحقق إنقاذ هذه الآثار التى تعتبر من تراث الإنسانية .

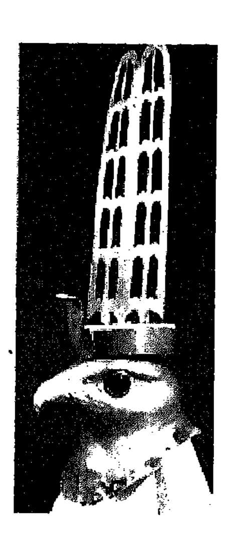
وقام مسيو رينيه ماهيه بعرض هذه الفكرة على المدير العام لمنظمة اليونسكو فى ذلك الوقت وهو المسيو « فيتورينو فيرونيزى » الذى تحمس لهذه الفكرة باعتبارها فخراً لليونسكو أن يقوم بمثل هذا العمل المجيد . وفى ٦ ابريل ١٩٥٩ أرسل الدكتور ثروت عكاشة باعتباره وزيراً للثقافة رسالة رسمية بطلب اشتراك اليونسكو فى عملية إنقاذ آثار النوبة .

وفى ٨ مارس ١٩٦٠ وجهت منظمة اليونسكو نداءً دوليا تحث فيه الهيئات العلمية

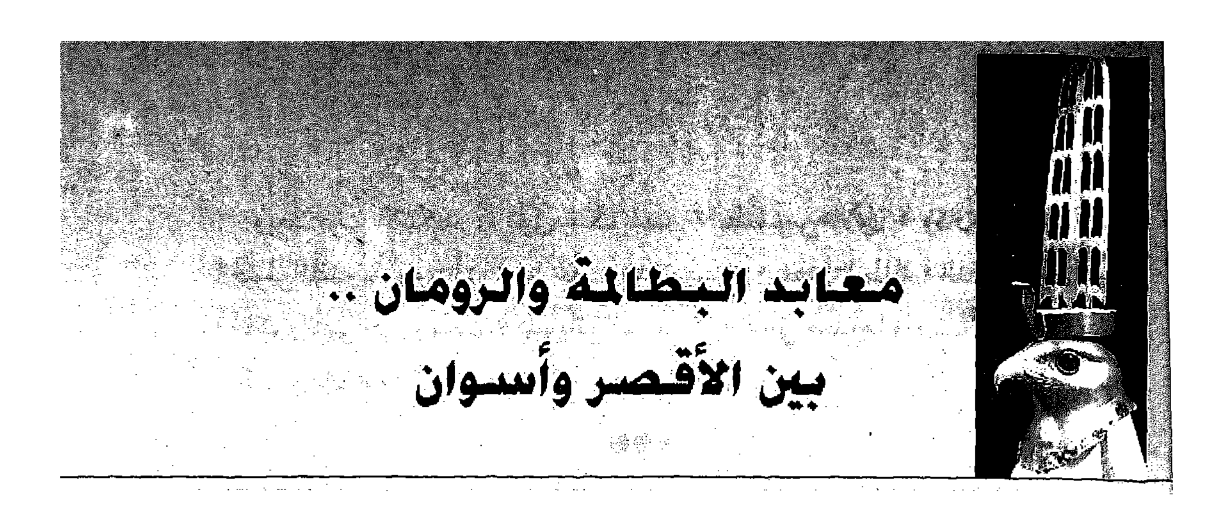
والثقافية والحكومية فى دول العالم على الاشتراك فى تنفيذ هذا المشروع الانسانى العظيم .

وقد اشتركت خمسون دولة إلى جانب مصر فى عمليات انقاذ تلك الآثار . . وقدمت عدة مشروعا ت هندسية لانقاذ معبدى أبو سمبل ، كان أفضلها المشروع السويدى الذى اقترح نشر أجزاء المعبدين إلى قطع يمكن نقلها إلى مكان يبعد عن البحيرة بنحو٢١٠ أمتار ويرتفع عن مكانهما الأصلى بنحو ٦٥ متراً .وبلغت تكاليف التنفيذ نحو ٤٠ مليون دولار .

وأخيراً تم الاحتفال الرسمى بانقاذ معبدى أبو سمبل فى ٢٢ سبتمبر ١٩٦٨ ، ليخلدا فى مكانهما الآمن الجديد إلى أبد الآبدين .







معابد البطالمة والرومان .. بين الأقصر وأسوان

قبل مولد السيد المسيح عليه السلام بنحو خمسمائة عام أو أكثر قليلا . . كانت «الدولة » فى مصر قد شاخت وساءت أحوالها وضعفت سلطات حكامها ، وانحسرت عهود الفراعنة العظام الذين حفظوا لمصر عظمتها ، ودافعوا عن حدودها وأدبوا أعداءها ، وأشاعوا العدل والسلام والأمان فى كل ربوعها وبين جميع أبنائها .

فى تلك السنوات البغيضة من تاريخ مصر القديم ، خارت قوى الحكومات ، وتفككت فرق الجيوش ، وأصبحت البلاد مطمعاً لتلك الدول والامبراطوريات الوليدة الحديثة ، الباحثة عن المغانم ومناطق النفوذ .

وفى عام ٥٢٥ ق م جاء الفرس بكل همجيتهم وأحقادهم ، فملأوا البلاد بالبلاء ، ودمروا المنشآت والمعابد والتماثيل والمسلات ، ونبشوا القبور لينهبوا ماكانت تحتويه من كنوز وثروات .

وقبل انقضاء أقل من مائتى عام على هذا الغزو الهمجى ، وصلت جيوش الاسكندر المقدونى إلى الديار المصرية عام ٣٣٢ ق م . . ولكن شتان ماكان بين الاسكندر وبين الهمج الفرس مثل دارا وقمبيز . . كان الاسكندر مثله مثل كل المقدونيين والاغريق القدماء يدرك تماماً أن مصر صاحبة أعظم حضارة فى العالم القديم كله .

ولذلك فلم يكن غريبا على الاسكندر أن يقوم بتتويج نفسه مثل الفراعنة العظام ، وأن يعتنق ديانة وعقيدة المصريين فخوراً بلقب « ابن آمون » . . وأن يشرع فى بناء «الاسكندرية » ليجعلها عاصمة للامبراطورية التى شيدها ، والتى ترامت أطرافها فى أوربا وأفريقيا وآسيا .

وبعد موت الاسكندر ، تولى حكم مصر « بطلميوس الأول » وكان أحد قادة الجيوش المقدونية ، وبدأ فى مصر عصر جديد يسمى « عصر البطالمة » الذى بدأ بهذا الحاكم وانتهى حين وضعت « كليوباترا السابعة » الحية على صدرها ووقعت مصر تحت حكم الرومان عام ٣٠ ق م .

●●●

كانت هذه مقدمة واجبة لنتعرف على هؤلاء « البطالمة » حكام مصر الجدد ، الذين كانوا يدركون انهم يحكمون بلداً هى أم الحضارات الراقية . . فتشبهوا بالملوك الفراعنة القدامى ، وارتدوا ثيابهم وتيجانهم ، وقلدوهم فى إقامة المعابد والمنشآت المعمارية القائمة على ضخامة الكتلة وروعة النقوش والزخارف ، وعبدوا آلهة المصريين وأدوا نحوها كل مراسم الاحترام والتبجيل .

ومادمنا قد انتهينا من زيارة آثارمدينة الأمجاد العظمى فى طيبة [الأقصر شرقها وغربها] فلنتجه الآن جنوباً صاعدين مع النيل ، لنقطع المسافة ما بين الأقصر وأسوان، لنتعرف على ما أقيم وشيد فى تلك المسافة من آثار مصر القديمة التى بقيت وستبقى على مدار الزمن لتشهد على قدرة المصريين الخارقة على البقاء والخلود .

تلك المسافة كانت تمثل إقليما بأكمله هو الإقليم الثانى من أقاليم الصعيد المصرى ، وكان معروفاً باسم « وتس - حور » ومعناه « عرش حورس » . وكان إقليما عامراً بصناع الحضارة ، ولم يغفل عنه الفراعنة وملوك مصر الأوائل .

ولكن أهم الآثار الباقية فى تلك المسافة حتى الآن ، يرجع تاريخها إلى عصر البطالمة الذين شيدوا مجموعة من المعابد والمنشآت المعمارية فوق أطلال معابد ومنشآت شيدها ملوك وفراعنة مصر على مدى نحوألفين وخمسمائة عام سابقة على العصرالبطلمى .

● معبد إسنا ●

وأول مايصادفنا من هذه الآثار هو معبد إسنا .

وتشتهر مدينة إسنا الحالية بقناطرها المشيدة على النيل ، والتى تغزّل فيهاالفولكلور

المصرى بأغنية شائعة مصرية النغمات تقول كلماتها : « على إسنا وكوبرى إسنا . . رمانا الهوى ونعسنا » . . وتغذى هذه القناطر ترعة « الكلابية » فى شرق النيل ، وترعة «أصفون » فى الضفة الغربية . . كما تشتهر المدينة بزراعة « العدس الإسناوى » الذى يعتبر من أفخر أنواع العدس فى العالم . وتقع المدينة على الضفة الغربية للنيل ، وكان اسمها المصرى القديم « تا - سنه » ، وقد اشتق منه اسمها الحديث . أما الإغريق فقد أطلقوا عليها اسم « ليتوبوليس » نسبة إلى السمكة المقدسة « ليتو » . وقد عثر على عديد من تلك الأسماك « محنطة » فى بعض حفائر المنطقة .

وتشتهر المدينة أيضا بمعبدها الفخيم الذى اجتذب السياح وزوار مصرعلى مدى أكثر من ألفى عام .

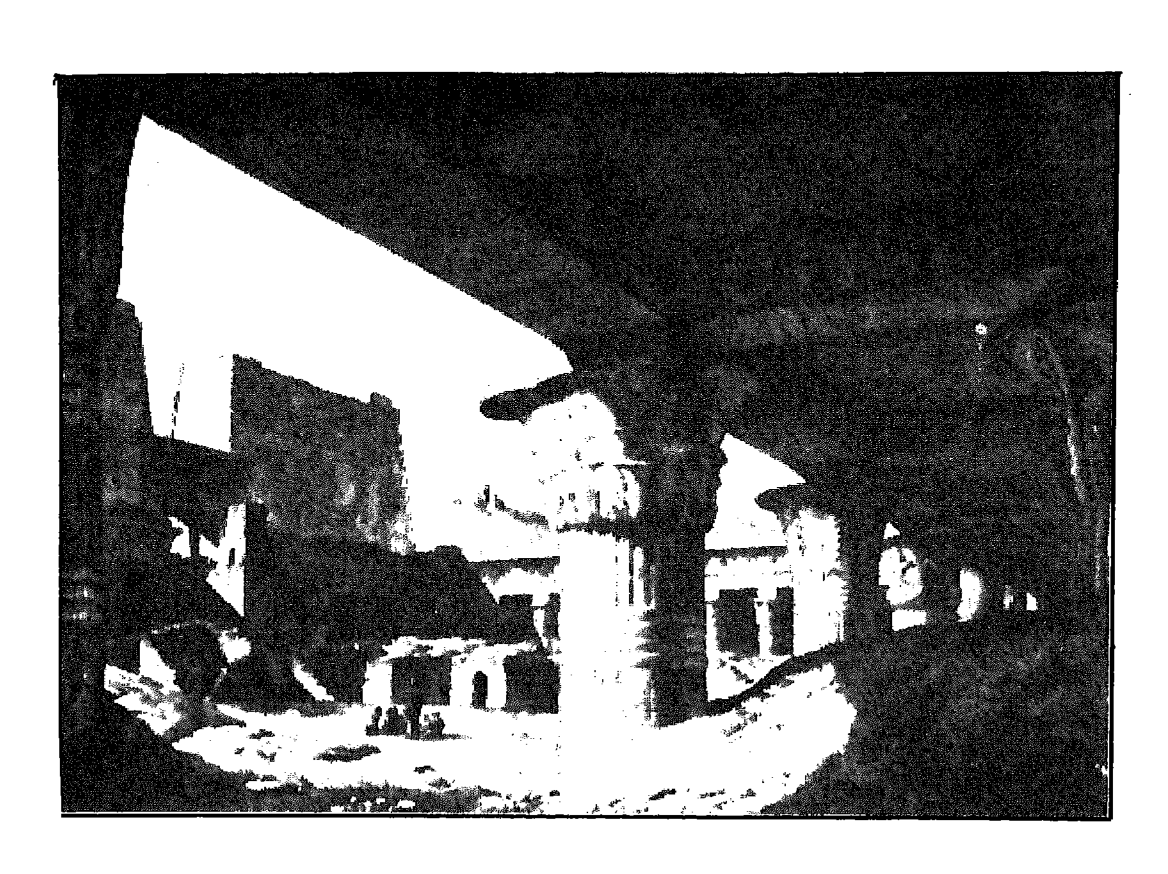
وقد كُرّس هذاالمعبد لعبادة الإله «خنوم » حامى منابع النيل ، وكان يرمز إليه بجسم رجل برأس كبش من الأغنام [لاحظ تقارب النطق بين كلمتى « خنوم » القديمة وكلمة « غنم » العربية الحديثة] .

ويرجع تاريخ المعبد الأصلى إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، ولكن هذا المعبد تهدم ولحقه البلى والقدم ، فتم ترميمه فى العصر الصاوى [الأسرة السادسة والعشرين ٦٦٤ - ٥٢٥ ق م] . ثم بدأ بناء الإضافات والانشاءات الجديدة فى عصر البطالمة [٣٠٤ - ٣٠ ق م] . واستمرت الاضافات خلال العصر الرومانى الأول [٣٠ ق م - ٣٩٥م] خصوصاً فى عهدى الامبراطورين الرومانيين كلوديوس وفسباسيان ، حيث اكتمل بناء وتشييد وزخرفة قاعة الأعمدة التى تتكون من أربعة وعشرين عموداً ضخماً ذات تيجان مزينة بزخارف غنية على شكل زهور وتوريقات نباتية لها جمالها الخاص .

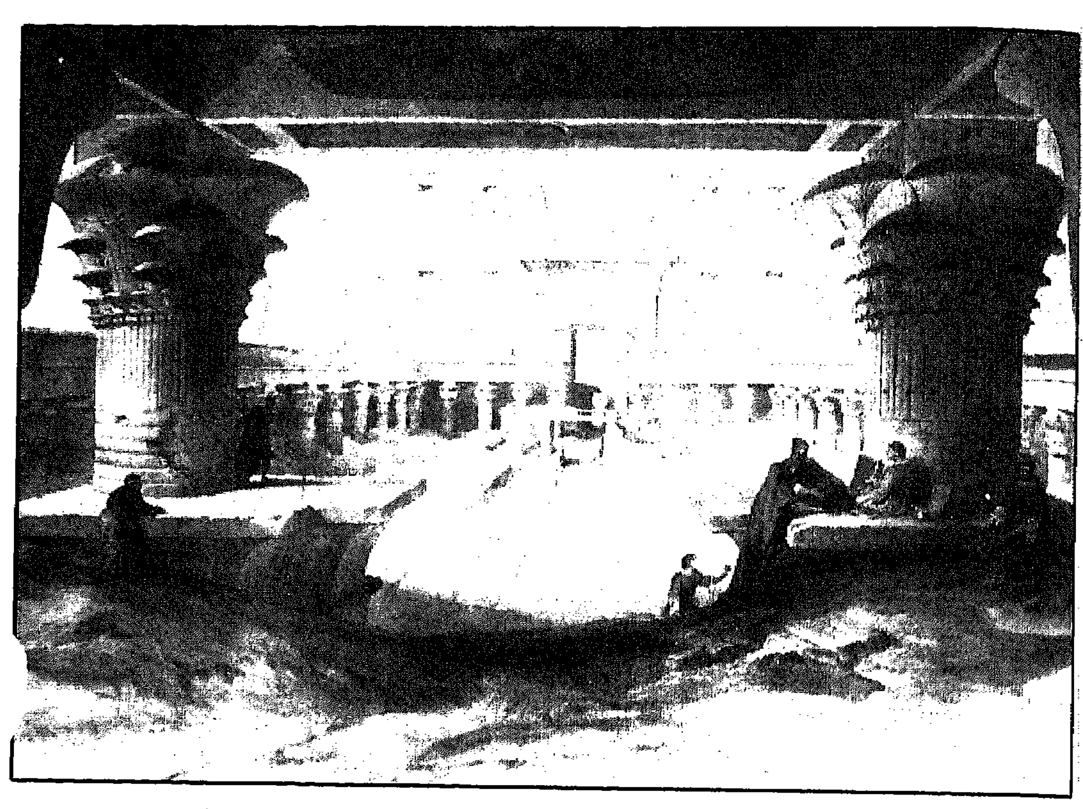
● معبد إدفو ●

ونترك مدينة إسنا ومعبدها ونتجه جنوباً صعوداً مع النيل حتى نصل إلى مدينة إدفو التى تقع مثل إسنا على الضفة الغربية للنيل .

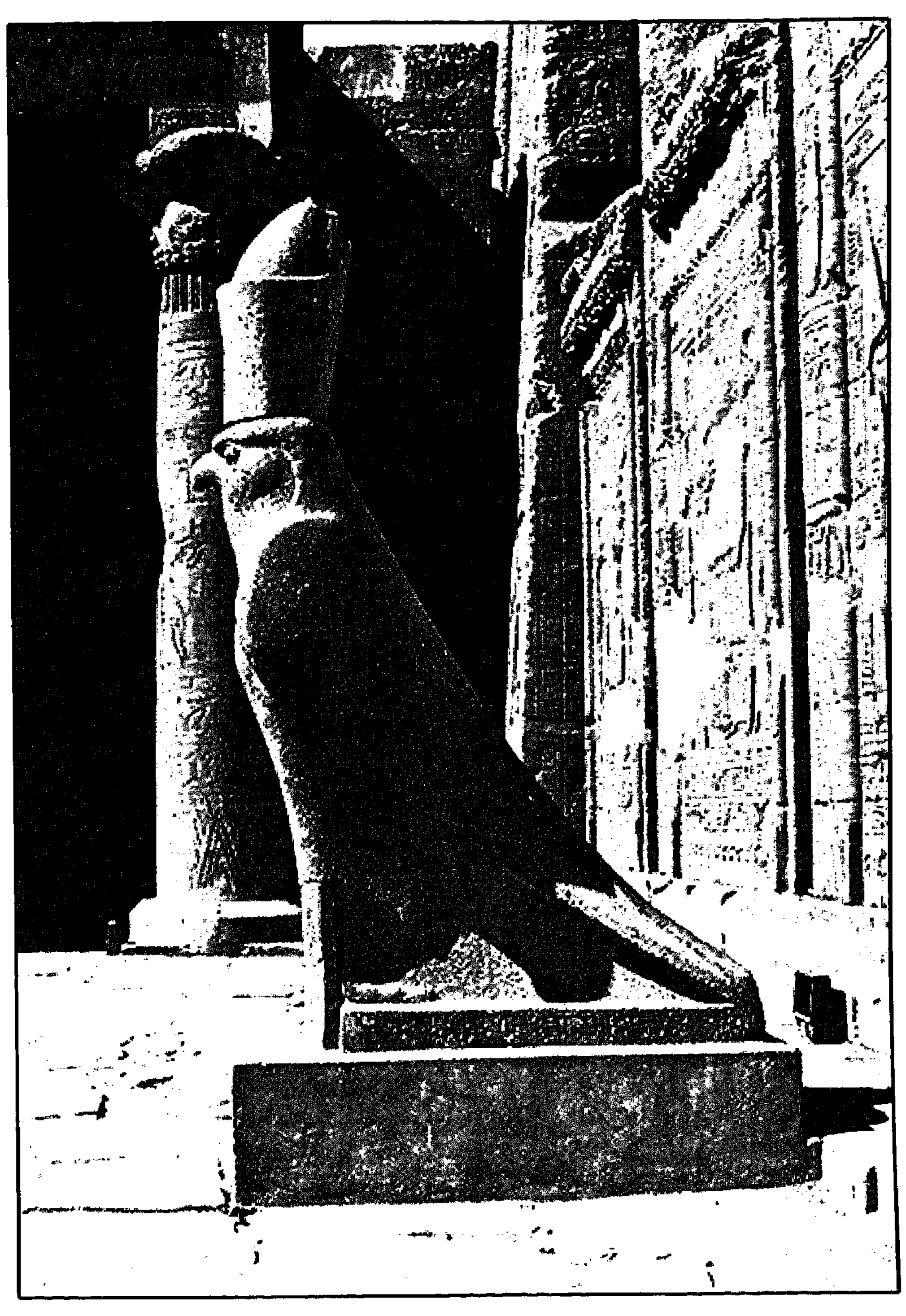
وكان لمدينةإدفو شأن عظيم فى تاريخ مصر القديم ، فقد كانت آخرنقطة حراسة مصرية على حدود بلاد النوبة فى عصر الدولة القديمة ، كما كانت عاصمة للإقليم



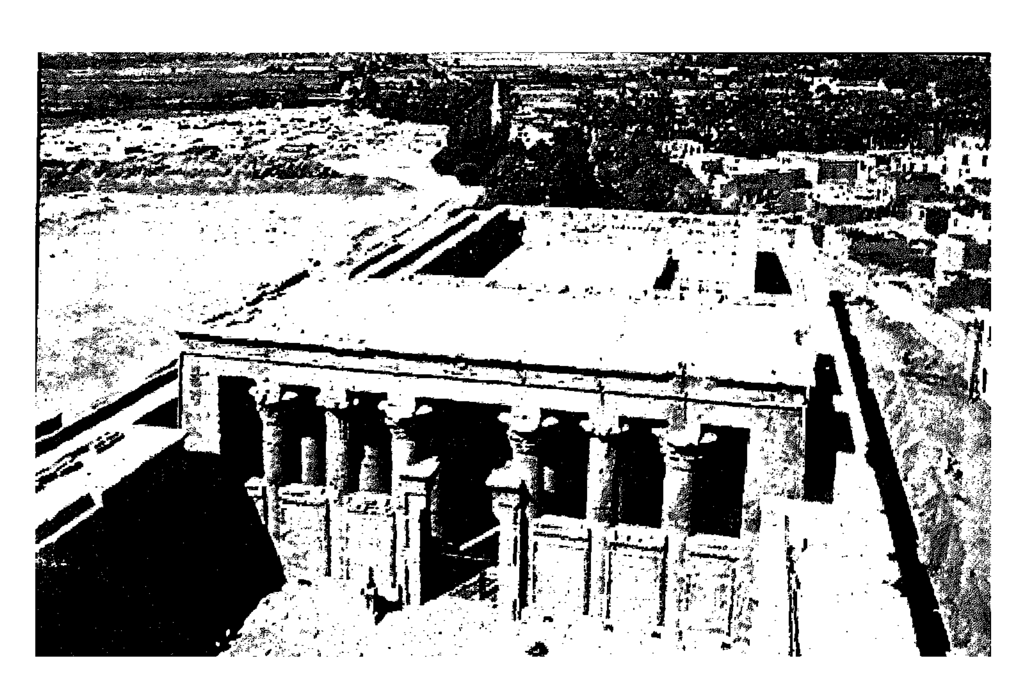
معبد إدفو وكان شبه مدفون فى الرمال حين رسمه الفنان « دينون » أثناء الحملة الفرنسية



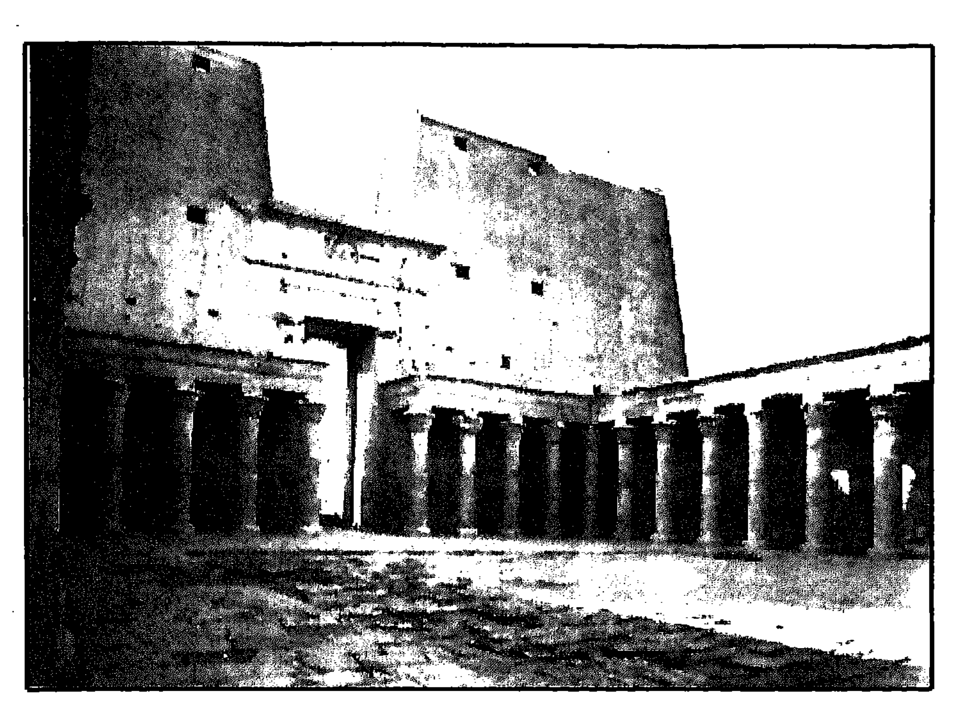
منظر داخلى لمعبد إدفو كما رسمه الفنان « دافيد روبرتس » عام ١٨٣٨م ، وكان المعبد مدفوناً فى الرمال حتى منتصفه .



التمثال الجرانيتى الضخم للإله « حورس » فى هيئة الصقر . . عند مدخل معبد إدفو



المدخل الشمالى لمعبد إدفو



منظر داخلى لمعبد حورس فى إدفو . وقد بدأ بناء هذا المعبد فى عهد بطلميوس الثالث [٢٣٧ق م] وأنتهى بناؤه فى عهد بطليموس الثالث عشر ، أى استغرق بناؤه ١٨٠ عاماً حتى اكتمل .

الثانى من أقاليم الوجه القبلى . وكان اسمها المصرى القديم « إدبو » تحور إلى « إتبو » فى اللغة القبطية ، وتحور مرة أخرى إلى « إدفو » فى اللغة العربية . أما الإغريق فقد أطلقوا عليها اسم « أبولينوبوليس ماجنا » نسبة إلى « أبوللو » الإله المعادل للإله المصرى « حورس » .

ويرى بعض علماء الآثار المصرية أن أول معبد بنى فى تلك المدينة كان فى عصر الأسرة الثالثة [٢٦٤٩ - ٢٥٧٥ ق م] . غير أن هذا المعبد قد اندرس تماماً ولم يعد له أثرسوى بعض المدونات التى تشير إليه .

وهناك بعض بقايا معبد مصرى قديم بنى فى عصر الدولة الحديثة [الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ١٥٥٠ - ١٠٧٠ ق م] خصوصاً فى عهود الفراعنة تحوتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع .

وتدل الشواهد الأثرية على انه فى عهد الفاتح العظيم تحوتمس الثالث جرى الاحتفال بعيد دينى سمّى « عيد اللقاء الطيب » كان يجرى كل عام حيث تتم فيه زيارة الإلهة «حتحور » سيدة مدينة دندره بصحبة زوجها « حورس » لقضاء أيام هذا العيد السنوى فى المعبد الفرعونى القديم بمدينة إدفو ، وهو المعبد الذى عثر على بعض بقاياه شرق المعبد الضخم الذى بناه البطالمة . وهذا المعبد الأخير هو الذى ظل قائماً ، ويعتبره الأثريون من أجمل وأكمل المعابد المصرية القديمة التى ظلت محفوظة بحالة جيدة حتى الآن .

بدأ بناء المبنى الرئيسى لهذا المعبد فى عهد « بطلميوس الثالث » عام ٢٣٧ ق م ، وقد استغرق العمل فيه نحو خمسة وعشرين عاماً حتى انتهى فى عهد « بطلميوس الرابع» عام ٢١٢ ق م . ثم استغرقت زخرفته بالنقوش ست سنوات أخرى . . وظل البطالمة يساهمون فى إضافة بعض الأعمدة والقاعات والمنشآت المعمارية الأخرى فى هذا المعبد حتى عهد « بطلميوس الحادى عشر » المعروف ببطلميوس الزمار عام ٥٧ ق م . ومعنى ذلك أن بناء هذا المعبد العظيم قد استمر نحو ١٨٠ عاماً حتى اكتمل .

ويشغل المعبد مساحة قدرها ١٣٧ مترا طولاً و ٧٩ مترا عرضاً . وترتفع أعمدته



نقش جدارى بمعبد إدفو يصور الإله « تحوت » إله الكتابة والحكمة



نقش على احد جدران معبد إدفو يصور إلهة الوجه البحرى و إلهة الوجه القبلى وهما تتوجان أحد ملوك البطالمة

الداخلية الضخمة إلى ٣٦ متراً . وبسبب اتساع مساحته وضخامة مبانيه ومنشآته الداخلية والخارجية يعتبره علماء الآثار ثانى المعابد المصرية القديمة بعد الكرنك من حيث الضخامة . كما يعتبرونه أيضا من أجمل وأكمل المعابد المصرية التى ظلت محتفظة بمبانيها وزخارفها ورونقها سليمة حتى الآن .

وتعتبر قاعات الأعمدة من أجمل القاعات الباقية من المعابد المصرية ، ففضلاً عن ضخامة الكتلة يتأثر المشاهد بجمال النقوش وتنوع تيجان هذه الأعمدة وتجميلها بزخرفة نحتية على شكل زهور وتوريقات نباتية .

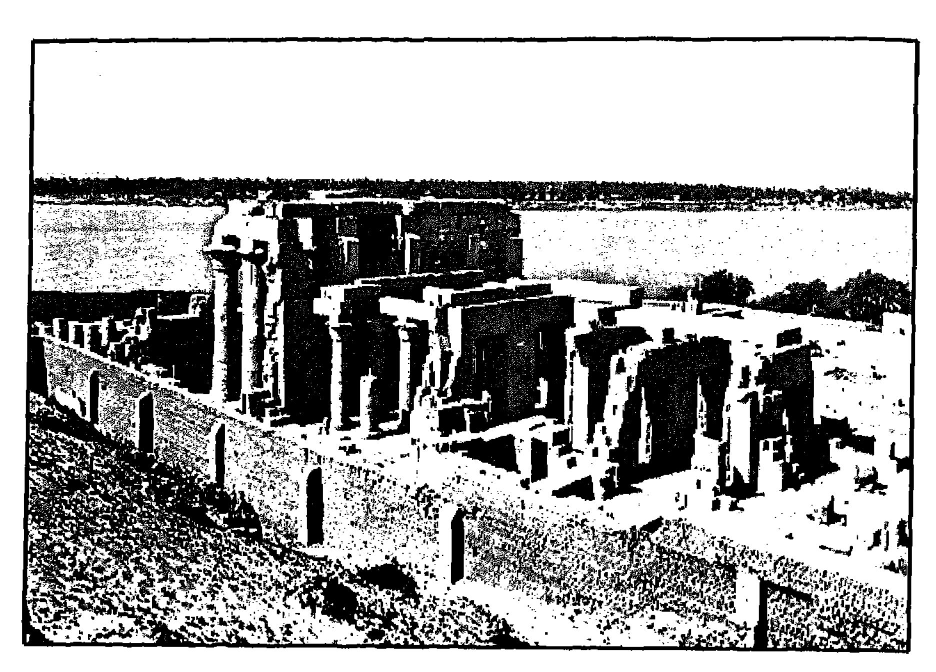
ولأن المعبد كان مكرساً منذ البداية لعبادة الإله « حورس » فقد وضع عند مدخله تمثالان ضخمان من الجرانيت الأسود ، يمثلان الإله حورس فى صورة صقر شامخ [ويلاحظ أن اسم حورس مأخوذ من الكلمة المصرية القديمة « حر » بمعنى صقر] .

وعندما زار « مارييت » عالم الآثار المصرية هذا المعبد سنة ١٨٦٠ م ، وجده فى حالة سيئة جدا ، حيث زحفت عليه مبانى ومساكن الأهالى وأحاطت به من كل جوانبه ، بل وكادت أن تغطيه تماماً . كما استخدمت أسطح المعبد كاصطبلات وزرائب للحيوانات ومخازن للحبوب . كما أن نقوش قاعات المعبد كانت قد تعرضت فى عهود سابقة إلى التهشيم والتشويه من جانب المسيحيين الأوائل الذين كانوا متعصبين ضد الديانات الوثنية .

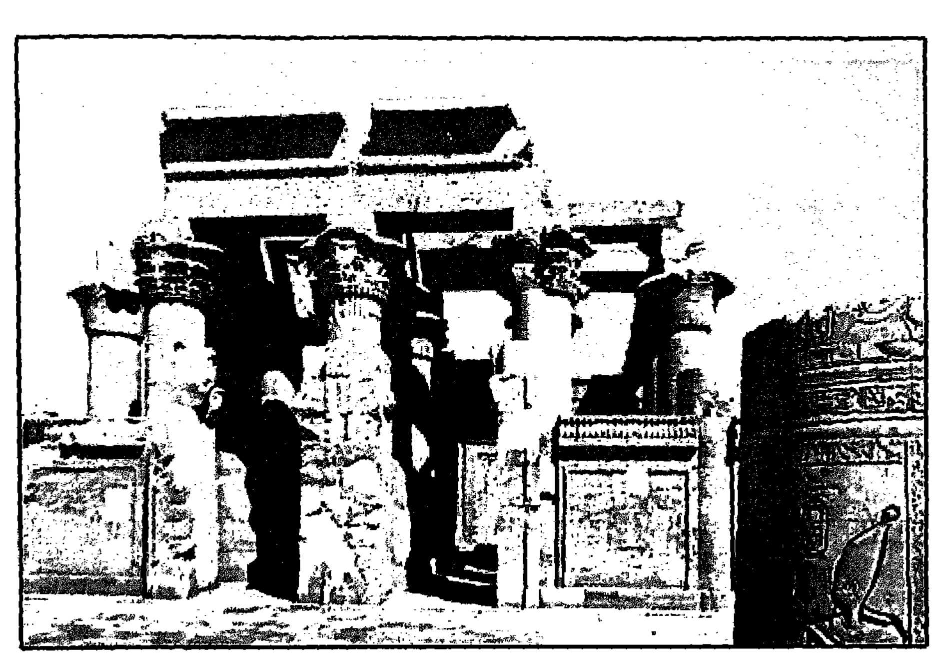
ومنذ ذلك الحين وحتى الآن ، مازالت الجهات المسئولة عن الآثار المصرية تبذل جهدها فى إبعاد و إزالة بعض مساكن الأهالى التى مازالت تشوه حرم المعبد .

● معبد كوم امبو ●

ومن إدفو نتجه جنوباً صعوداً مع النيل مرة أخرى حتى نصل إلى منطقة كوم امبو التى تعتبرمن أقدم المناطق التى استوطن فيها قدماء المصريين منذ عشرات ومئات الآلاف من السنين فى عصور ماقبل التاريخ ، بسبب ماكان يتوفر فيها من أسباب الحياة . وقد عثر علماء الانثروبولوجى « علم الانسان » على بقايا جمجمة وهيكل عظمى لانسان عاش فى تلك المنطقة منذ نحو مليون سنة «!!» .



منظر عام لموقع معبد كوم أمبو على شاطىء النيل .



المدخل الرئيسى لمعبد كوم أمبو

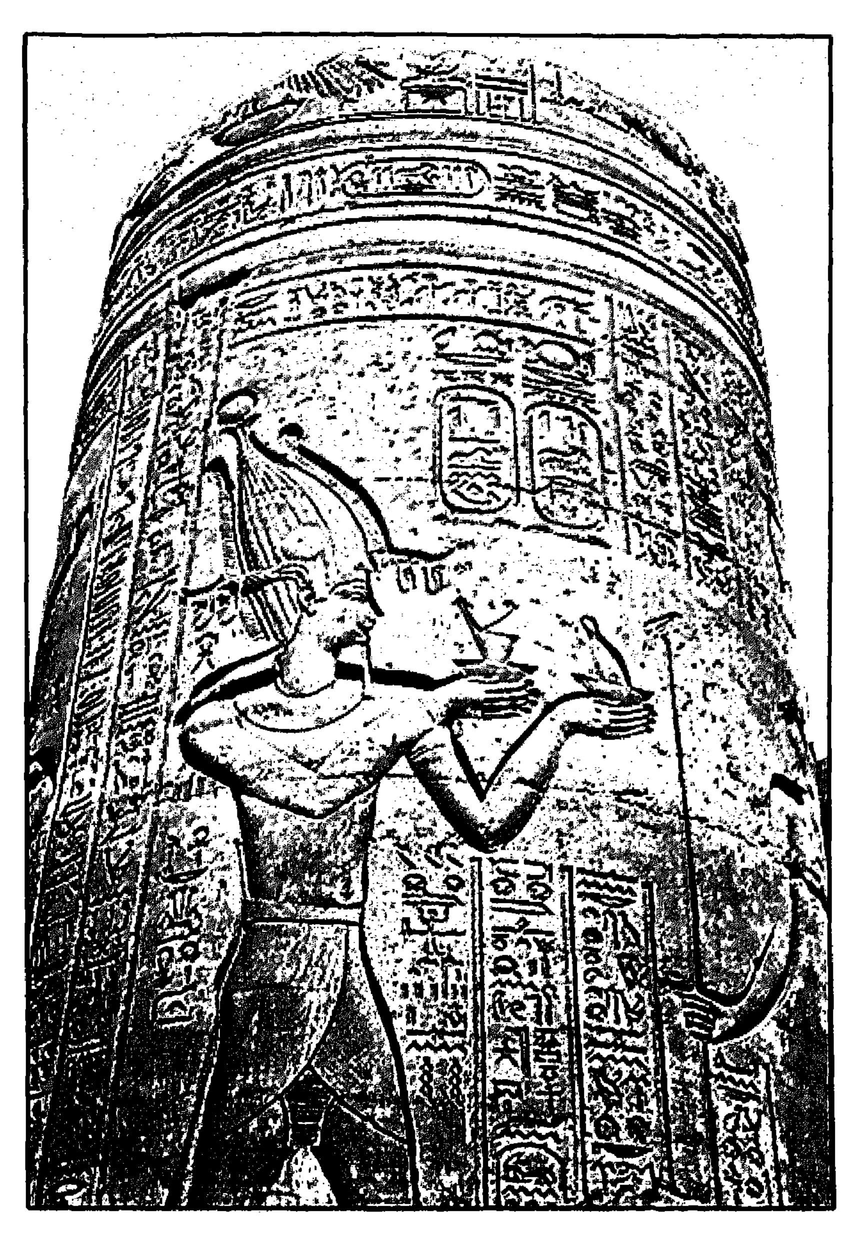
ويمتد وادى كوم امبو نحو ١٣٥ كيلو مترا ، ويمتاز بأرض خصبة تجود فيها زراعة قصب السكر ، فأصبحت المنطقة من أكبرمراكز صناعة السكر فى مصر .

وقد أطلق المصريون القدماء على كوم امبو اسم « نوب » ومعناه « الذهب » حيث كان يربطها طريق يخترق الصحراء الشرقية يؤدى إلى مناجم الذهب . وقد تحور هذا الاسم إلى « امبو » فى اللغة القبطية ، وأضاف إليه العرب كلمة « كوم » فأصبح كوم امبو.

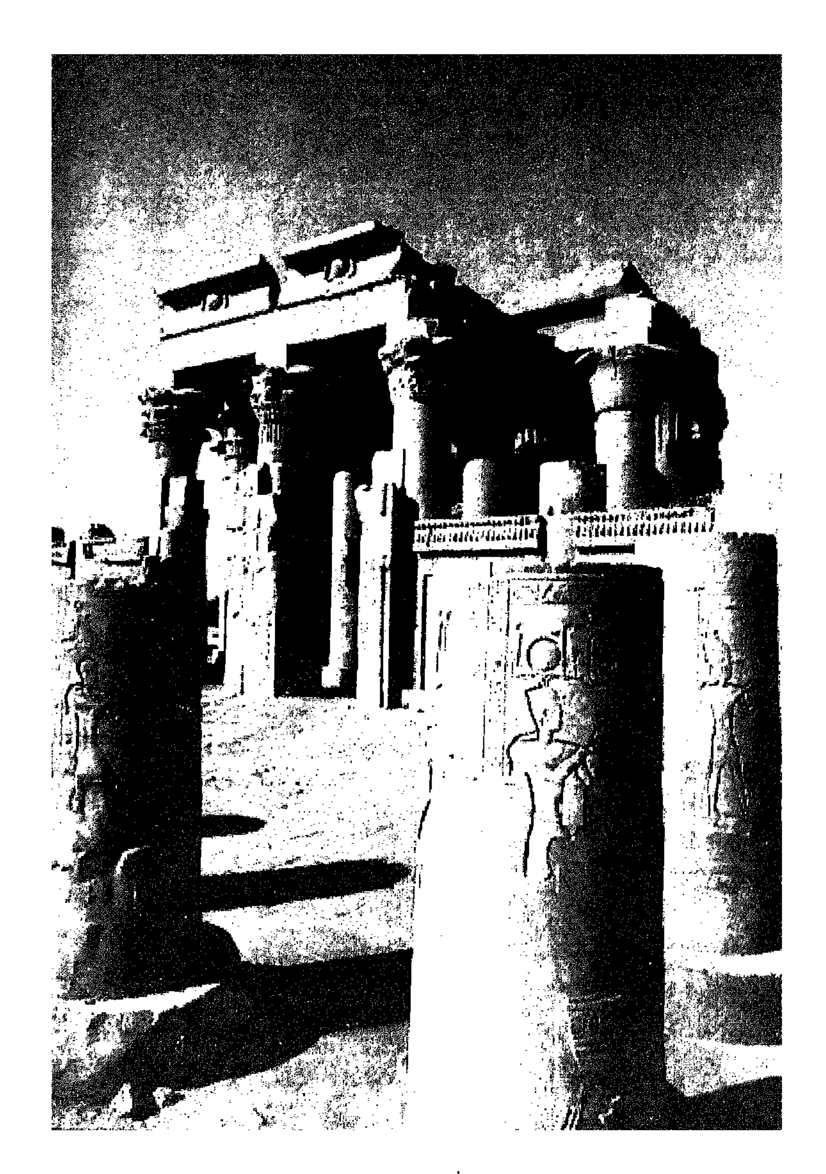
ومما لاشك فيه أن منطقة كوم امبو كانت عامرة بمنشآت شيدها الفراعنة وملوك مصر القدماء ، ولكنها للأسف اندرست ولم يعد باقياً منها سوى آثار قليلة جداً ترجع بعض بقاياها إلى عصر الدولة الوسطى والدولة الحديثة ، وبعض أحجار تحمل اسم تحوتمس الثالث وحتشبسوت ورمسيس الثانى .

غير أن أهمية كوم امبو فى عالم الآثار المصرية ترجع أساساً إلى عصر « الجريك رومان» [اليونانى الرومانى] حين أصبحت كوم امبو عاصمة للإقليم ، وحين شرع البطالمة فى بناء المعبد الشهير الذى يطل على مكان جذاب عند ثنية النيل ، والذى ظلت آثاره باقية حتى الآن . ويتميز هذا المعبد بطراز فريد بين المعابد الدينية التى بنيت فى العصر البطلمى الرومانى . وبدأ بناؤه فى عهد « بطلميوس السادس » ، وهو أول البطالمة الذين ظهرت أسماؤهم منقوشة على جدارن هذا المعبد . ثم استمر خلفاؤه من البطالمة الآخرين فى استكمال منشآت المعبد وبناء الإضافات وإتمام النقوش والزخارف حتى عهد « بطلميوس الثانى عشر» .

وبعد انتهاء عصر البطالمة ، استمر الرومان فى إضافة بعض المنشآت وقاعات الأعمدة ، خصوصاً فى عهدى الامبراطورين الرومانيين تيبريوس ودوميتيان . ويدل هذا على أن بناء المعبد قد استغرق نحو ٤٠٠ عام حتى اكتمل تماماً . ولذلك فلم يكن من الغريب أن نرى نقوشاً ومناظر تصور لنا مجموعة كبيرة من ملوك البطالمة وزوجاتهم أثناء أداء بعض الطقوس الدينية الخاصة بعبادة بعض آلهة مصرالقديمة . . كما نرى أيضا نقوشاً تصور بعض أباطرة الرومان وهم يقدمون القرابين لآلهة مصر مثل الأباطرة تراجان وكراكالا ودوميتيان .



نقش على أحد الأعمدة الضخمة بمعبد كوم أمبو يصور الامبراطور الرومانى « تيبيريوس » وهم يقدم القرابين للآلهة



معبد كوم أمبو من الداخل . . ويتكون المعبد من قسمين : الأول مكرس للإله حورس والثانى مكرس للإله سوبك [الذى يتخذ شكل التمساح]

ولم يكن من الغريب أيضا أن العناصر الزخرفية المستخدمة فى تزيين تيجان الأعمدة وجدران المعبد وسقوفه تمثل نوعاً من الامتزاج بين الفن المصري القديم والفن الإغريقى والفن الرومانى . ومن حسن الحظ فقد احتفظت معظم هذه النقوش والزخارف بألوانها الأصلية الزاهية . كما تتميز معظم الأعمدة بالقاعتين الكبرى والصغرى بتيجان ذات نحت تشكيلى يمثل زخارف من التوريقات النباتية وسعف النخيل .

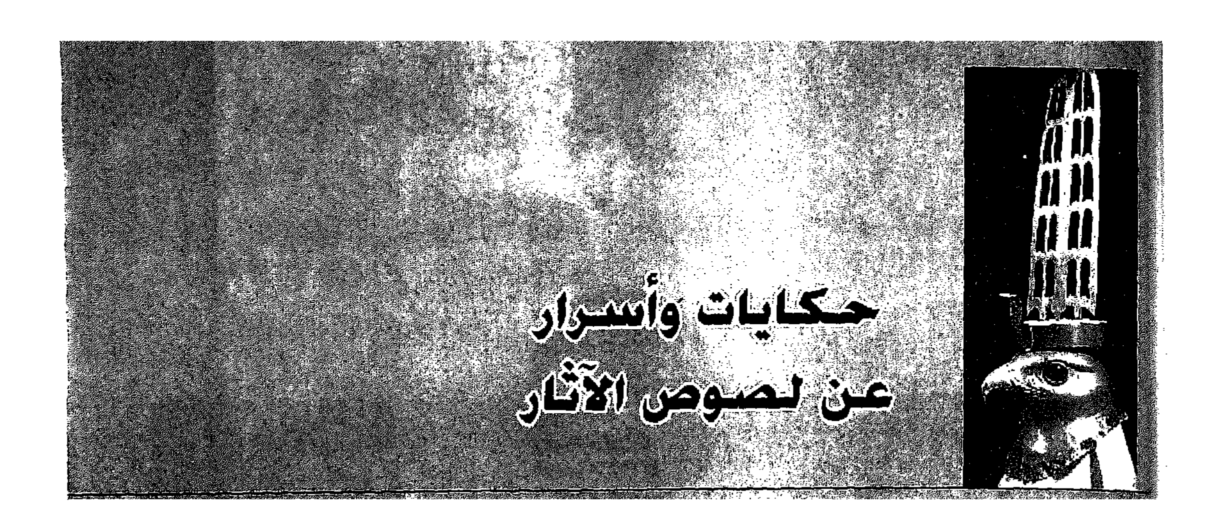
وقد وضع تصميم المعبد منذ البداية لتكريس إلهين من الآلهة المصرية القديمة هما الإله « سوبك » [التمساح] والإله « حور - أور » أى حورس الكبير . وقد استخدمت إحدى غرف المعبد لتخزين عدد كبيرمن مومياوات التماسيح التى وجدت «محنطة » وعثر عليها فى مدافن قرب المعبد .

وحتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كان المعبد مدفوناً تحت ركام من الرمال ، ولا تظهر منه سوى هامات الأعمدة وتيجانها . . وقد بذلت الجهات المسئولة عن الآثار المصرية جهوداً ضخمة لإزالة هذه الرمال المتراكمة ، وتنظيف ساحات المعبد وقاعاته وكافة منشآته .

وكانت هناك أسطورة قديمة تقول أن الإله « سوبك » التمساح الشرير طرد أخاه «حور - أور» الإله الطيب ، فهاجر من المكان وهاجر معه الشعب . ولما كان «سوبك» يريد أن يواصل زراعة الأرض الخصبة ، فقد استعان بالسحر وسخّرالموتى فى زراعة هذه الأرض ، فبذروا الرمال بدلاً من الحبوب ، فأثمرت الأرض صحراء رملية غطت المعبد والأرض المحيطة به .

ولحسن الحظ فقد كانت هذه الرمال التى دفنت منشآت المعبد من أهم العوامل التى حفظته لنا سليماً إلى حد ما حتى وقتنا الحاضر .





إذا جمعنا الحكايات والتقارير التى كتبت فى المراجع عن السرقات التى تعرضت لها الآثار المصرية ، لشابت من هولها الرؤوس ، وفغرت لها الأفواه غضباً ودهشة . .

مئات من الحكايات تكفى لملء عدة مجلدات . . عن مئات بل آلاف اللصوص الذين نهبوا الآثار المصرية وباعوها بأعلى الأثمان فى بعض الأحيان وبأبخس الأثمان فى كثير من الأحيان .

والآن . . أينما تجولت فى المدن فى الهامة بأوربا أو أمريكا وزرت متاحفها . . فسوف تلاحظ على الفور أن « القسم المصرى » بهذه المتاحف يعرض تحف الآثار المصرية المسروقة أو المهربة من مصر بطرق غير مشروعة . . وبقدر ما يقتنيه كل متحف من هذه الآثار ، يتفاخر على غيره من المتاحف الأخرى فى البلدان المختلفة .

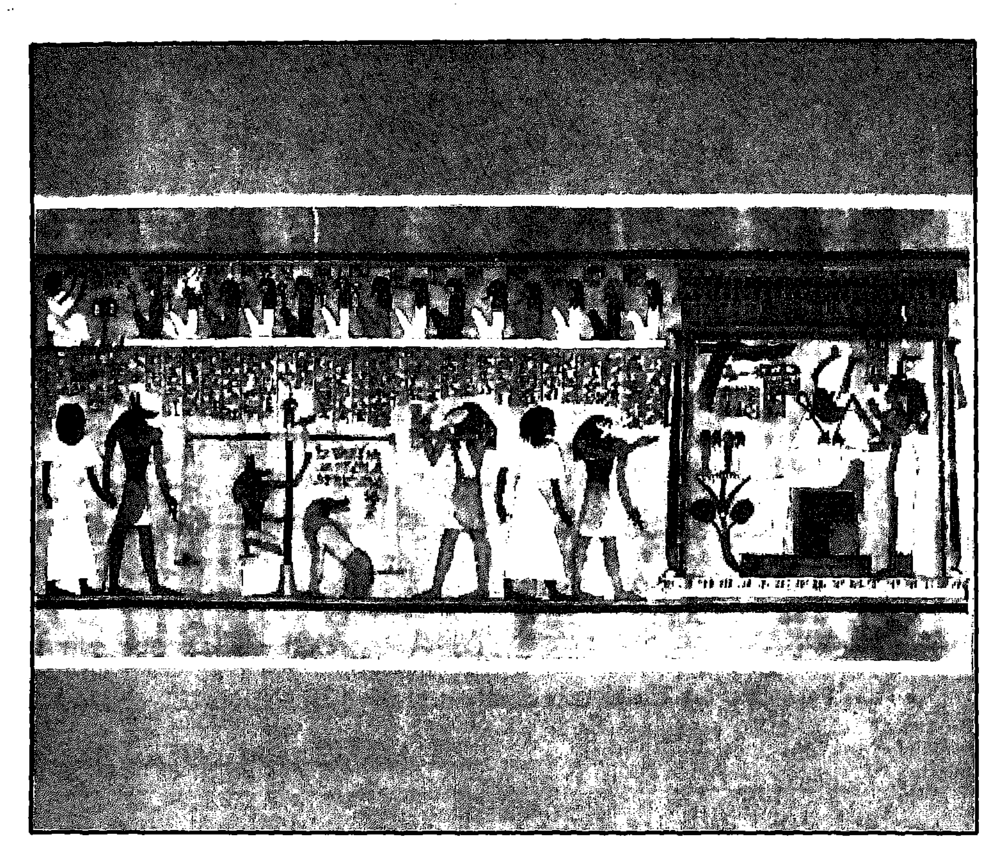
● سرقة الآثار .. حرفة قديمة !

وتعتبر جريمة سرقة الآثار المصرية جريمة بشعة بكل المعايير . . وهى جريمة قديمة قدم الآثار نفسها . . ففى كل العصور الفرعونية من بدايتها إلى نهايتها ، كان هناك لصوص يسرقون الآثار ولايرعون حرمة الموتى . . وكان اللصوص من قدماء المصريين يتربصون بالمدفن بعد أن يتم الدفن . . وقد يقومون بالسرقة فى نفس السنة التى دفن فيها الميت . . وقد تتم السرقة بعد مرور عام أو اثنين أو مائة عام أو أكثر . . المهم أن سرقة الآثار الثمينة التى دفنت مع الموتى كانت تتم باستمرار وعلى مدى التاريخ المصرى كله .

وقد يكون من العسير - بل من المستحيل - ان نعرف كيف تمت هذه السرقات القديمة . . ومن هم اللصوص القدماء الذين ارتكبوها . . ولكننا نعرف بوضوح أن



من معروضات المتحف البريطانى بلندن : تمثال رائع للكاتب المصرى



من معروضات المتحف البريطاني بلندن . . بردية متعددة الألوان تصور عملية الحساب في الدار الآخرة ووزن قلب الميت لبيان خيره من شره .

السرقات قد حدثت ، حين نرى آلاف المقابر القديمة وقد نهبت محتوياتها وأصبحت خاوية تماماً عدا ماتتضمنه من نقوش على الجدران .

وقد استمرت عمليات سرقة ونهب الآثار المصرية عبر جميع العصور التاريخية التى مرت على مصر . وتدل الشواهد على أن « جميع » المقابر الهامة لملوك وملكات ونبلاء مصر قد نهبت خلال العصور القديمة ، وحتى مقبرة « توت عنخ آمون » وهى المقبرة الملكية الوحيدة التى أفلتت معظم محتوياتها من أيدى اللصوص ، تعرضت للسرقة مرتين ، مرة فى العصور القديمة ،كما ادعى كارتر،حيث اقتحمت المقبرة ولكن اللصوص لم يظفروا بسرقة الكثير من محتوياتها ، ومرة أخرى فور اكتشافها سنة ١٩٢٢ حيث دخلها « اللورد كارنارفون » مع ابنته فى صحبة « كارتر » مكتشف المقبرة . وقد سطا اللورد وابنته على بعض محتويات المقبرة التى يسهل حملها واخفاؤها .

وربما كان الباعث الدافع على عمليات السرقة والنهب ، هو ماكانت تحتويه هذه المقابر من كنوز ثمينة ، فقد كانت عادة المصريين القدماء أن يدفنوا مع موتاهم ما يعتقدون فى نفعه للميت خلال حياته فى الدار الآخرة ، بالإضافة إلى عديد من المقتنيات التى كان يستعملها الميت فى حياته الأولى . . وكانوا يزودون الموتى بقطع الأثاث الجنائزى الفاخرة بالإضافة إلى التوابيت والمصنوعات الذهبية وما يزينون به المومياء من حلى ومصوغات ومجوهرات وأحجار كريمة .

* ومن أشهر حوادث سرقة المقابر التى ارتكبت فى عهد الملك « خوفو » صاحب الهرم الأكبر ، سرقة مقبرة أمه الملكة « حتب حرس » والتى كانت زوجة لأبيه الملك «سنفرو » . وقد استنتج علماء الآثار حدوث هذه السرقة فى عهد « خوفو » الذى أمر باعادة دفن أمه فى مقبرة على شكل بئر عمقه نحو ٣٠ متراً بجوار هرمه بالجيزة ، ونقلها من مقبرتها الأصلية التى تعرضت للسرقة ، وكانت بجوار هرم أبيه فى دهشور . ومن الواضح أن اللصوص سرقوا مومياء الملكة من تابوتها للاستيلاء على ماكانت تتحلى به من حلى ومصوغات ومجوهرات . . ومن الواضح أيضا أن « خوفو » لم يعرف بسرقة مومياء أمه ، وإلا ماكان قد أمر باعادة دفنها فى المقبرة الجديدة . وقد اكتشفت هذه

المقبرة الجديدة سنة ١٩٢٥م ووجدت سليمة كاملة المحتويات الفاخرة ، فيما عدا التابوت فقد وجد فارغاً بعد أن سرقت الجثة من المقبرة القديمة .

*ومن أشهر حوادث سرقة الآثار التى ذكرت فى التاريخ المصرى القديم حوادث السرقة العامة التى وقعت خلال مايسميه المؤرخون « عصر الانتقال الأول » حيث سادت القلاقل السياسية والاجتماعية وضربت الفوضى أطنابها فى جميع أنحاء الدولة على مدى نحو ١٢٠ عاماً بعد سقوط الدولة القديمة وقبل بداية عصر الدولة الوسطى [بين عامى ٢١٨٠ ، ق م - ٢٠٦٠ ق م] . . ففى ذلك العصر حدث هياج شعبى ضد سلطات الحكم ، فنهبت قصور وقبور الملوك والملكات والأمراء والأميرات والنبلاء وكبار رجال الدولة ،واقتحمت الأهرام والمصاطب وتم الاستيلاء على كل ماكانت تحتويه من كنوز .

● لص قديم .. يعترف !

ومع ذلك ، ولحسن حظ علم التاريخ والمعرفة ، تم العثور على بعض البرديات التى دونت عليها اجراءات التحقيق مع بعض لصوص المقابر القدماء الذين تعدوا على بعض المقابر الملكية وسرقوا محتوياتها .

وعلى سبيل المثال . . فى عهد الملك رمسيس التاسع [حوالى عام ١١٢٤ ق م] . . اعترف أحد لصوص المقابر اعترافا كاملاً بعد أن ضرب ضرباً مبرحاً كعينة من العقاب الذى ينتظره إذا لم يبح بكل الحقيقة . . وكان اسم هذا اللص « آمون بانوفر » . . وهو عضو فى عصابة مكونة من سبعة لصوص آخرين . وقد اقتحمت هذه العصابة مقبرة الملك « سوبك - إم - ساف » وهو من ملوك الأسرة السابعة عشرة الذى مات ودفن فى تلك المقبرة منذ مايزيد على أربعمائة عام قبل هذا الاقتحام . . وقال اللص فى اعترافه :

« لقد وجدنا المومياء النبيلة للملك المقدس ، وبجانبه سيفه المعقوف . وكان صدره مغطى بالتمائم والمشغولات الذهبية . وكان وجهه مغطى بقناع من الذهب . . وكانت المومياء النبيلة للملك مزينة كلها بالذهب . . وكانت أكفانه أيضا مزينة بالذهب

والفضة من الداخل والخارج ، ومزينة أيضا بالمجوهرات والمعادن الثمينة التى كانت موجودة على المومياء والأكفان .

كذلك وجدنا مومياء الملكة فى نفس الحالة ، فجمعنا كل ماكان موجوداً عليها . . وبعد ذلك أشعلنا النار فى تابوتى الملك والملكة وأكفانهما ، وأخذنا كل ماكان موجوداً من الأثاث بداخل المقبرة وجميع الأشياء الأخرى المصنوعة من الذهب والفضة والبرونز ، واقتسمنا جميع هذه الأسلاب فيما بيننا . . وكان وزن الذهب ١٦٠ دبن [أى نحو ١٤.٥ كجم] . . »

واختتم اللص « آمون بانوفر » اعترافه بأن أقر بأنه هو وعصابته كانوا يسرقون المقابر الأخرى بطيبة الغربية طوال السنوات الأربع الماضية . . وانه على يقين بأن هناك عصابات أخرى تقوم بجرائم سرقة المقابر الفرعونية .

● المسلات التى سرقها قياصرة الرومان !

واستمرت جرائم سرقة الآثار المصرية طوال العصور القديمة التى تلت انتهاء العصور الفرعونية . . ففى العصر الرومانى مثلا كان بعض القياصرة يفخرون بأنهم استطاعوا أن ينقلوا إلى روما المسلات والتماثيل المصرية التى كانت تعاد اقامتها فى أفخم ميادين روما وأكثرها جمالاً . .

وبالرغم من كل صعوبات النقل والفك وإعادة التركيب، فقد نقلت من مصر العديد من المسلات . . واستمرت عمليات سرقة المسلات المصرية خلال العصور الوسطى حتى العصر الحديث ، حيث أصبحت المسلات المصرية مفخرة لأعظم الميادين ، سواء فى روما أو باريس أولندن أونيويورك .

وكل هذه المسلات المسروقة خرجت من مصر قسراً أو خرجت بطرق احتيالية خادعة، أو بموافقة بعض حكام مصر الجهلاء بقدر وقيمة الآثار المصرية . .

● العلاج بمسحوق المومياوات المصرية !

وفى العصور الوسطى فى أوربا شاع الاعتقاد بين عدد من الشعوب الأوربية القديمة

بأن قليلا من طحين أو مسحوق مومياء مصرية قديمة ، كفيل بشفاء جميع الأمراض مهما كانت مستعصية . . ولهذا السبب فقد كان يفد إلى مصر كثير من الأفاقين الأوربيين ليشتركوا فى عمليات نهب القبور المصرية القديمة بما فيها من تحف وأثاثات وآثار منقولة ، بالاضافة إلى ماكان مدفوناً فيها من مومياوات . ونقلت من مصر خلال تلك العصور عشرات الآلاف من المومياوات التى كانت تباع للأطباء ومدعى القدرة على الشفاء فى مختلف الدول والبلدان الأوربية .

ويحكى أحد كتب الرحلات أن أفاقا اسكتلنديا اسمه « جون ساندرسون » جاء إلى مصر خلال القرن السادس عشر ، واستطاع وحده أن ينقل من مقابر منف مومياوات مصرية بلغ وزنها نحو ستمائة رطل ، وقام ببيعها فى الجزر البريطانية بالسعر الذى كان سائداً لهذه السلعة وهو ثمانى شلنات للرطل الواحد .

● التحريض على سرقة الآثار :

وفى سنة ١٧٣٧م قام الأسقف البريطانى ريتشارد بوكوك بزيارة مصر ووصل إلى الأقصر . . وألف كتاباً عن رحلته وصف فيه كنوز الآثار التى رآها . . ويبدو أن هذا الكتاب كان دعوة صريحة ومفتوحة لكل الأفاقين واللصوص الأوربين القادرين على المغامرة ، فجاء إلى مصر عشرات من هؤلاء اللصوص الذين قاموا بالتنقيب عن الآثار سواء بأنفسهم أو بالاستعانة ببعض الحفارين المصريين ، أو قاموا بشراء التحف الأثرية بأبخس الأثمان وهرّبوا كل هذه الآثار إلى أوربا . كذلك فقد كان لكتاب « وصف مصر» الذى أصدرته فرنسا فى أعقاب حملتها الشهيرة على مصر أثر كبير فى جذب المزيد من اللصوص والباحثين عن الشهرة والثراء السريع والذين نهبوا من مصر آثاراً لاحصر لها .

● نهب الآثار المصرية فى عصر محمد على

غير أن عمليات سرقة ونهب الآثار المصرية ازدادت زيادة كبيرة منذ بداية القرن التاسع عشر ، خصوصاً فى عصر محمد على وخلفائه الأولين . . وإلى جانب عمليات النهب كانت بعض الآثار الضخمة تخرج من مصر تحت سمع وبصر حكامها ، بل ان

محمد على نفسه كان لايرى فى الأهرام والمعابد والمقابر المصرية القديمة أية قيمة أكثر من كونها « محاجر » يفك منها الأحجار اللازمة لبناء منشآته . . بل وأهدى فرنسا مسلة رمسيس الأكبر المقامة حالياً فى ميدان الكونكورد بباريس .

● القناصل اللصوص !

وكان القنصلان البريطانى والفرنسى على رأس قائمة لصوص ومهربى الآثار المصرية فى عصر محمد على . . فالقنصل البريطانى وكان اسمه « سولت » يستحق أن يطلق عليه بحق لقب أكبر لصوص الآثار المصرية فى العصر الحديث . . فقد أشرف هذا القنصل على شحن عشرات الآلاف من القطع الأثرية المنهوبة ، سواء إلى بريطانيا أو إلى غيرها من الدول الأوربية . وكان يبيع هذه الآثار للمتاحف وإلى الكثيرين من عليه القوم المصابين بهواية جمع التحف الأثرية وتكوين مجموعاتهم أو متاحفهم الخاصة .

وقد استعان هذا القنصل البريطانى بمجموعة ممن تتردد أسماؤهم فى بعض المراجع كمكتشفين وعلماء متخصصين فى علم الآثار والمصريات أمثال : بلزونى ولويس بيركهارت وجيوفانى كا فيجيليا .

أما القنصل الفرنسى ، وكان اسمه « دروفيتى » فقد أشرف بدوره على عمليات نهب وشحن آلاف من التحف الأثرية ولفائف البردى . . وباع بعضها إلى ملك سردينيا وإلى متحف اللوفر وإلى متحف برلين الذى يفخر دائما بأنه يضم أجمل وأروع القطع الأثرية المصرية التى تعرض فى متاحف أوربا .

وكان نجاح القنصلين البريطانى والفرنسى فى عمليات نهب الآثار المصرية وماحققه لهما هذا النهب من ثراء فاحش ، أكبر الأثر فى إغراء قناصل الدول الأوربية الأخرى إلى ارتكاب نفس الجريمة .

واحد منهم كان اسمه « جيوفانى أنسطاسى » وهو أرمنى وفد إلى مصر قادماً من سوريا وأقام بالقاهرة وعمل قنصلا فخرياً للسويد والنرويج . وقد ذاع صيت هذا القنصل وانتشر اسمه فى كتب التاريخ والآثار باعتباره من أكبر موردى البرديات فى

العصر الحديث . . فقد باع برديات لاحصر لها لمتاحف السويد وهولندا وفرنسا والمتحف البريطانى . وأشهر هذه البرديات موزعة الآن فى لندن وباريس وبرلين وليدن .

أما قنصل الدنمارك فقد قام أيضاً بتهريب آثار كثيرة جدا باعها إلى المتحف الوطنى بكوبنهاجن .

● علماء آثار .. ولكن لصوص !

ومن أغرب الظواهر أن كثيرين ممن اشتهرت أسماؤهم كمؤرخين وعلماء فى المصريات قد اقترفوا أيضا جرائم سرقة ونهب الآثار المصرية . بل ربما كانت السرقة وماتحققه من ثراء هى دافعهم إلى التخصص العلمى الذى مارسوه .

ومن أشهر هؤلاء العلماء العالم الألمانى « ريتشارد لبسيوس » الذى تخصص فى دراسة الكتابات الهيروجليفية واللغة المصرية القديمة وقواعد أجروميتها .

لقد جاء هذا العالم إلى مصر ، وأشرف على شحن (١٥) ألف قطعة من الآثار المصرية إلى ألمانيا . . غير مئات من القطع الأثرية الأخرى التى باعها إلى المتحف البريطانى بلندن . . وقد عين هذا العالم فيما بعد مديراً « للمتحف المصرى » ببرلين .

واشتهر اسم « إدوين سميث » أيضا فى عالم البرديات والآثار المصرية المنهوبة . . فقد باع مجموعات من أوراق البردى لألمانيا ، ومجموعات أخرى للجمعية التاريخية بنيويورك [وهذه المجموعة الأخيرة من البرديات تتضمن معلومات علمية عن الطب عند قدماء المصريين ، وهى محفوظة حالياً بالأكاديمية الطبية بنيويورك] .

وهناك أيضا « هنرى إدوارد نافيل » صاحب الاسم الشهير فى عمليات نقل التماثيل الضخمة إلى كل من المتحف البريطانى ومتحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية .

وهكذا . . إذا استطردنا فى ذكر أسماء كل لصوص الآثار المصرية أو أسماء علماء المصريات الذين ساهموا فى جرائم سرقة وتهريب الآثار المصرية إلى خارج البلاد ، فاننا نحتاج إلى كتاب شامل يتضمن ذكر هذه الجرائم بالتفصيل ، وذكر أوصاف القطع الأثرية النادرة التى سرقوها وهرّبوها من البلاد بكل الطرق الاحتيالية والطرق غير المشروعة .



صورة فوتوجرافية التقطت عام ١٩٠٦ لفلهلم بليتسايوس أحد هواة الآثار الألمان وهو يفحص «مجموعته» الخاصة من الآثار المصرية .

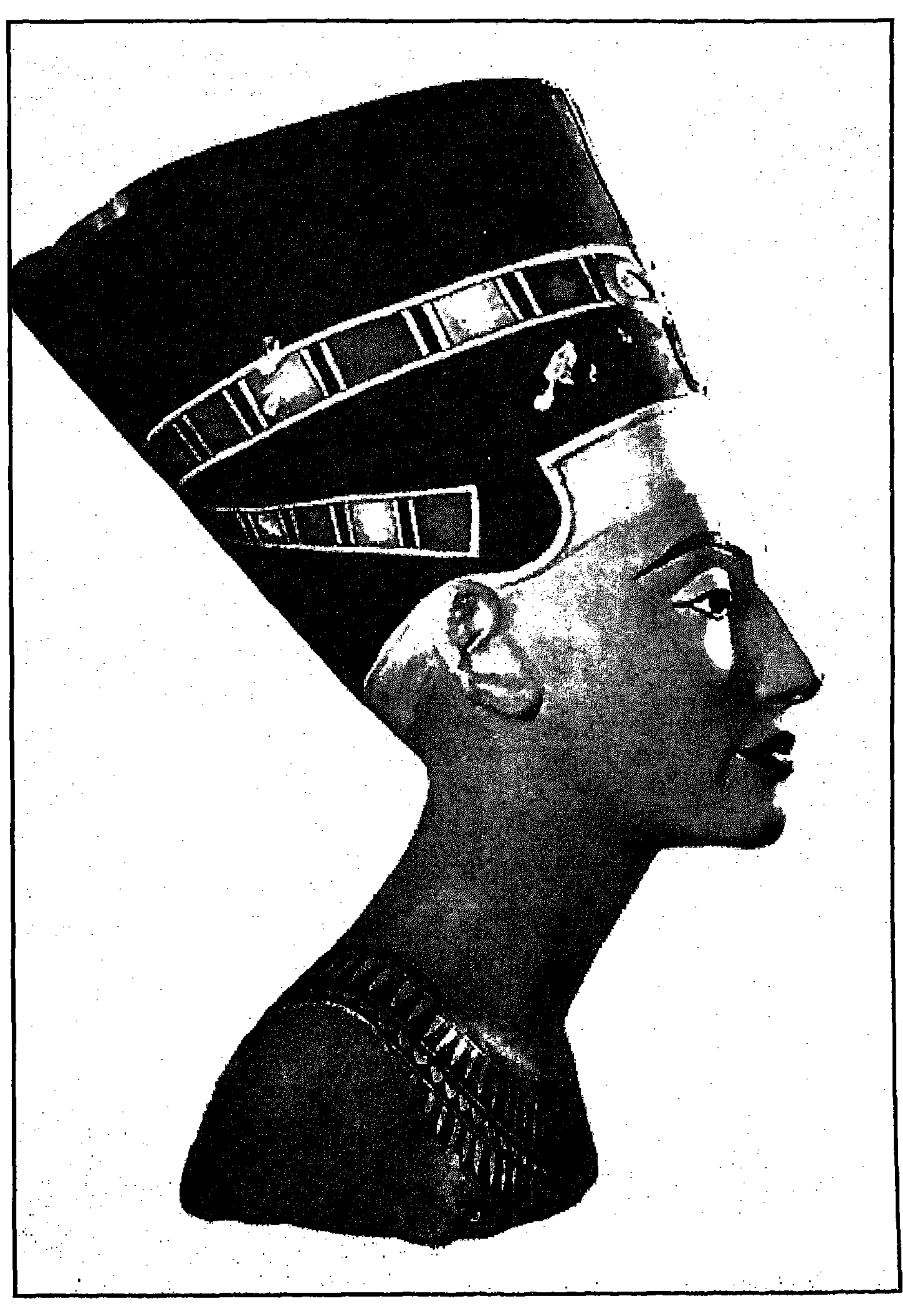
● كارتر .. وسيط بين اللصوص والمتاحف!

ومع ذلك فاننا لانستطيع أن نغفل ذكر اسم معروف ذائع الصيت فى عالم الآثار المصرية وهو « هوارد كارتر » [١٨٧٢ - ١٩٣٩] . وقد عاش بمصر فترة طويلة ، وعمل فى مطلع حياته كرسام مع البعثات البريطانية للحفر والتنقيب عن الآثار فى كل من تل العمارنة وطيبة . ثم عين مفتشاً للآثار بالوجه القبلى . وأشرف على أعمال بعثة لورد كارنارفون فى وادى الملوك حيث اكتشف مقبرة « توت عنخ آمون » سنة ١٩٢٢ .

ويهمنا أن نشير هنا إلى الدور الذى قام به كارتر فى خداع بعض لصوص الآثار المصريين حتى حصل منهم على ٢٢٥ قطعة من التحف والمجوهرات الأثرية المصرية لحساب متحف المتروبوليتان الأمريكى بنيويورك . وقد كشفت هذه الواقعة عن وجود علاقة سرية مشبوهة بين كارتر ومتحف المتروبوليتان من أجل الحصول على كل مايمكن تسريبه وتهريبه من الآثار المصرية . ولهذه الواقعة حكاية طريفة لابأس من الاشارة إليها .

ففى عام ١٩١٦ هبت على مرتفعات طيبة الغربية عواصف عنيفة وسيول جارفة . . وكان بعض أهالى قرية « القرنة » بالمنطقة من المتمرسين فى سرقة الآثار وبيعها للأجانب ، يدركون أن مثل هذه السيول الجارفة تؤدى دوراً أكثر فعالية من المعاول والمعازق والفؤوس التى تستخدم فى عمليات البحث والتنقيب عن الآثار . . لذلك فقد انتشروا فى المنطقة ليروا ماكشفت عنه تلك السيول . وعثروا على مقبرة دفنت فيها ثلاث من الملكات كن زوجات للملك « تحوتمس الثالث » [١٤٨٠ ق م] . وكانت المقبرة كاملة المحتويات من الأثاث الجنائزى والمصوغات وأدوات الزينة التى كانت تتحلى بها الملكات الثلاث والمصنوعة من الذهب والفضة ، بالاضافة إلى مجموعة من الأوانى الذهبية والفضية والتيجان الثلاثة التى يخص كل منها ملكة من تلك الملكات ، ومجموعة المصوغات والمجوهرات التى تخص كل ملكة والتى كانت تتزين بها أثناء حياتها .

وكان لصوص « القرنة » المصريون حريصين تماماً على التكسب من وراء بيع هذا الكنز إلى إقصى درجة ممكنة ، لذلك فقد قروا بيع هذه القطع الأثرية بالقطاعى



التمثال الجميل للجميلة « نفرتيتى » . . هربته بعثة آثار ألمانية بطريقة لصوص الآثار . . وهو الآن من أهم التحف بمتحف برلين .

وعندما وصل خبر هذا الكنز إلى كارتر ، وضع خطة للاستيلاء عليه وبيعه لمتحف المترو بوليتان ، واستمرت مفاوضاته الخداعية مع اللصوص حتى استولى منهم على الكنز وباعه لمتحف المتروبوليتان الذى دفع فيه مبلغاً يزيد قليلا على ربع مليون دولار بسعر ذلك الزمان [يعادل نحو أربعة ملايين دولار بالسعر الحالى] . وحصل كارتر على عمولته الكبيرة فى تلك العملية الدنيئة .

● لورد كارنارفون يسرق توت عنخ آمون !

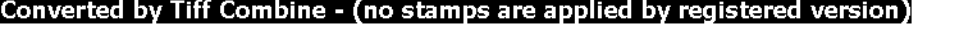
ومن جرائم سرقة الآثار التى اشترك فيها كارتر واللورد كارنارفون ، سرقة بعض محتويات مقبرة « توت عنخ آمون » ليلة اكتشافها وفتحها . . فقد دخل الاثنان ومعهما إيفيلين ابنة اللورد وكانوا وحدهم . . ومن المؤكد أنهم سرقوا الكثير من القطع الأثرية الصغيرة التى يخف حملها ويسهل اخفاؤها . وقد افتضح أمر هذه السرقة فيما بعد حين باع ورثة اللورد كارنارفون تلك القطع الأثرية التى سرقت فى تلك الليلة ، إلى عدد من الأثرياء الأمريكيين من هواة جمع التحف الأثرية وإلى ثلاثة متاحف أمريكية أخرى .

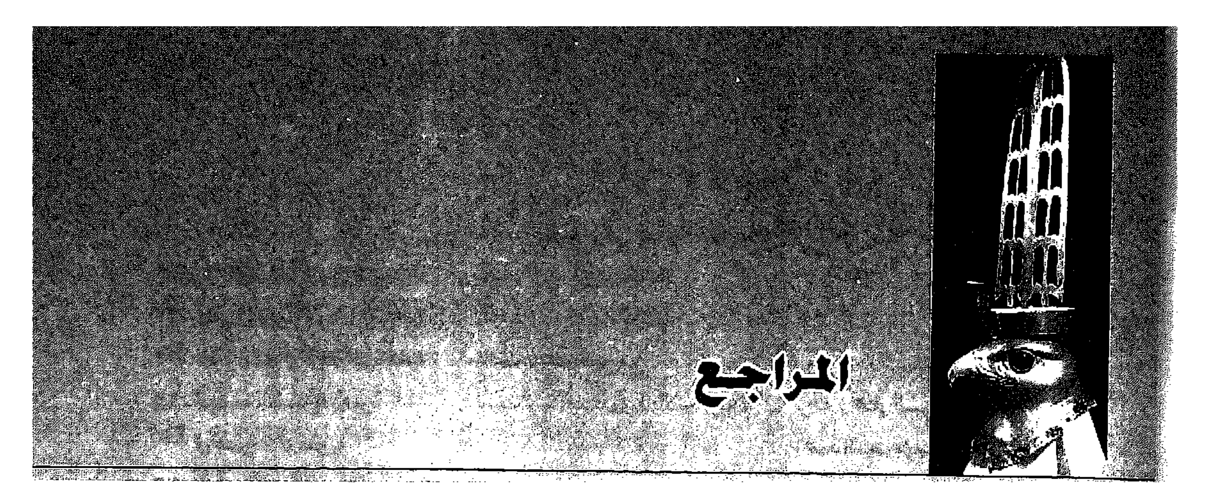
● نفرتيتى .. وكيف سرقها الألمان من مصر !

أما درة الآثار المنهوبة التى خرجت من مصر بطرق احتيالية غير مشروعة ، فهى التمثال الرائع الشهير للملكة نفرتيتى . . فقد عثرت بعثة ألمانية للتنقيب عن الآثار فى تل العمارنة على هذه التحفة فى أواخر سنة ١٩١٢ . وكانت هذه البعثة تعمل تحت رئاسة وإشراف عالم الأثار الألمانى « لودفيج بورشارد » الذى اشترك فى تهريب هذه التحفة من مصر فى بداية عام ١٩١٣ ، وذلك بعد أن تمت عملية تمويه اقتضت تغطية التمثال كله بداخل كتلة من الطين شحنت ضمن مجموعة من الكسرات لبعض النقوش الجدارية وبعض القطع الأثرية الصغيرة .

كذلك فقد قام بورشارد بتهريب قطع كثيرة جداً من الآثار المصرية سلمت كلها إلى متحف برلين الذى يتفاخر على العديد من متاحف المدن الأوروبية الأخرى بكثرة مقتنياته من أروع القطع الأثرية المصرية ، بالاضافه إلى التحفة الفريدة التى كانت ومازالت تعتبر من أجمل الأعمال الفنية فى تاريخ الفن . . تمثال الملكة نفرتيتى . . !







● أولا : المراجع العربية :

١ـ العمارة فى مصر القديمة — تأليف : د . محمد أنور شكرى

٢ ـ حضارة مصر والشرق القديم — تأليف : الدكاترة : ابراهيم رزقانه محمد أنور شكرى ، عبد المنعم أبو بكر حسن محمود ، عبد النعيم حسنين .

٣ـ الحضارة المصرية — تأليف : جون ولسون . — ترجمة : د أحمد فخرى .

٤ـ الماضى الحى — تأليف : إيفار ليسنر — ترجمة : شاكر ابراهيم سعيد

٥ ـ الرمز والاسطورة فى مصر القديمة — تأليف : رندل كلارك . — ترجمة : أحمد صليحة .

٦ ـ تاريخ مصر القديمة [جزءان] — تأليف : د . رمضان السيد

٧ ـ فن الرسم عند قدماء المصريين — تأليف : وليم بيك . — ترجمة : مختار السويفى .

٨ ـ تاريخ العمارة المصرية القديمة — تأليف د . اسكندر بدوى

٩ ـ هردوت يتحدث عن مصر — تأليف : هرودت — ترجمة : د . محمد صقر خفاجة .

١٠ ـ نمو الحضارة — تأليف : و . ج . برى — ترجمة : لويس اسكندر .

١١ ـ علماء الآثار — تأليف : تشارلز مايكل دورتى . — ترجمة : محمد عبد الفتاح ابراهيم

١٢ ـ فن التصوير المصرى القديم — تأليف : نينا ديفز — ترجمة : د . حسن صبحى بكرى ، وعبد الغنى الشال .

١٣ ـ أهـرام مـصر — تأليف : إ . إ . س . إدواردز . — ترجمة : مصطفى عثمان

١٤ ـ أسرار الهرم الأكبر — تأليف : محمد العزب موسى .

١٥ـ المواد والصناعات عند قدماء المصريين — تأليف : ألفريد لوكاس — ترجمة : د . زكى اسكندر و محمد زكريا غنيم .

١٦ ـ فى رحاب المعبود توت — تأليف : د سامى جبره . — ترجمة : عبد العاطى جلال .

١٧ ـ مصر الفراعنة — تأليف : سير ألن جاردنر . — ترجمة : د . نجيب ميخائيل ابراهيم

١٨ ـ عندما حكمت مصر الشرق — تأليف : جورج شتايندورف ، وكيث سيل — ترجمة : محمد العزب موسى .

١٩ ـ آثار الأقصر — تأليف : د . محمد عبد القادر محمد .

٢٠ ـ الآثار المصرية فى وادى النيل — تأليف : جيمس بايكى . — ترجمة : لبيب حبشى ، وشفيق فريد .

٢١ ـ وادى الملوك — تأليف : عزيز مرقص منصور

٢٢ ـ الفن المصرى [جزءان] — تأليف : د . ثروت عكاشة .

٢٣ ـ مصر فى عيون الغرباء [جزءان] — تأليف : د . ثروت عكاشة .

٢٤ ـ مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية — تأليف : مختار السويفى .

٢٥ ـ المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية — تأليف : د أحمد قدرى [بالانجليزية] — ترجمة : مختار السويفى . ومحمد العزب موسى .

٢٦ ـ نفرتيتى الجميلة التى حكمت مصر فى ظل ديانة التوحيد — تأليف : جوليا سامسون — ترجمة : مختار السويفى .

٢٧ ـ سرقة ملك مصر — تأليف : محسن محمد .

٢٨ ـ مجوهرات الفراعنة — تأليف : سيريل ألدريد . — ترجمة مختار السويفى .

٢٩ ـ المجمل فى تاريخ مصر — تأليف : د . ناصر الأنصارى .

٣٠ ـ على هامش التاريخ المصرى القديم — تأليف : عبد القادر حمزة .

٣١ ـ الموسوعة الأثرية العالمية — تأليف : مجموعة من علماء الآثار الأجانب — ترجمة : د . محمد عبد القادر مح و د . زكى اسكندر .

٣٢ ـ تاريخ الحضارة المصرية [العصر الفرعونى] — تأليف : نخبة من المؤرخين وعلماء الآثار المصريين .

٣٣ ـ تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى — تأليف : جيمس هنرى برستيد . — ترجمة : د . حسن كمال .

٣٤ ـ فى موكب الشمس [جزءان] — تأليف : د . أحمد بدوى

٣٥ ـ موسوعة الفراعنة — تأليف : باسكال فيرنوى ، وجان يويوت . — ترجمة : د . محمود ماهر طه .

٣٦ ـ الأدب الثورى عبر التاريخ — تأليف : محمد مفيد الشوباشى .

٣٧ ـ مصر القديمة [١٦ جزءاً] — تأليف : د . سليم حسن .

٣٨ ـ الأدب المصرى القديم [جزءان] — تأليف : د . سليم حسن .

٣٩ ـ معجم الحضارة المصرية القديمة — تأليف : مجموعة من المؤرخين وعلماء الآثار الأجانب . — ترجمة : أمين سلامة .

٤٠ ـ الحضارة المصرية — تأليف سيريل ألدريد . — ترجمة : مختار السويفى .

● ثانيا : المراجع الأجنبية :

41 - GREAT PYRAMID
BY :PETER TOMPKINS.
42 - THE EGYPTIANS.
BY : CYRIL ALDRED .
43 - EGYPT TO THE END OF THE OLD KINGDOM
BY : CYRIL ALDRED .
44 - THE EGYPT OF THE PHARAOHS - AT THE CAIRO MUSEUM.
BY : JEAN - FRANCOIS GOUT.
PREFACE BY JEAN LECLANT. TRANSLATED BY ANTHONY ROBERTS.
45 - IN THE SHADOW OF THE PYRAMIDS.
BY : JAROMIR MALEK.
46 - ANCIENT EGYPT.
BY : GEORGE HART.
47 - SUNRISE OF POWER.
BY : JOYCE MILTON.
48 - EGYPT DRAWINGS.
BY: DAVID ROBERTS (1839).
49 - VALLEY OF THE KINGS.
BY : JOHN ROMER.
50 - ATLAS OF ANCIENT EGYPT.
BY : JOHN BAINES & JAROMIR MALEK.
51 - THE TOMBS OF THE NOBLES AT LUXOR.
BY : LISE MANNICHE.
52 - WARRIOR PHARAOHS.
BY : P. H. NEWBY.
53 - DEATH IN ANCIENT EGYPT.
BY : A. J. SPENCER.
54 - ARCHAIC EGYPT.
BY : W. B. EMERY.
55 - THE ANCIENT EGYPTIANS.
BY : JILL KAMIL.

● ثالثا : من مصادر الصور والأشكال الداخلية :

٥٦ ـ متحف الأقصر للفن المصرى القديم [كتالوج] ـ أصدار : مركزالبحوث الأمريكى بمصر ، والمعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية . ترجمة : عبد العزيز صادق .

٥٧ ـ الماضى يبعث حيا ـ تأليف : إدنا مجوير . ترجمة : ابراهيم زكى خورشيد .

٥٨ ـ مجلة « شل » [١١ عددا] .

٥٩ ـ المتحف المصرى ـ موجز فى وصف الآثار الهامة ـ إصدار ١٩٥٤ .

60 - EGYPT - 1900 : SHELL COMPANIES IN EGYPT.

61 - ART THROUGH THE AGES.

62 - EGYPT REVEALED - SCENES FROM NAPOLEON'S DESCRIPTION DE L'EGYPT
BY : ROBERT ANDERSON AND IBRAHIM FAWZY.

63 - THE SPLENDERS OF EGYPT.
BY : MICHAEL DAVISON.

64 - WONDERS OF TUTANKHAMUN.
By : DAVID P . SILVERMAN .

65 - UPPER EGYPT.
BY : DINO SASSI.

66 - DAS ALTE REICH - ÄGYPTEN IM ZEITALTER DER PYRAMIDEN. [KATALOG].

67 - VALLEY OF THE KINGS [CATALOGUE].

68 - DENDERAH - KARNAK - LUXOR [CATALOGUE].

69 - EGYPT [CATALOGUE].
BY : ABBAS CHALABY.

المؤلف

● وكيل الوزارة بقطاع النقل البحرى سابقا . من مواليد باب الشعرية بالقاهرة عام ١٩٣٣ . ليسانس فى القانون والاقتصاد ١٩٥٥ ، ودبلوم عال فى القانون البحرى ١٩٧٥ .

● محاضر فى الاقتصاد والعلوم البحرية والنقل الدولى فى مراكز التدريب والتنمية الادارية بمصر والدول العربية . وتعتبر مؤلفاته ومترجماته فى علوم النقل البحرى من الكتب الرائدة غير المسبوقة باللغة العربية .

● كتب العديد من سيناريوهات الأفلام الثقافية التسجيلية عن التاريخ المصرى القديم ، والآثار الاسلامية بمصر ، وأعلام العرب ، وقصص القرآن . . بالاضافة إلى العديد من البرامج الثقافية بالتليفزيون والإذاعة المصرية وهيئة الاذاعة البريطانية بلندن .

● نشرت له عشرات من القصص القصيرة المؤلفة والمترجمة منذ الخمسينيات وحتى الآن فى مجلات : روزاليوسف وصباح الخير ونصف الدنيا والكاتب والقوات المسلحة والاذاعة والتليفزيون وكتب للجميع ومجلة حورس التى تصدرها مصر للطيران . . كما كتب عشرات المقالات المتخصصة فى مجلات الهلال والعربى والمسرح والقاهرة والثقافة والأوبرا وإدارة الأعمال ، وجرائد الأهالى والوفد والجمهورية والأخبار والأهرام .

كتب للمؤلف

● فى الاقتصاد والعلوم البحرية :

١ ـ اقتصاديات النقل البحرى .

٢ ـ أساسيات النقل البحرى والتجارة الخارجية

٣ ـ المصطلحات الفنية البحرية .

٤ ـ المصطلحات التجارية الدولية .

٥ ـ دراسة تحليلية عن عقد البيع البحرى « فوب» [محاضرات] .

٦ ـ عمليات نقل البضائع على سفن الخطوط المنتظمة [محاضرات] .

٧ ـ عمليات نقل البضائع على السفن المستأجرة [محاضرات] .

٨ ـ عمليات الموانى وعمليات الشحن والتفريغ [محاضرات] .

٩ ـ سند الشحن « دراسة تحليلية » [محاضرات] .

١٠ ـ قطاع النقل البحرى فى مصر .

١١ ـ محاضرات فى البيوع البحرية .

١٢ ـ القانون البحرى « ترجمة » ـ تأليف : إيمانويل دفورسكى .

١٣ ـ تأجير السفن «ترجمة » ـ تأليف : بيرجر نوسوم

١٤ ـ انتاجية الرصيف « ترجمة » ـ تأليف : دى مونيه .

١٥ ـ الرقابة على الأعمال البحرية عن طريق الميزانية « ترجمة » تاليف : ج سيموندز.

١٦ ـ سفن الحاويات والموانى المعدة لاستقبالها « ترجمة » ـ تأليف : أ . إيفانس .

١٧ ـ مصطلحات التجارة الدولية والنقل البحرى وأنواع النقل الدولى الأخرى .

١٨ ـ حساب الوقت والعوامل المؤثرة فيه [فى عمليات شحن وتفريغ السفن]ـ تحت الطبع .

فى الأدب والفن :

١٩ ـ ألوان من النشاط المسرحى فى العالم .

٢٠ ـ خيال الظل والعرائس فى العالم .

٢١ ـ الرقص والحضارة « دراسة تاريخية . فولكلورية . إثنولوجية » .

٢٢ ـ زرع النوى « رواية أدبية » .

٢٣ ـ مساخر من العاصمة والأقاليم « مجموعة قصصية » .

٢٤ ـ عذراء سرابيوم « مجموعة قصصية » ـ تحت الطبع .

٢٥ ـ الضحك بسبب « من الأدب الساخر » .

٢٦ ـ الضحك بالراحة « من الأدب الساخر » .

٢٧ ـ الضحك علينا « من الأدب الساخر » ـ تحت الطبع .

٢٨ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الأول .

٢٩ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الثانى .

٣٠ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الثالث .

٣١ ـ روائع الأدب العالمى فى كبسولة ـ الجزء الرابع .

● **روايات ومسرحيات مترجمة :**

٣٢ ـ أوليفر تويست ـ تأليف : تشارلس ديكنز .

٣٣ ـ الآمال الكبرى ـ تأليف : تشارلس ديكنز .

٣٤ ـ ثورة على السفينة بونتى ـ تأليف : وليم بلاى .

٣٥ ـ توم سوير ـ تأليف : مارك توين .

٣٦ ـ مغامرات هكلبرى فين ـ تأليف : مارك توين .

٣٧ ـ رجال عظام ونساء عظيمات ـ تأليف : ليزلى ليفيت .

٣٨ ـ دافيد كوبر فيلد ، ـ تأليف : تشارلس ديكنز .

٣٩ ـ جزيرة الكنز ـ تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .

٤٠ ـ دكتور جيكل ومستر هايد ـ تأليف : روبرت لويس ستيفنسون

٤١ ـ كنوز الملك سليمان ـ تأليف : سير هنرى رايدر هاجارد .

٤٢ ـ نجمة الصباح ـ تأليف : سير هنرى رايدر هاجارد .

٤٣ ـ مون فليت ـ تأليف : ميد فوكنر .

٤٤ ـ المفتش العام ـ تأليف : نيكولاى جوجول

٤٥ ـ روبنسون كروزو ـ تأليف : دانييل ديفو .

● فى الآثار والتاريخ المصرى القديم :

٤٦ ـ المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية « مترجم » تأليف الدكتور أحمد قدرى [بالانجليزية] . مراجعة : الدكتور محمد جمال الدين مختار ـ نشرته هيئة الآثار المصرية .

٤٧ ـ فن الرسم عند قدماء المصريين « مترجم » تأليف : وليم بك . مراجعة : الدكتور أحمد قدرى ـ نشرته هيئة الآثار المصرية .

٤٨ ـ مصر والنيل [فى أربعة كتب عالمية] ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٤٩ ـ مراكب خوفو [حقائق لا أكاذيب] ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٥٠ ـ الحضارة المصرية من عصور ماقبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة «مترجم» ـ تأليف : سيريل ألدريد . مراجعة : الدكتور أحمد قدرى ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٥١ ـ نفرتيتى : الجميلة التى حكمت مصر فى ظل ديانة التوحيد « مترجم » ـ تأليف : جوليا سامسون . مراجعة : الدكتور محمد جمال الدين مختار ـ نشرته الدار المصرية اللبنانية .

٥٢ ـ مجوهرات الفراعنة « مترجم » ـ تأليف : سيريل ألدريد . مراجعة : الدكتور أحمد قدرى ـ نشرته الدار الشرقية .

٥٣ ـ صفحات من تاريخ الاسكندرية ـ تحت الطبع .

٥٤ ـ كليوباترا ـ تحت الطبع .

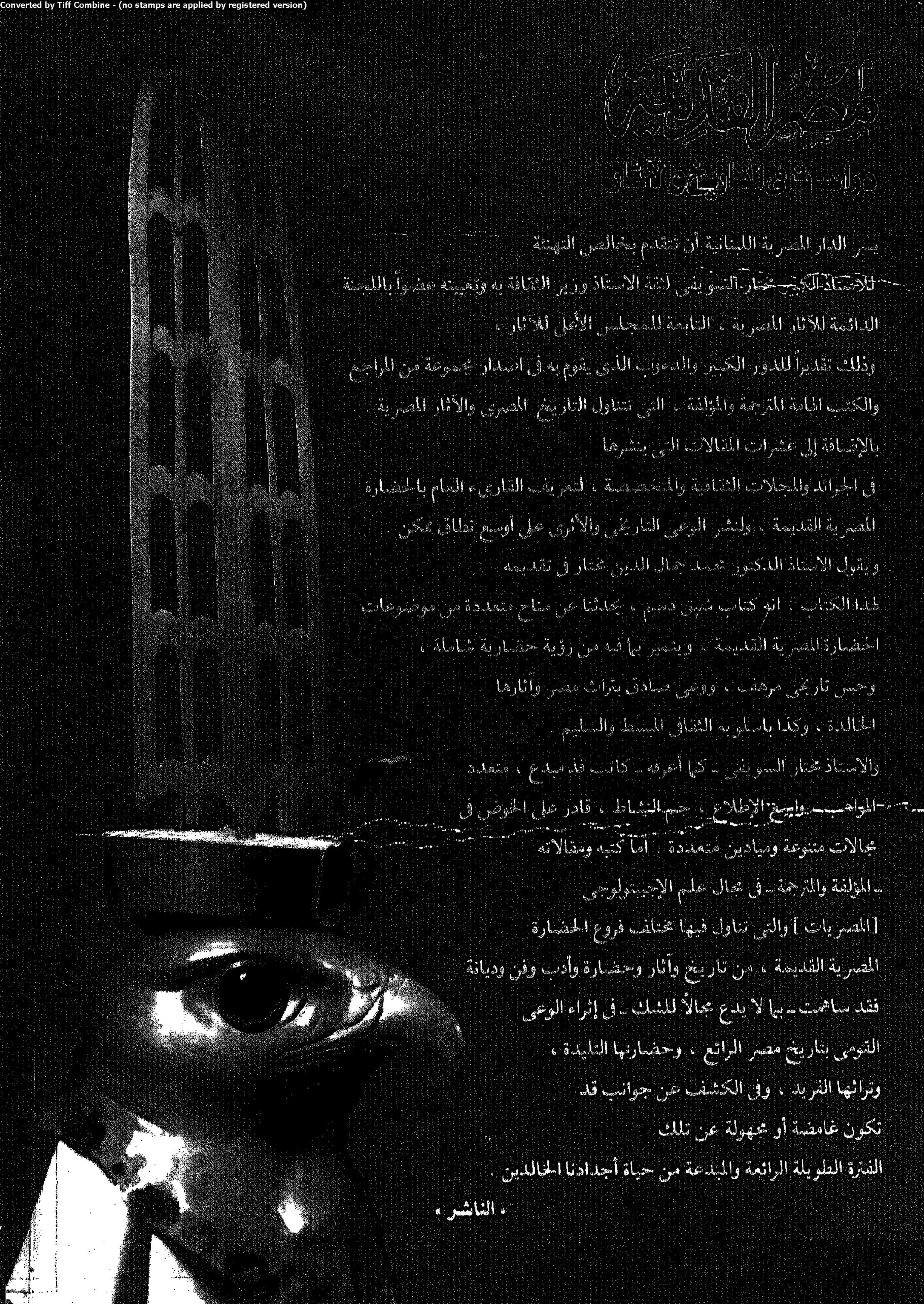
٥٥ ـ دراسات فى الآثار والتاريخ المصرى

٥٦ ـ أم الحضارات ـ تحت الطبع .

الفهـرس

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨





مصر الفرعونية

دراسات في التاريخ والآثار

يسر الدار المصرية اللبنانية أن تتقدم بخالص التهنئة
للأستاذ الكبير مختار السويفي لثقة الأستاذ وزير الثقافة به وتعيينه عضواً باللجنة
الدائمة للآثار المصرية ، التابعة للمجلس الأعلى للآثار ،
وذلك تقديراً للدور الكبير والدءوب الذي يقوم به في اصدار مجموعة من المراجع
والكتب الهامة المترجمة والمؤلفة ، التي تتناول التاريخ المصري والآثار المصرية
بالإضافة إلى عشرات المقالات التي ينشرها
في الجرائد والمجلات الثقافية والمتخصصة ، لتعريف القارئ العام بالحضارة
المصرية القديمة ، ولنشر الوعي التاريخي والأثري على أوسع نطاق ممكن .
ويقول الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين مختار في تقديمه
لهذا الكتاب : انه كتاب شيق دسم ، يحدثنا عن مناح متعددة من موضوعات
الحضارة المصرية القديمة ، ويتميز بما فيه من رؤية حضارية شاملة ،
وحس تاريخي مرهف ، ووعي صادق بتراث مصر وآثارها
الخالدة ، وكذا بأسلوبه الشائق المبسط والسليم .
والأستاذ مختار السويفي - كما أعرفه - كاتب قد مبدع ، متعدد
المواهب ، واسع الإطلاع ، جم النشاط ، قادر على الخوض في
مجالات متنوعة وميادين متعددة . أما كتبه ومقالاته
- المؤلفة والمترجمة - في مجال علم الإجيبتولوجي
[المصريات] والتي تناول فيها مختلف فروع الحضارة
المصرية القديمة ، من تاريخ وآثار وحضارة وأدب وفن وديانة
فقد ساهمت - بما لا يدع مجالاً للشك - في إثراء الوعي
القومي بتاريخ مصر الرائع ، وحضارتها التليدة ،
وتراثها الفريد ، وفي الكشف عن جوانب قد
تكون غامضة أو مجهولة عن تلك
الفترة الطويلة الرائعة والمبدعة من حياة أجدادنا الخالدين .

« الناشر »